مقرر

الفرقة .....الاولي قسم اللغة الفارسية

أستاذ المقرر

ا.م.د/ .حمدي عبدالراضي علي.....

قسم اللغة الفارسية – كلية الاداب بقنا

العام الجامعي
٢٠٢١م / ٢٠٢٢

بيـــانـــات أساسية

الكلية: الاداب

الفرقة: الثانية

التخصص: اللغة الفارسية

عدد الصفحات: ١٥٠

القسم التابع له المقرر : قسم اللغة الفارسية وادابها

الرموز المستخدمة

فيديو للمشاهدة.

نص للقراءة والدراسة.

رابط خارجي.

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي.

أنشطة ومهام.

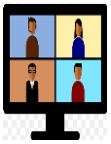 **تواصل عبر مؤتمر الفيديو.**

مقرر
الفرقة .....الاولى قسم اللغة الفارسية

مقرر اختيارى

أستاذ المقرر
ا.م.د/ .حمدي عبدالراضي علي.....

قسم اللغة الفارسية - كلية الاداب بقنا

العام الجامعي
٢٠٢١م/٢٠٢٢

بيانات أساسية

الكلية: الاداب

الفرقة: الاولى

التخصص: اللغة الفارسية

عدد الصفحات: ١٥٠

القسم التابع له المقرر: قسم اللغة الفارسية وادابها

الرموز المستخدمة

فيديو للمشاهدة.

دانشكاه جنوب دره

بخش زبان وادبيات فارسي

التراث العربى فى ايران

اعداد

ا.م . د / حمدي عبدالراضي علي
استاديار زبان وادبيات فارسي – تاجيكي

محتوي الكتاب الالكتروني	الصفحة

أولا : الموضوعات : ---------

مقدمة : اين تقع ايران .....ص ٦

اصل التسمية ص٧

المناخ .....ص ١٠

التوزع العرقي..... ص ١١

الاسلام في ايران .....ص ١٢

الفصل الاول : اللغة العربية والتراث الاسلامي في ايران

عوامل الاتصال

اولا : قبل امارة الحيرة..... ص ١٧

ثانيا امارة الحيرة..... ص ٢١

ثالثا صلا ت اخر..... ص ٢٤

ـ الفرس والامم السامية قبل الاسلام..... ص ٢٥

العرب والفرس قبل الاسلام .....ص ٢٦

الصلات الادبية بين الامتين..... ص ٣١

العرب والفرس بغد الاسلام..... ص ٣٢

اللغة الفارسية في القرنين الاولين .....ص ٣٤

الفرس في الدولة الاسلامية .....ص ٣٦

اثر الفرس في الاداب العربية .....ص ٣٨

الفصل الثاني مقالات حول التاثير العربي والفارسي

اثر الثقافة والادب الفارسي في اثار الجاحظ.....ص٦٢

تاقير اللغة العربية في غيرها من اللغات..... ص ٧١

اللغة العربية وعلاقتها بالهوية,.....ص ٨٤

موقف الاسلام من النراث الايراني القديم..... ص ٨٦
الثقافة العربية الاسلامية في ايران في العصرين المغولي والتيموري..... ص ٨٧
رأي الدكتور حسين مجيب المصري..... ص ١٠٣
اصحاب اللسانين..... ص ١٠٧
فن الملمع بين العربية والفارسية ص.١١١
الفصل الثالث : ملامح الادب العربي في ايران
مقدمة .....ص ١٢٣
الشعر العربي في ايران .....ص ١٢٨
موضوعات الشعر العربي .....ص ١٣٩
كلمة اخيرة .....ص ١٤٧
ثالثا : الأشكال والصور :شكل رقم١ مدينة اصفهان الايرانية..... ص ٦
خريطة ايران السياسية .....ص ١٦
رابعا : روابط الفيديو : رابط فيديو رقم ١ رحلة في مهد الامبراطورية الفارسية .....ص ٤١
رابط فيديو رقم ٢ الفرق بين العربية والفارسية..... ص ٦١
رابط فيديو رقم ٣ فن الملمع ،.....ص ١١٩
رابط رقم ١ احالة الي مقال .....ص ٧٠
رابط احالة الي موضوع..... ص ٨٧
خامسا: قائمة المراجع :----------.....---١٢٠

مقدمه

اين تقع ايران

شكل رقم ١ مدينة اصفهان الايرانية

إيران ورسميًّا الجمهورية الإسلامية الإيرانية (بالفارسية: جمهورى اسلامى ايران) هي دولة تقع في غرب آسيا. وهي ثاني أكبر دولة بالشرق الأوسط من حيث عدد السكان بعد مصر بإجمالي ٨٥ مليون نسمة وكذلك ثاني أكبر بلدان الشرق الأوسط مساحة بعد السعودية بمساحة تبلغ ١,٦٤٨,١٩٥ كم^2 , تتميز إيران بموقع جيوسياسي يجعلها نقطة التقاء لثلاث مجالات آسيوية (غرب آسيا ووسطها وجنوبها). يحدها من الشمال أرمينيا وأذربيجان وتركمانستان. وتطل إيران على بحر قزوين (وهو بحر داخلي تحده كازاخستان وروسيا). ويحدها من الشرق أفغانستان وباكستان، ومن الجنوب الخليج العربي وخليج عمان، ومن الغرب العراق ومن الشمال الغربي تركيا. طهران هي العاصمة، وأكبر مدينة في البلاد والوسط السياسي والثقافي والتجاري والصناعي للأمة. تعد إيران قوةً إقليمية، وتحتل مركزا هاما في أمن الطاقة الدولية والاقتصاد العالمي بسبب احتياطاتها الكبيرة من النفط والغاز الطبيعي. حيث يوجد في إيران ثاني أكبر احتياطي من الغاز الطبيعي في العالم ورابع أكبر احتياطي مؤكد من النفط.

إيران موطن لواحدة من أقدم الحضارات في العالم. أول سلالة حاكمة شكلت في إيران خلال المملكة العيلامية في ٢٨٠٠ قبل الميلاد. وقد وحّد الميديون إيران في إمبراطورية عام ٦٢٥ قبل الميلاد. وقامت بعد ذلك الإمبراطورية الأخمينية الإيرانية، ومن ثم الإمبراطورية السلوقية الهيلينية واثنتين من الإمبراطوريات الإيرانية اللاحقة، البارثيين والساسانيين، قبل الفتح الإسلامي في ٦٥١ م. وخلال عهد السلالات الدولة الإسلامية. انتشرت اللغة الفارسية والثقافة الفارسية في جميع أنحاء الهضبة الإيرانية. وقد أكدت السلالات الإيرانية مبكرا على الاستقلال الإيراني، وهذه السلالات هي الدولة الطاهرية والدولة الصفارية والسامانيون والبويهيون.

أثرت الفلسفة الفارسية والأدب والطب والفلك والرياضيات والفن في الحضارة الإسلامية. وأصل الهوية الإيرانية على الرغم من الحكم الأجنبي في القرون التي تلت ذلك. واعتمدت الثقافة الفارسية أيضا من قبل الغزنويين، السلاجقة، والتيمورية قبل انبثاق حكم السلالة الصفوية عام ١٥٠١، والتي جعلت المذهب الشيعي الجعفري المذهب الرسمي لإمبراطوريتهم لتضع بذلك نقطة تحول مهمة في التاريخ الإيراني والإسلامي. في إطار الثورة الدستورية الفارسية، أنشئ أول برلمان في عام ١٩٠٦، كجزء من النظام الملكي الدستوري. وبعد الانقلاب عام ١٩٥٣ (الذي جرى بتحريض من بريطانيا والولايات المتحدة)، أصبحت إيران تدريجيا بلدا أكثر استبدادية. بلغت المعارضة المتنامية للنفوذ الأجنبي ذروتها خلال الثورة الإسلامية التي أدت إلى إنشاء جمهورية إسلامية في ١ نيسان/أبريل ١٩٧٩.

إيران أحد الأعضاء المؤسسين لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وحركة عدم الانحياز وأوبك. النظام السياسي في إيران، استناداً إلى دستور عام ١٩٧٩، يضم العديد من الهيئات الإدارية المترابطة بشكل معقد. أعلى سلطة في الدولة هو المرشد الأعلى، والإسلام هو الدين الرسمي والفارسية هي اللغة الرسمية.

اصل التسمية

أصل اسم إيران هو أريان، بالفارسية القديمة المكونة من آري و "ان" التي هي للنسبة إلى الأعلام، ومعنى الاسم "أرض الآريين"، واستخدمت الكلمة محلياً منذ عهد الساسانيين، في العصور القديمة. وفي العصور الحديثة، استخدمت مجددا في عام ١٩٣٥، وقبل ذلك كان البلد يعرف ببلاد فارس. ويستخدم

كل من "فارس" و"إيران" بشكل متبادل في السياقات الثقافية، إلا أن "إيران" هو الاسم الذي يستخدم في السياقات السياسية رسميا.

وأصل كلمة إيران كلمة "آري" وجمعها آريون ويرجح أن هذه القبائل نزحت إلى غرب آسيا عام ٢٠٠٠ ق.م. من الأناضول أيام حكم الآشوريون. أقامت هذه القبائل الإمبراطورية الفارسية التي بلغت أوجها أيام الملك كورش الكبير عام ٥٥ ق.م. والإمبراطور دارا الأول وخلفه خشايارشا الأول حيث كانت تضم مصر السفلى (الدلتا) واليونان وآسيا الصغرى وأجزاء مما يعرف حاليا بباكستان وتركستان. أقاموا خدمة بريدية، ومهدوا الطرق، وشجعوا التجارة وفنون الكتابة. وحاولوا دمج الحضارات البابلية مع الفرعونية والآشورية والليدية (انظر: ليديا)، إلا أن الإسكندر الأكبر أسقط هذه الإمبراطورية في القرن الرابع ق.م. لكنهم استطاعوا التخلص من حكم الإغريق لبلدان الشرق الأدنى إبان القرن الثالث ق.م.، واستعادوا قوتهم. لكن الساسانيون استغلوا النزاعات الداخلية وقاموا بتوحيد بلاد فارس. ثم دخلوا في حروب مستمرة مع البيزنطيين طوال أربعة قرون حتى سقوطها عند الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

ايران هي الدولة الثامنة عشر من حيث المساحة في العالم، حيث تبلغ مساحتها ١٦٤٨١٩٥ كم٢. مساحتها تساوي تقريباً مساحة المملكة المتحدة، وفرنسا، وإسبانيا، وألمانيا مجتمعة، أو أكثر إلى حد ما من ألاسكا أكبر ولاية أمريكية من حيث المساحة. تقع إيران بين خطي عرض ٢٤ – ٤٠ شمال خط الاستواء، وبين خطي طول ٤٤ – ٦٤ شرق غرينتش، حدودها مع أذربيجان هي (٣٨٠ كم) (مع ولاية ناخيتشيفان الأذربيجانية المعزولة (١٧٩ كم) وأرمينيا (٣٥ كم) إلى الشمال الغربي، وبحر قزوين من الشمال، تركمانستان (٩٩٢ كم) إلى الشمال الشرقي؛ باكستان (٩٠٩ كم) و أفغانستان (٩٣٦ كم) إلى الشرق؛ تركيا (٤٩٩ كم) والعراق (١٤٥٨ كم) إلى الغرب، وأخيرا في مياه الخليج العربي وخليج عمان إلى الجنوب.أعلى نقطة في إيران هي جبل دماوند.

تتكون إيران من الهضبة الإيرانية باستثناء سواحل بحر قزوين ومحافظة خوزستان. وهي إحدى دول العالم الأكثر الجبلية، تهيمن عليها المناظر الطبيعية الجبلية الوعرة التي تفصل بينها مختلف النطاقات مثل الأحواض المنفصلة والهضاب . الجزء الجبلي الغربي هو الأكثر سكاناً، مع نطاقات مثل

القوقاز، زاغروس وجبال البرز، وجبل دماوند، وهو أيضا أعلى جبل في غرب أوراسيا اعتبارا من جبال هندوكوش.

ويغطي الجزء الشمالي من إيران الغابات المطيرة الكثيفة تدعى "شمال" أو أدغال إيران. يتألف الجزء الشرقي في معظمه من أحواض صحراوية مثل دشت (كوير). وتقع أكبر صحراء في إيران في الجزء الشمالي الأوسط من البلاد، ودشت لوط في الشرق مع بعض البحيرات المالحة، وذلك لأن سلاسل الجبال مرتفعة جداً لتصل غيوم المطر إلى هذه المناطق. يوجد سهول واسعة فقط على طول ساحل بحر قزوين وعلى الطرف الشمالي من الخليج العربي، حيث تقع حدود إيران على مصب نهر شط العرب (أو في أروند رود) شط وتنتشر السهول على طول الساحل المتبقي من الخليج العربي ومضيق هرمز وخليج عمان.

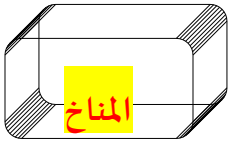

يتراوح المناخ في إيران من القاحل أو شبه مجدب، إلى شبه مداري على طول ساحل بحر قزوين والغابات الشمالية. على الحافة الشمالية من البلاد (سهول قزوين الساحلية) تنخفض درجات الحرارة دون الصفر ونادرا ما تظل المنطقة رطبة لبقية العام. درجات الحرارة في الصيف نادرا ما تتجاوز ٢٩ °C (٨٤,٢ °F). هطول الأمطار السنوي هو ٦٨٠ مم (٢٦,٨ في) في الجزء الشرقي. عادي وأكثر من ١,٧٠٠ مم (٦٦,٩ في الجزء الغربي الى الغرب في حوض زاغروس تواجه المنطقة درجات حرارة منخفضة، مع درجات حرارة شديدة البرودة في الشتاء إلى ما دون الصفر وتتساقط الثلوج بشكل يومي. الأحواض الشرقية والوسطى هي المناطق القاحلة، مع أقل من ٢٠٠ ملم (٧,٩ في) من المطر، وبها الصحارى . متوسط درجات الحرارة في الصيف تتعدى ٣٨ °C (١٠٠,٤ °F). السهول الساحلية للخليج العربي وخليج عمان في جنوب إيران يكون فيها الشتاء معتدل، والصيف رطب وحار جدا. ويتراوح معدل هطول الأمطار السنوي من ١٣٥ حتى ٣٥٥ ملم (٥,٣ حتي ١٤,٠ في).

يبلغ عدد سكان إيران حاليا ما يقارب ٧٩ مليون نسمة، ربعهم تحت عمر ١٥ سنة. ويسكن معظمهم في جنوب بحر قزوين وفي شمال غرب إيران. أكبر مدن إيران حسب احصائية عام ٢٠١١ في إيران هي

طهران (٨,١٥٤,٠٥١) ثم مشهد (٢,٧٤٩,٣٧٤) ثم أصفهان (١,٧٥٦,١٢٦) ثم كرج (١,٦١٤,٦٢٦) ثم تبريز (١,٤٩٤,٩٨٨) ثم شيراز(١,٤٦٠,٦٦٥).

التوزع العرقي

تحاول حكومة إيران عدم نشر إحصائية رسمية بالتوزع العرقي، بسبب سياستها القائمة على تفضيل العرق الفارسي، لكن تقديرات أميركية (كتاب حقائق العالم) هو كما يلي: فرس ٥١% وآذريين (أتراك) ٢٤% وجيلاك ومازندرانيون ٨% وأكراد ٧% وعرب ٣%، لور ٢%، بلوش ٢%، تركمان ٢%، أعراق أخرى ١%. وهناك تقدير آخر: فرس ٤٩%، آذريين (أتراك) ١٨%، أكراد ١٠%، جيلاك ٦%، مازندرانيون ٤%، عرب ٢,٤%، لور ٤%، بختياري ١,٩%، تركمان ١,٦%، أرمن ٠,٧%.وسم <ref> غير صحيح؛ أسماء غير صحيحة، على سبيل المثال كثيرة جدا

لكن دراسة قام بها الباحث الإيراني يوسف عزيزي قالت أن العرب يشكلون أكثر من ٧,٧% من سكان إيران. منهم ٣,٥ مليون في محافظة خوزستان وما تبع لها (غالبهم شيعة ويتكلمون بلهجة أحوازية القريبة من اللهجة العراقية)، و١,٥ عرب في سواحل الخليج العربي خاصة بندر لنجة (سنة يتكلمون لهجة خليجية)، و٠,٥ مليون متفرقين. وهذا العدد طبعاً لا يتضمن اللاجئين والمنفيين من العراق. كما يقدر عدد أكراد إيران بنحو ١٠% من سكان إيران.

أما التوزيع السكاني وفق إحصاء سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م:

الفرس ٦٣%

الأتراك (الأذر والتركمان) ٢٠%

العرب ٨%

الأكراد ٦%

البلوش ٢%

جماعات أخرى ٢%

التوزيع الجغرافي للعرقيات في إيران : ١ - الفرس يشكلون الأغلبية السكانية في ١١ محافظة من أصل ٣١ محافظة إيرانية وهي كالتالي : محافظات (خراسان الرضوية - خراسان الجنوبية - سمنان - مركزي - قم - البرز - اصفهان - فارس - يزد - كرمان - بوشهر) كما ويشكلون قرابة نصف سكان في محافظات

(طهران - هرمزكان - همدان - قزوين - كلستان) ٢ - الأتراك وهم من (الاذريين + التركمان) ويشكلون الأغلبية السكانية في ٣ محافظات وهي محافظات (أذربيجان الشرقية - اردبيل - زنجان) كما ويشكلون نصف سكان محافظة قزوين و ٤٠% من سكان محافظة كلستان وربع السكان من محافظة طهران وخمس سكان محافظة آذربيجان الغربية. ٣- الأكراد وهم من (الأكراد السنة + اللر + البختياريين + الكلهر + اللك) ويشكلون الأغلبية السكانية في ٧ محافظات وهي (آذربيجان الغربية - كردستان - كرمنشاه - ايلام - لرستان - جهارمحال وبختياري - كهكيلويه وبوير احمد). كما ويشكل الأكراد تقريبا نصف سكان محافظة همدان وثلثي السكان في محافظة خراسان الشمالية. ٤ - العرب ويشكلون أكثرية سكان محافظة خوزستان ونصف سكان محافظة هرمزكان. ٥ - البلوش ويشكلون الاكثرية السكانية في محافظة سيستان وبلوجستان وربع السكان في محافظة كرمان. ٦ - الديلم وهم بالأصل من الفرس يشكلون الاكثرية السكانية في محافظة غيلان ٧ - المازندرانيون وهم بالأصل من الفرس يشكلون الأغلبية السكانية في محافظة مازندران وفقًا لكتاب حقائق العالم لوكالة المخابرات المركزية، فإن ٩٠-٩٥٪ من المسلمين الإيرانيين يعرّفون أنفسهم بأنهم ينتمون إلى المذهب الشيعي للإسلام، الديانة الرسمية للدولة، وينتمي حوالي ٥-١٥٪ إلى المذهبين السني والصوفي. المسيحية واليهودية والزرادشتية معترف بها رسميًا ومحمية، ولديهم مقاعد محجوزة في البرلمان الإيراني. إيران هي موطن لثاني أكبر جالية يهودية في العالم الإسلامي والشرق الأوسط. أكبر أقليتين دينيتين غير مسلمتين في إيران من أتباع الديانة البهائية والمسيحية الطائفة البهائية، التي تعد تاريخيًا أكبر أقلية دينية في إيران.

دين الإسلام في إيران

أدى الفتح الإسلامي لبلاد فارس (٦٣٧-٦٥١) إلى نهاية الإمبراطورية الساسانية والانحدار النهائي للديانة الزرادشتية في إيران (بلاد فارس). كان الإسلام هو الدين الرسمي لإيران منذ ذلك الحين، باستثناء فترة قصيرة بعد الغارات المغولية و إنشاء **Ilkhanate**. أصبحت إيران جمهورية إسلامية بعد الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ التي أنهت الملكية الفارسية. قبل الفتح الإسلامي، كان الفرس من الزرادشتية بشكل أساسي. ومع ذلك، كانت هناك أيضًا مجتمعات مسيحية ويهودية كبيرة ومزدهرة، لا

سيما في مناطق شمال غرب وغرب وجنوب إيران في ذلك الوقت. كان هناك تحرك بطيء ولكن ثابت من السكان نحو الإسلام. عندما قدم الإسلام للإيرانيين، كان النبلاء وسكان المدن هم أول من اعتنق الإسلام، وانتشر الإسلام بشكل أبطأ بين الفلاحين والدوقات أو النبلاء. بحلول القرن العاشر، أصبح غالبية الفرس مسلمين. ومع ذلك، فإن إنجازات الحضارات الفارسية السابقة لم تضيع، ولكن تم استيعابها إلى حد كبير من قبل النظام السياسي الإسلامي الجديد. على الرغم من أن إيران تُعرف اليوم بأنها معقل للمسلمين الشيعة ، إلا أنها لم تصبح كذلك إلا بعد ذلك بكثير، حوالي القرن الخامس عشر. جعلت السلالة الصفوية الإسلام الشيعي الدين الرسمي للدولة في أوائل القرن السادس عشر وقاموا بالتبشير بقوة نيابة عنه. يُعتقد أيضًا أنه بحلول منتصف القرن السابع عشر، أصبح معظم الناس في إيران والعراق وأراضي جمهورية أذربيجان المجاورة المعاصرة شيعة

يدين معظم الإيرانيين بالإسلام, ويتبع أغلبية كبيرة من السكان المذهب الشيعي الجعفري والمعروف أيضا بالمذهب الإمامي أو الإثنى عشري. ويأتي في المرتبة الثانية المذهب السني. ثم ديانات أخرى مثل البهائية واليهودية والزردشتية والمسيحية.

وتاريخياً كان أهل السنة (الشافعية والحنفية) الأكثرية في إيران. وكان الشيعة أقلية، محصورة في بعض المدن الإيرانية، مثل قم، وقاشان، ونيسابور، ولما وصل الشاه إسماعيل الصفوي إلى الحكم سنة ٩٠٧ هـ أجبر أهل السنة على التشيع حين خيرهم بينه، وبين الموت. يقول الباحث العراقي د. علي الوردي متحدثاً عن حكم الصفويين لإيران والعراق: "يكفي أن نذكر هنا أن هذا الرجل (الشاه إسماعيل الصفوي) عمد إلى فرض التشيع على الإيرانيين بالقوة، وجعل شعاره سب الخلفاء الثلاثة. وكان شديد الحماس في ذلك سفاكاً لا يتردد أن يأمر بذبح كل من يخالف أمره أو لا يجاريه. قيل أن عدد قتلاه ناف على ألف ألف نفس" أي مليون سني. وانتشر المذهب الشيعي بالتدريج في وسط إيران بينما بقي أهل السنة في الأطراف.

ولا توجد إحصائيات رسمية بتوزع المذاهب في إيران، ولذلك فإن التقديرات تختلف كثيراً. ويمكن تصنيف المجموعات الدينية في إيران وفق التالي:

الشيعة الاثني عشرية

وهم الغالبية، وأكثرهم من الفرس ثم من الأذريين. وهم منتشرين في جميع مناطق إيران ويقل تواجدهم في بلوشستان. وكما تشيروكالة المخابرات المركزية الأمريكية(سي آي إيه)، ما بين ٩٠-٩٥% من المسلمين في إيران هم الشيعة.

السنة

لا تقوم الحكومة الإيرانية بالسؤال عن مذهب المواطنين عند القيام بإحصاء للتعداد السكاني فلذلك تتضارب المعلومات بشأن الحجم الحقيقي للسنة في إيران: فالإحصاءات الشبه الرسمية لحكومة إيران تقول أنهم يشكلون ١٠ % من السكان. كذلك تشيروكالة المخابرات المركزية الأمريكية(سي آي إيه) أن ٥-١٠% من المسلمين في إيران هم أهل السنة. إلا أن بعض مصادر السنة المعارضة تؤكد أنهم يشكلون ٣٠%، وهو يو افق -كما يقولون- الإحصائية القديمة التي أجريت أثناء حكم الشاه. ومصادر مستقلة تقول أن السنة يشكلون من ١٥ إلى ٢٠ % من سكان إيران.

يتوزع السنة على أطراف إيران بعيداً عن المركز الذي تشيع أثناء الحكم الصفوي. أكثرهم من الأكراد (شافعية) والبلوش (حنفية) والتركمان (حنفية) والطوالش (الديلم، غرب بحر قزوين في غيلان وأردبيل)، ثم يليهم العرب (خاصة في بندر لنجة) وبعض الآذريين (حنفية نقشبندية). أما الفرس الشافعية فكثير منهم من في محافظة فارس وبعضهم في طهران. وأهل السنة يشكلون الغالبية في كردستان (من مدينة قصر شيرين شمال الأحواز إلى حدود أرمينية على طول حدود تركيا) وبلوشستان وبندر عباس والجزر الخليجية وبو شهر وتركمن صحرا (من بحر قزوين إلى حدود تركمانستان) وشرقي خراسان (تحدها من الشمال تركمانستان، ومن ناحية الشرق أفغانستان). كما يتواجدون كأقليات في كرمنشاه وخوزستان، ومناطق في محافظة لرستان إضافة لمن هاجر منهم للمدن الكبرى كطهران وأصفهان ومشهد.

المسيحيون

تعد المسيحية أكبر أقلية دينية في إيران، قدرَّت وزارة الخارجية الأمريكية أعداد المسيحيين في إيران عام ٢٠٠٤ بحوالي ٣٠٠,٠٠٠ نسمة. في عام ٢٠١٤ قدَّر تقرير نشرته وزارة الداخلية للمملكة المتحدة

أعداد المسيحيين في إيران بحوالي ٣٧٠,٠٠٠ نسمة، حيث أن التعداد السكاني الرسمي الإيراني لا يتضمن أعداد المسيحيين غير الحاملين للجنسية الإيرانيَّة وللمسلمين المتحولين للديانة المسيحية. وأغلبية المسيحيين في إيران هم من الأرمن، وقد قل عددهم بشكل كبير بسبب هجرتهم للخارج عقب الثورة الإسلامية، وهم متواجدين في شمال إيران في مازندران وجيلان كما إن لهم وجود في أصفهان وطهران. وهناك من القومية الآشورية أيضاً ويقدر عددهم ٢٥٠,٠٠٠ سنة ١٩٣٥ ولكن هاجر الكثير منهم للخارج وحالياً يقدرون ٧٥,٠٠٠ وأغلبيتهم يسكنون في محافظة أرومية.

وفقاً لمصادر ازداد نمو والتحول إلى المسيحية في العقدين الأخيرين في إيران، مما تسبب في قلق الحكومة الإسلامية. قدرّت دراسة من قبل الباحث والمبشر المسيحي "دوان ميلر" من جامعة سانت ماري الأمريكيّة في تكساس وجامعة أدنبرة وباتريك جونستون من المنظمة التبشيرية المسيحية " WEC International" في عام ١٩٧٩ كان هناك أقل من ٥٠٠ من المسلمين الفُرس المتحولين للمسيحية في إيران، وفي عام ٢٠١٥ تخطى العدد ١٠٠,٠٠٠ شخص. يعتبر التحول من الإسلام إلى المسيحية جريمة في إيران وتصل العقوبة إلى السجن أو عقوبة الإعدام.

<u>اليهود</u>

لليهود صلات تاريخية قوية بإيران. لكن عددهم تناقص كثيراً بسبب الهجرة. ومع ذلك يعتبر يهود إيران أكبر تجمع يهودي في الشرق الأوسط خارج إسرائيل. وعددهم مختلف عليه لكن الكثير من المصادر تشير إلى ٢٥ ألف يهودي. وهو دين معترف به رسمياً.

<u>الزردشتية</u>

يقدر عدد الزردشتية بـ٢٢ ألف. وهو دين معترف به رسمياً. ويلقى تشجيعاً رسمياً كبيراً حيث تم اعتباره أيام البهلوية رمزاً للقومية الإيرانية. ولهم مقعد في البرلمان. ولكن الكثير منهم هاجر إلى الولايات المتحدة، وأصبح تواجدهم في إيران محصوراً على أقليات في مدينتي يزد وكرمان.

البهائية

يقدر عددهم بـ٣٠٠ ألف. وهو دين غير معترف به رسمياً.

خريطة ايران السياسية

الفصل الاول :

اللغة العربية والتراث العربي والاسلامي في ايران

عوامل الاتصال

أولا. قبل إمارة الحيرة

١. يحدث التاريخ بصلة قديمة جداً بين العرب والفرس، نشأت قبل أن تؤسس إمارة الحيرة بقرون، يحدث أن العرب أدوا الجزية للملك قورش بخوراً ولباناً في كل عام (٥٥٠ ق.م) إذ استولي الفرس علي أكثر الهلال الخصيب، واتصلوا بالعرب، واحتكوا بهم احتكاكا مباشرا.

٢. ثم استعان قمبيز بالعرب في غزو مصر (٥٢٥ ق.م) فمدوه بالإبل، وزودوا قواته بالماء، وساعدوه مساعدة كبيرة، لولاها ما أستطاع أن يصل إلي مصر.

وبعد ذلك بثلث قرن ساعدوا الفرس في حملتهم علي اليونان (٤٩٢ ق.م)[١]

٣. وقد ذكر الكاتب اليوناني كينوفند (٤٠١ ق.م) أن كورة في شرق الفرات كانت تسمي (العربية)[٢].

علي أن البلاد الواقعة شرقي الفرات أسفل مصب نهر الخابور كانت تسمي بلاد العرب منذ عهد قرطاجنة (٤٠١ ق .. م)[٣].

٤. وفي أوائل القرن الثالث بعد الميلاد تنازعت إياد ومضر بعد انتصارهما علي جرهم وإجلائها عن مكة، فهزمت إياد، وهاجرت إلي العراق، وكان أكبر موطن لها عين أباغ، علي أنها استوطنت أجزاء متفرقة من جنوبي الحيرة[٤]، منها سنداد . نهر فيما بين الحيرة إلي الأبلة . وكانوا ذوى منعة، لا يعطون الإتاوة أحداً من الملوك، وقد أغاروا علي بلاد الفرس مرتين وانتصروا[٥].

٥. وكان علي شاطىء الفرات حصنا عظيم كالمدينة، هو الذي ذكره عدى بن زيد في قوله:

أيها الشامت المعير بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفور؟

---

[١] ـ العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ١٠١ نقلا عن هيرودوت. وتاريخ العرب ٥٠ فيليب حي.
[٢] مجلة المجمع اللغوي ٣٣١/٣.
[٣] تاريخ الحضارة الإسلامية ٢٨ بارتولد.
٤ دائرة المعارف الإسلامية ١٦٧/٣.
٥ شرح القصائد العشر للتبريزى ٢٧٣.

من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير؟

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور ؟

وبنو الأصفر الكرام ملوك الر وم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور

لم يهبه ريب المنون فبان الـ ـملك عنه فبابه مهجور

سره ماله وكثرة مايمـ ـلك والبحر معرض والسدير

فارعوى قلبه وقال : وماغبـ ـطة حي إلي المـــمات يصير؟

وذكره أبو دواد الإيادى في قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ ـر عـلى أهله الساطرون

صرعته الأيام من بعد ملك ونعيم وجوهر مكنون[1]

كان مالك هذا الحصن أو هذه المدينة ومالك أرض الجزيرة هو الساطرون، والعرب تسميه الضيزن ، وكان من قبائل قضاعة وبنى عبيد بن الأجرم عدد كبير استعان بهم في بسط نفوذه حتى بلغ الشام.

ثم إنه أغار على بعض سواد العراق في عهد سابور الأول بن أردشير (٢٤١ .٢٧٢م)[2]، وافتخر عمرو بن إله القضاعى بهذه الإغارة في قوله :

لقيناهم بجمع من علاف وبالخيل الصلادمة الذكور

فلاقت فارس منا نكالا وقتلـــنا هرابذ شهر زور

دلفنا للأعاجم من بعيد بجمع م الجزيرة كالسعير[3]

وقد شخص سابور إلي حصن الضيزن فحاصره عامين ، وإلى هذا يشير الأعشى بقوله :

الم تر للحضر إذ أهله بنعمى ، وهل خالد من نعم ؟

أقام به شاهبور الجنو د حولين يضرب فيه القدم

---

[1] سيرة ابن هيشام ٨٦/١.

[2] تاريخ الطبرى ٦٢/٢ وابن خلدون ٢٤٩/٢.

[3] تاريخ الطبرى ٦٢/٢ والأغاني ١٤١/٢ ، الهرابذة ، جمع هربذ وهو خادم نار المجوس . شهر زور : مدينة فارسية. علاف : علاف بن حلوان من قضاعة تنسب إليه الخيل العلافية . الصلادمة : القوية الشديدة المفرد صلدم على وزن زبرج.

فـــما زاده ربـــه قوة ومثـل محاوره لم يقم

فلـــــما رأى ربه فعله أتاه طروقا فلم ينتقم

وكان دعا قومه دعوة هلموا إلي أمر كم قد صرم

فموتوا كراما بأسيافكم أرى الموت يجشمه من جشم[1]

ثم فتح سابور الحصن ، وقتل الضيزن ، ونكل من كانوا معه من قضاعة ، فقال عمرو بن إله ، وكان فيمن شاهدوا المعركة :

ألم يحزنك والأنباء تنمى بما لاقت سراه بنى العبيد

ومصرع ضيزن وبنى أبيه وأحلاس الكتائب من تزيد

أتاهم بالفيول مجللات وبالأبطال سابور الجنود

فهدم من أواسى الحضر صخرا كأن ثفاله زبر الحديد[2]

ولقد فسح الإخباريون لخيا لهم المجال ؛ فزعموا أن ابنة الضيزن عشقت سابور وعشقها ، وأنها هى التى دلته على حيلة لتقويض الحصن، ثم غدر بها[3].

ثم انتهز العرب صغر سن سابور الثانى (٣٠٩ . ٣٧٩م) فأغاروا على أطراف مملكته ، كما طمع فيها الترك والروم ، و كان العرب أقرب إلى فارس ، وأحوج إلى تناول شيء من خيرات الفرس ، لسؤ حالهم ، وشظف عيشهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس و البحرين و كاظمه حتي تخوم فارس، وغلبوا اهلها علي مواشيهم وحروثهم، واكثروا الفساد في تلك البلاد، واطمأنوا هنالك مدة لا يجليهم احد من الفرس.

فلما كبر سابور انتخب الف فارس من صنايد جنده وابطالهم وسار بهم، فأوقع بهؤلاء العرب، وقتلهم تقتيلا، وأسرهم أسرا عنيفا، ولم ينج منه الا من هربوا.

---

[1] تاريخ الطبرى ٦١/٢ وسيرة ابن هشام ٧٨/١ ومعجم البلدان ٣/ ٢٩١ و ديوان الأعشى ٤٢. شاهبور الجنود : سابور الأول وكان يسمى لكثرة جنوده شاهبور الجنود

[2] الطبرى ٢ / ٦١ و الأغانى ١٤٢/٢ ومعجم البلدان ٢٩١/٣ ونسب الشعر فيه لحدى ابن الدلهان. زبر الحديد : قطعه.

[3] الطبرى ٦٣/٢ ومروج الذهب ٢٩٦/١ والأخبار الطوال الدينورى ٥٠ وسيرة ابن هشام ١ ـ ٧٧.

ويقال انه لم يكتف بذلك، بل اجتاز البحر الي بلاد العرب، فورد الخط والبحرين وقتل اهلها، ثم ورد هجر فأروي الارض بدماء من هنالك من تميم وبكر وعبد القيس، حتي كان الهارب منهم يري انه لن ينجيه غار في جبل ولا جزيره في بحر، ثم عطف علي بلاد عبد القيس، فأباد اهلها، الا من هرب، ثم اتي اليمامه فأسرف في التقتيل.

وهو في اثناء ذلك لم يمر بماء من مياه العرب الا غورة، ولا بئر الا طمسها.

ثم اقترب من يثرب فقتل و أسر.

وعرج علي بلاد بكر و تغلب فيما بين مملكه فارس والروم بالشام فقتل وسبي وانتقم.

ثم أسكن الأسري من العرب من بكر بن وائل كرمان، ومن بني حنظله الاهواز، واسكن عددا عظيما من اسري العرب اقليم توج، وكانت حملاته هذة نحو سنه ٣٥٠م.

وعاش سابور حياته نهماً إلى قتل العرب ، ونزع اكتاف رؤسانهم ، ولهذا سماه العرب ذا الأكتاف[١].

ولقد ثأر العرب منه فيما بعد بانضمامهم إلى خصمه يوليان ملك الروم فى الحرب التى قامت بينهما (٣٦١.٣٦٣م) حتى قالوا إن العرب كانوا في جيشه مئة وسبعين ألفا[٢].

٧.و كأنما يأبى هذا العداء المستحكم إلا أن يغزو البحرين أردشير الثانى (٣٧٩.٣٨٥م) ، فألقى ملك البحرين بنفسه فى البحر[٣].

ومن هذا نرى أن الفرص قد تعددت لأن يحتك العرب بالفرس من قديم ، وأن يخالطوهم ، ويساكنوهم ، ويحاربوهم ، قبل أن تؤسس إمارة الحيرة.

ثانيا ـ إمارة الحيرة

[١] تاريخ الطبرى ٦٦/٢ ـ ٦٩ و ٦٨/٣ ومروج الذهب ١٢٢/١ ـ ١٢٤ وتاريخ ابن خلدون ١٦٩/٢ ودائرة المعارف مادة بكر.
[٢] الطبرى ٦٨/٣ وسأوثر رسم مئة على هذه الصورة.
[٣] تاريخ ابن خلدون ١٦٩/٢.

رأى الفرس أن الوسيلة للاطمئنان على الأمن فى هذا الجانب من مملكتهم أن يساعدوا القبائل العربية النازلة على مقربة من حدودهم على تأسيس إمارة تقيهم غزوات العرب ، وتحجز بين حدود الفرس وحدود الروم ، فكانت إمارة الحيرة .

١. والحيرة مدينة قديمة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على بحيرة النجف ، وعن كثب من البادية.

ويظهر أن كلمة الحيرة سريانية (حرتا) ومعناها المعسكر ، وقد ذكرت باسم (إرثا) على أنها مدينة فارسية في كتاب غلاوكوس[١] وفى كتاب ستانوس البيزنطى[٢].

وكانت المدينة من قصور محصنة ، حول ميدان واسع لم تكن له وسائل دفاع ، ولم يكن حول المدينة سور يحميها أو حصن يقيها ، لهذا لما سار إليها خالد ابن الوليد ١٢هـ (٦٣٣م) ليفتحها تحصن أهلها بقصورهم ، فساق خالد قطعانهم وأغناهم إلى زرعهم الذى لم يكونوا حصدوه ، فطلبوا المفاوضة على التسليم.

كان أهل الحيرة منذ القرن الثالث الميلادى ثلاثة أصناف:

تنوخ وهم البدو النازلون غربي الفرات [٣]، والعباد وهم السكان الأصليون الذين سكنوا المدينة وبنوا فيها ، والأحلاف وهم النازلون بالحيرة من غير هؤلاء جميعا ، وسموا بذلك لتحالفهم مع العباد.

وهؤلاء السكان كلهم من العرب.

٢. ليس من المعلوم يقيناً متى بدأ تأسيس الإمارة ، أكان فى عهد سابور الأول بن أردشير ملك الفرس (٢٤١ .٢٧٢م) إذ نصب على الحيرة عمرو بن عدى أم كان فى عهد أبيه أردشير (٢٢٦ .٢٤١م) ؟

ويظهر أن الإمارة بدأت في عهد أردشير ، إذ تأمر على الحيرة مالك ابن فهم الأزدى ، ثم خلفه ابنه جذيمة الأبرش ، ثم تولى بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى (٢٦٨ .٢٨٨م) وهو أول الأمراء اللخميين آل نصر ، وأول من بعده أهل الحيرة من ملوك العرب بالعراق ، ثم توالى بعده الأمراء من

---

[١] Eragmenta. P. ٤٠٩.

[٢] Ethnica p. ٢٧٦.

[٣] هؤلاء من العرب الذين اجتمعو من البحرين وتحالفوا على التناصر ، فصاروا يدا واحدة ضمهم اسم تنوخ (الطبرى ٤٧٦/١ و ابن الأثير ١٣٥/١ والأغانى ١٥٥/١١).

اللخميين حتى دامت إمارتهم نحو أربعة قرون ، إلى أن افتتحها خالد بن الوليد سنة ١٦ هـ ٦٣٧ م [١].

٣. كان أمراء الحيرة أو ملوكها يخضعون للفرس خضوعا إسميا و كان الفرس يعفونهم من الإثارة ، لقاء حمايتهم للحدود ممن يغير عليها و كفاء مساعدتهم لهم في حروبهم للروم.

على أنهم بلغوا من القوة أحيانا إلى حد المساواة بينهم وبين الفرس والروم ، فحاربوا الفرس حينا ، وحاربوا الروم أحيانا منتصرين للفرس وموالين لهم.

ومن أعظم ملوكهم النعمان بن امرىء القيس بن عمرو المعروف بالنعمان الأعور (حوالى ٤٠٣ ـ ٤٣١ م) كانت عنده كتيبتان يقال لاحداهما دوسر وهى عربية ، ويقال للأخرى الشهباء ، وهى فارسية ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يخضع له من العرب [٢].

كذلك عظمت مكانة الحيرة فى عهد المنذر الثالث الملقب بابن ماء السماء (حوالى ٥١٤ ـ ٥٥٤م) وهو الذى رفض أن يعتنق المزدكية كما اعتنقها ملك الفرس قباذ ، وولى على الحيرة الحارث ابن عمرو أمير كنده ، فلما مات قباذ خلفه ابنه كسرى أنوشروان، فنكل بالمزدكية وأتباعها ، وأعاد المنذر إلى إمارة الحيرة ، وكان هذا سبباً فى حروب بينه وبين الحارث الكندى ، إلى أن قضى عليه وعلى بنيه

ويبدو أن رفض المنذر للمزدكية ، وانتصاره على الحارث الكندى، وتخوف كثير من العرب أن يكمهم الحبش الذين استولوا فى ذلك الوقت على اليمن ، يبدو أن هذا دفع القبائل العربية فى نجد وشرق الجزيرة إلى أن تعلن ولاءها للمنذر.

ثم زاد من مكانته أنه حارب الغساسنة والروم ، وانتصر عليهم مرات ، وكان من نتائج انتصاره أنه لما عقد الصلح بين الفرس والروم فى عهد الإمبراطور جستنيان عام ٥٢٢م كان من شروطه أن يدفع الروم لملك الفرس وللمنذر غرما متساويا من المال.

---

[١] الطبرى ٣٧/٢ ، ٧٢ ، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ١٧٦ ومروج الذهب ١٢٦/١ وتاريخ الإسلام السياسى ٤٨ الدكتور حسن ابراهيم.
[٢] الطبرى ٧٣/٢.

٤. كان آخر ملوك الحيرة الأقوياء النعمان الثالث بن المنذر (٥٨٥ ـ ٦١٣ أو ٦٠٢) وهو أبو قابوس ، وصاحب النابغة الذيبانى، وقاتل عبيد بن الأبرص وعدى بن زيد فى إحدى الروايات ، وهو الذى مات فى حبس كسرى (٦١٣م).

وقد أقام كسرى إياس بن قبيصة خلفا للنعمان على الحيرة ، ولم يكن من أهل بيت النعمان ، وأشرك معه فى الحكم رجلاً فارسيا اسمه النخيرجان.

وكان من أثر هذا ضعف اغلب حكومة العربية في الحيرة ، ثم قيام حرب ذى قار بين الفرس والعرب ، وكان إياس بن قبيصة وأولياؤه من العرب في صف الفرس ، لكن العرب انتصروا على الفرس وعلى إياس.

ثم انفرد بملك الحيرة آزاد بن بابيان الهمذانى سبعة عشر عاما ، وجاء بعده المنذر بن النعمان فلم يمكث إلا ثمانية أشهر ، وهو الذى يسميه العرب المغرور، إذ قدم خالد بن الوليد إلى الحيرة فافتتحها سنة ١٢هـ / ٦٣٣م بعد أن دامت أربع مئة سنة ، وهى مدة طويلة فى أعمار الدول.

٥. على أن الحيرة لم تكن حلقة اتصال بين العرب والفرس فحسب، بل كانت الحيرة وماجاورها مجمعا لأديان شتى فى الجاهلية، يدل على ذلك أن المسلمين فتحوها وعلى شواطىء دجلة والفرات فرس يعتنقون الزرادشتية ، ونصارى يدينون بالمسيحية ، وأناس يتبعون المانوية ، وأتباع لديانات ديمة وثنية ، بقيت منهم آخر طائفة وهم الصابئة بحران حتى القرون الوسطى.

ثالثا ـ صلات آخر

اتصل العرب بالفرس بوسائل أخري ، كانت لها آثار ونتائج:

١. فقد حكم الفرس البحرين وهجر ، وبقى حكمهم إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه بعث إلى أتباع كسرى بهجر يدعوهم إلى الإسلام ، فلما أبوا وضع عليهم الجزية دينارا على كل رجل .

وقد نقل الفرس إلى هجر طائفة من الفعلة لبناء حصن المشقر، ومعهم نساء من ناحية السواد والأهواز ، فتناكحوا وتوالدوا ، وصاروا أكثر السكان بمدينة هجر، وتكملوا العربية ، وانتسبو إلى عبد القيس.

فلما جاء الإسلام قالوا لعبد القيس : قد علمتم عددنا وعدتنا وعظيم غنائنا، فأدخلونا فيكم ، وزوجونا ، فرفضت عبد القيس ، أنفة من أن تلحقهم ، فتفرقوا فى العرب ، وبقيت فى عبد القيس منهم بقية ، فانتمت إلى عبد القيس ، ولم تردها عن هذا الانتماء.

٢. وكان الفرس يستخدمون بعض العرب فى دواوينهم فكتب لقيط ابن يعمر الإيادى لكسرى وترجم له. وكان عدى بن زيد من تراجمة كسرى أبرويز (٥٩٠ . ٦٢٨م) ثم خلفه ابنه فى وظيفته ، وكان زيد والد عدى يقرأ العربية والفارسية.

٣. على أن بعض العرب رحلوا إلى فارس ليتعلموا ، كالحارث ابن كلدة الثقفى ، رحل من الطائف إلى جند يسابور وغيرها من فارس، فتعلم الطب والعزف على العود ، ويذكرون أنه قابل كسرى أنوشروان ، ودجار بينهم حديث طويل . ومحاورة فى الطب.

كذلك رحل ابنه النضر إلى الحيرة وإلى فارس ، فأتقن الفارسية، وكلف بها ، وكان يقتنى بعض كتبها ويعاند الدعوة الإسلامية بها.

ورحل الأعشى الكبير إلى فارس وقيل إنه مدح كسرى ، وعرف كلمات فارسية كثيرة استخدم بعضها فى شعره وقد سجل رحلاته فى قوله:

وطوفت للشعر آفاقه عمان وحمص وأوريشلم

أتيت النجاشى فى أرضه وأرض النبيط وأرض العجم.

وفى قوله:

قد سرت مابين بانقيا إلى عدن وطال فى العجم ترحالى وتسيارى

و كان وفد عبد الله بن جدعان على كسرى.

الفرس والأمم السامية قبل الإسلام:

يرى شبيجل أن تأثير الساميين في إيران يرجع إلى ألف سنة قبل الميلاد، وهو تأثير واضح في عقائد وأساطير ساميَّة الأصل. ونحن على قلة ما نعرف من أحوال تلك العصور نتبين علاقةً بين الإيرانيين وبين الآشوريين الذين جاوروهم وحكموا بعضبلادهم عدة قرون، هذه العلاقة التي لم يكن منها بُدٌّ

بحكم الجوار والسلطان ظهر بعضآثارها في اتخاذ الكيانيين اللغة الآشورية لتدوين مآثرهم، فإن نقوش الكيانيين مكتوبة بثلاث لغات إحداها الآشورية. وكلما سطع ضوء التاريخ على حادثات تلك العصور زادت العلاقة بين الإير انيين والساميين وضوحًا، ففي أواخر عصرالأشكانيين وأو ائل العصرالساساني يظهر أثر اللغة الآرامية. ونحن نجد الآثار الفهلوية، مكتوبة بلغة أقرب إلى الآرامية منها إلى الفارسية، وإن الإنسان ليعجب حين يسمع أن الآرامية في فهلوية الأنصاب أكثر من العربية في الفارسية الحديثة، وأن علامات الجمع والضمائر وأسماء الإشارة والاستفهام والموصولات والأعداد من ١ إلى ١٠ وأشهر الأفعال، والأفعال المكملة مثل فعل الكون والذهاب والإدارة والأكل، والظروف، وحروف الجر والعطف كلها من أصل سامي، وليس من الإير اني فيها إلا نهايات الأفعال والضمائر التي في أواخر الكلام، ولكن لذلك تفسير يُذهب العجب بعجب آخر: ذلك أن الساسانيين كتبوا لغتهم بكلمات سامية منعًا للبسفأخذوا كلمات كثيرة من الآرامية مع مقطع فارسيمثلًا فيركبون، يكتبون مع (تن) وهي نهاية المصادر الفارسية فيرسمونها يكتبونتن بدل نوشتن (الكتابة). وقد أشار إلى ذلك صاحب الفهرست حين عدَّ سبعة أنواع من الكتابة استعملها الفرس قبل الإسلام، ثم قال إن عندهم هجاء يسمى زوارشن (هزفارش) لتمييز الكلمات المبهمة، وأنهم كانوا إذا أرادوا أن يكتبوا كوشت مثلًا وهو اللحم كتبوا الكلمة السامية بسرًا ولكنهم يقرءونها كوشت، وإذا أرادوا نان (خبز) كتبوا لهما وقرءوها نان وهكذا. ومن أجل هذا اختفت الكلماتالآرامية حينكتب الفهلوية بخط بازن عند الزردشتيين أو باللغة العربية. ومهما يكن من أمر الخط الفهلوي المبهم العجيب فهو يدل على أن كتَّاب الفهلوية كانوا يعرفون الآرامية. وحسبنا هذا دليلًا على مقدار العلاقة بين الإير انيين والساميين في ذلك العصر.

وأما العلاقة بين الفرس والعرب خاصة فإجمالها في الصفحات الآتية

قبل عهد الساسانيين

تتفق الكتب العربية والفارسية على بعض الأساطير، وأعظم مصادرها كتاب الشاهنامة وإجمالها أن الضحاك هذا كان أميرًا عربيًا من ،« أسطورة الضحاك » للفردوسي، ومنها أمراء اليمن اسمه مرداس، تمثل له الشيطان في صورة شاب صبيح، وزيَّن له قتل أبيه فقتله، ثم تمثل له في صورة طباخ وأعلمه أنهُ حاذق في تجويد الأطعمة، خبير بأصنافها، فاتخذه الضحاك طباخًا له فطبخ له اللحم، وكان الناس من قبل لا يأكلونه، فاستطاب الضحاك ألوان اللحم التي قدمها له طباخه فقربه وركن إليه. ١ ثم سأل الطباخ سيده أن يأذن له في تقبيل كتفيه، فقبلهما ثم ساخ في الأرض فلم يعرف أثره، ونبت على منكبي الضحاك سلعتان كأنهما حيتان، فذُعر لذلك واستدعى الأطباء فلم يهتدوا في أمرها إلى دواء، وكان الضحاك يحس لهما وجعًا، فتمثل الشيطان في صورة طبيب وأشار على الأمير أن يطلي السلعتين بأدمغة البشر، ففعل وسكن الألم،فدأب على ذلك لا يستريح إلا أن يقتل بعض الناس فيدهن بدماغهم حيتيه.وكان جمشيد ملك الفرس قد عتا وتجبَّر وادعى الألوهية، ففزع الفرس إلى الضحاك يستغيثونه،فسار إليهم في جند كثيف وتعقب جمشيد حتى قتله. ثم تسلط على بلاد الفرس وسام الناس ألوان العذاب حتى ثار به جاوه الحداد (كاوه آهنگر) ودعا الناس إلى تمليك أفريدون. وحارب أفريدون الضحاك فهزمهُ، ثم أخذه فقيَّده وسجنهُ على جبال دماوند، ٢ ويقال إن جاوه الحداد حينما أزمع الثورة أخذ الجلدة التي كان يضعها على حجره حين طرق الحديد فعلقها في عصا وجعلها علم الثورة، و اتخذها الفرس من بعد لواءً مقدسًا درفش كاوياني).) « العلم الجاوي » سموه وإذا نظرنا إلى تواريخ الشاهنامة وجدنا الضحاك يتملك على إيران قبل الميلاد بألفين وثمانمائة سنة، وذلك يو افق عهد الدولة البابلية. فإن كان وراء هذه الأسطورة حقيقة فهي تسلط الساميين على إيران. ويؤيد هذا أن كتاب الأبستاق يجعل مقر الضحاك مدينة بَورْي وهي بابل، وكذلك نجد في نزهة القلوب للقزويني أن بابل كانت مستقر الضحاك ونمروذ وقد أشار إلى قصة الضحاك أبو تمام إذ قال:

ما نال ما قد نال فرعون لا هامان في الدنيا ولا قارون

بل كان الضحاك في سطواته بالعلمين وانت فريدون

وفي الشاهنامة وغيرها من الكتب العربية والفارسية أن أفريدون زوَّج أبناءَه الثلاثة تورا وسلما وإيراج من ثلاث بنات لأحد ملوك اليمن. وأفريدون عند الآريين يشبه نوحًا عند الساميين، نسل من أبنائِه الثلاثة خلق كثير، فتورا أبو ملوك توران، وإيراج أبو ملوك إيران وسلم أبو ملوك الروم، فالمصاهرة بين أفريدون وملك اليمن تجعل العرب أخوال كل من نسل من بني أفريدون. وكذلك نجد في الأساطير الفارسية أن مهراب ملك كابل في عهد الملك منوجهر عربي من نسل الضحاك، وإن زال بن سام تزوج بنت مهراب فولدت لهُ رستم بطل أبطال الفرس، فرستم إذن لهُ خئولة في العرب. ومن الروايات التي هي أقرب إلى التاريخ مما تقدَّم حرب كيكاوُس وملك هاما وران (حمير) وأسر كيكاوس في بلاد اليمن، وتنازع أفرا سباب ملك التورانيين، والعرب على ملك إيران، ثم ذهاب رستم إلى اليمن وتخليص كيكاوس. ويقول أبو نواس في القصيدة التي ذكرتها آنفًا:

وقاظ قابوس في سلاسنا سنين سبعا وفت لحسابها

وكان كيكاوس، في القرن العاشر قبل الميلاد في حساب الشاهنامة. وفي بعض الكتب العربية أن ملك اليمن إذ ذاك كان ذا الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش. ومما تقصه الروايات في هذا العهد عهد الكيانيين، الحربُ بين دارأب وبين رجل عربي اسمه شعيب بن قتيب. ودارأب هذا هو، في غالب الظن، دار يوس أخوس٤٠٤ ق.م). –٤٢٤) وأما روايات عهد الساسانيين فهي أقرب إلى التاريخ وكثير منها واقعات تاريخية: في عهد الساسانين لا يكاد يخلو عهد ملك ساساني من أخبار لهُ مع العرب سلمًا أو حربًا. ففي عهد أردشير مقيم الدولة الساسانية نرى هجرة قبائل تنوخ من العراق كراهية الخضوع لسلطانه. ٢٧٢ م) نجد قصته مع ملك الحضر وهو الضيزن – وفي عهد سابور الأول (٢٤١ بن معاوية القضاعي، أو الساطرون كما في بعض الكتب، وذلك أن الضيزن أغار على فارس وأسر أخت سابور أو عمته، فسار سابور إليه وحاصر الحضر حتى استولى عليه، ثم استصلح سابور العرب وأحلَّهم أرضًا بفارس وغيرها. والحضر كان مدينة بالجزيرة الفراتية على أربعين ميلًا من دجلة نحو الغرب إزاء تكريت، وعلى مائتي ميل إلى الشمال من بغداد، ولا تزال أطلالها شاهدة بما كان من عظمها ومنعتها. وكانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها » : ويقول الهمذاني في كتاب البلدان «. وسقوفها وأبوابها، وكان فيها ستون برجًا كبارًا، وبين البرج والآخر تسعة صغار فأما في هذا الزمان فلم يبقَ من الحضرإلا رسم السور

و آثار تدل » : ويقول ياقوت «. على عظمه وجلاله أقول: ولا تزال الآثار ماثلة اليوم دالة على عظمة هذا الحصن الماضية، وروى التاريخ أن الإمبراطورين تراجان وسفريوس حاصراه فلم يقدرا عليه، والشاهنامة تجعل الو اقعة في زمن سابور ذي الأكتاف وتخلط بعض الحادثات ببعض، وقد روى ياقوت في قصة الحضر شعرًا لعدي بن زيد والأعشى، وروى الطبري شعرًا لأبي دواد الإيادي ومن ذلك ما وقع بين أذينة ملك تدمر وسابور الأول أيضًا: فقد أغار أذينة على جيش سابور وهو راجع مظفرًا من حرب فلريان إمبراطور الروم، فانهزم الجيش(أغسطس). ٣٧٩ م): – ومنهُ قصة سابور ذي الأكتاف (٣٠٩ يُرْوى أن بعض العرب أغار بلاده فحاربهم في خوزستان ثم عبر الخليج إلى البحرين وهجر اليمامة، ثم سار إلى الشمال فحارب بني بكر وغيرهم، و أنزل بعض القبائل غير منازلهم. أنزل بني تغلب بدارين والخط، وبعض بكر بصحاري كرمان، وبعض عبد القيس وتميم في هجر واليمامة، وبني حنظلة بالصحاري التي بين الأهواز والبصرة. ويقال إنهُ سمي ذا الأكتاف لأنهُ خرق أكتاف الأسارى من العرب ونظمهم في الجبال. ولذلك عاون العرب جيش الروم حتى هزموا سابور وأخذوا المدائن إلى حين. وكذلك كانت أحداث بين العرب ولا سيما إياد وبين سابور بن سابور ذي الأكتاف. ذكر بعضها المسعودي في الجزء الأول من المروج وتكثر الأحداث بين الفرس وقبائل الشمال عامة ولا سيما ربيعة التي كانت تسمى ربيعة الأسد لجرأتها على الأكاسرة. والصلات بين أمراء الحيرة والفرس منذ نشأت الدولة الساسانية في القرن الثالث الميلادي ليست في حاجة إلى البيان، فحسبي أن أذكر من الحوادث ما يبين عن مكانة المناذرة في دولة الفرس وقوتهم: ٤٠٢) إلى المنذر الأول بتربية ابنه بهرام، فنشأ في الحيرة حتى – عَهِد يزدجرد (٣٩٩ بلغ الثامنة عشرة وتعلم الفروسية والرماية حتى صار مضرب المثل في الرمي بالنشاب، ولا يزال التصوير الفارسي يمثل وقائع بهرام في الصيد ومهارته في الرمي، ثم رجع إلى أبيه فغلبهُ الشوق إلى الحيرة، حتى توسل برسول ملك الروم إلى أبيه ليأذن له في العودة إليها فبقي بها حتى توفي يزدجرد. وأزمع أعيان الفرس ألا يولوا من بني يزدجرد أحدًا، فأيد المنذر و ابنهُ النعمان بهرامَ وأمدَّاه بالجند حتى أرغما الكارهين على تمليكه. وقد حارب المنذر الرومان انتصارًا للفرس وهزم جيوشهم سنة ٤٢١ م، وكذلك حاربهم المنذر الثالث بن ماء السماء وتعقبهم إلى أنطاكية حتى استنجد جستنيان الحاري الأعرابي الغساني، فكانت وقائع بين الأميرين العربيين أسر فيها المنذر ابنًا للحارث فقربهُ للعزّى (الصنم) و انتهت بقتل المنذر في موقعة عين أباغ أو يوم حليمة. وفي عهد قباذ حينما اضطرب أمر الفرس بفتنة مزدك أغار

الحارث بن عمرو الكندي على الحرة وأخرج منها المنذرين ماء السماء وصادف ذلك هوى في نفس قباذ فأيَّد الحارث. ويروى أنهُ أرسله لحرب أحد تبابعة اليمن فلما ولي كسرى أنوشروان وفتك بمزدك و أنصاره رد إمرة الحيرة إلى المنذر. وفي عهد كسرى برويز حوالي ٦١٠ م كانت موقعة ذي قار، وذلك أن كسرى برويز قتل النعمان أبا قابوس وطلب ودائعه عند هانئ بن مسعود الشيباني فأبى إسلامها، وكان كسرى قد ولى إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة، فسار إياس في جموع من بكر، ووقعت الحرب وتمادت ثلاثة أيام آخرها يوم ذي قار، ودارت الدائرة على الفرس و أنصارهم من العرب.

هذه صلات الفرس وعرب الشمال، كان للفرس مع هذا سلطان على ساحل الجزيرة الشرقي واليمن: حاول الجيش الاستيلاء على اليمن في القرن الثاني الميلادي و أتيح لهم أن يستولوا على بعض مدنه في القرن الثالث، ثم أخرجهم الحميريون، فلما تنصر الجيش في القرن الرابع أيدهم الرومان على الحميريين ففتحوا اليمن ٣٧٤ م، ويظهر أن الفرس طمحوا إلى اليمن منذ ذلك الحين، فقد كان النزاع الذي شجر بينهم وبين الروم منذ قامت الدولة الساسانية حريًا أن يلفَّهم إلى اليمن بعد أن تألب عليهِ الروم أعداؤهم الألدَّاء والحبش. ولسنا ندري من أخبار الفرس في اليمن شيئًا قبل القرن السادس الميلادي إذ تهوَّد تُبَّعٌ ذو نواس وأكره النصارى على التهوُّد وعذَّبهم فغضب لهم الروم والحبش، وأمد الإمبراطور جستنيان الحبش وسلَّطهم على اليمن حتى استغاث سيف بن ذي يزن كسرى أنوشروان فأمده بجيش حملتهُ السفن في الخليج الفارسي إلى عمان، ثم سار في البر و انحاز إليهِ أهل اليمن فهزموا الحبش وتولى على البلاد سيف بن ذي يزن حتى قتله حرسه الحبشي، فاستقل بأمر البلاد ولاة من الفرس توالوا عليها حتى جاءَ الإسلام والوالي يومئذ باذان، وبقي كثير من الفرس في اليمن واستعربوا وكانوا يسمون الأبناء، ولما جاء الإسلام أسلموا وأخلصوا لله إسلامهم، وكانوا من بعدُ عونًا على الثائرين في حروب الردة، وهم قتله الرجل الصالح فيروز» : قتلوا الأسود العنسي، وقد روي أن الرسول قال حين ذلك ويروى أن فيروز وفد على النبي، ورويت عنهُ أحاديث وعرف من رؤسائهم ،« الديلميُّ غير فيروز الديلمي. ويقال له فيروز الحميري أيضًا النعمان بن بُزُرك ومركبود، وهو أول من حفظ القرآن في صنعاء فيما يقال. ولما ارتدت بعض قبائل اليمن بعد وفاة الرسول صلوات لله عليهِ كتب الخليفةأما بعد فأعينوا الأبناء وحوطوهم واسمعوا من فيروز» : أبو بكر إلى بعض رؤساء اليمن «. وجدوا معهُ فإني قد وليَّتهُ وقد رأى قيس بن عبد يغوث زعيم الثائرين أن فيروز والأبناء عقبة في طريقه فدبَّر لإخراجهم من

اليمن ولكن فيروز لجأ إلى أخواله من قبيلة خولان وكتب إلى غيرهم من القبائل فأفسدوا على قيس تدبيره. وكذلك كان للفرس سلطان على البحرين وجاءَ الإسلام وفي البحرين فرس مستوطنون ومرزبان اسمهُ سيبخت، ويروى أن الرسول صلوات لله عليه وسلامه كتب إليهِ فأسلم، وكان لفيروز المعروف بالمكعبر زعامة في حروب الردة هنا وكانت التجارة تتردد بين بلاد الفرس واليمن في خفارة قبائل لها جُعل من ملوك الفرس.وأما ما » : قال صاحب الأغاني في الحرب التي كانت بين تميم والفرس وأحلافهم وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية، فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بعيرًا، وكان باذان على الجيش الذي بعثهُ كسرى على اليمن، وكانت العير تحمل نبعًا فكانت تبذرق ٧ من المدائن حتى تدفع إلى النعمان ويبذقها النعمان بخفراء من ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هوذة بن علي الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنفية ثم تدفع إلى سعد (من تميم) وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها إلى عماباذا.« باليمن هذا إلى ما ضمنتهُ كتب التاريخ والأدب من وفود رؤساء العرب في الحين بعد الحين على ملوك فارس، واستعانة الفرس بهؤلاء الرؤساء فيما يهمهم من أمور العرب. وفي الأغاني جملة من هذا في أخبار كسرى أنوشروان وكسرى برويز، وليرجع إلى أخبار هوذة بن علي الحنفي، وقيس بن مسعود، و إياس بن قبيصة الطائي وعبد لله بن جدعان الذي يقال إنهُ وفد على كسرى فأعجبه بعض الأطعمة فأخذ إلى مكة طباخًا ليصنع له هذا الطعام، ولو جمعت هذه النتف المتفرقة لصورت لنا بعض التصوير علاقات الفرس والعرب في ذلك العصر.

الصلات الأدبية بين الأمتين

تجاورُ الفرس والعرب وتخالطهم، وما وقع بينهم من أحداث المودة أو العداوة وغِيَر الحرب والسلم، وتردد القوافل التجارية، بين جزيرة العرب و إيران، واستعانة الفرسبرؤساء العرب، والتجاء هؤلاء الرؤساء إلى الفرس فيما يحزبهم من الخطوب — كل هذا، لا ريب، يصل لغتي الأمتين، ويقرب بين آدابهما، وعندنا أثارة من هذه الصلات في العصر الساساني ولا سيما أواخره، وإذا قسمنا العصر البعيد الذي لم يسجل التاريخ أخباره، بالعصر القريب من الإسلام ظننا أن الصلات بين الأمتين في الأمور الاجتماعية والأدبية أقدم عهدًا مما عرفنا. ومن القصص الأدبية التي أثرها الرواة قصة بهرام جوربن

يزدجرد الأثيم فقد بعث بهِ أبوه إلى الحيرة لينشأ بها — كما تقدم — فتعلم هناك لغة العرب وشعرهم، إن بهرام جور« المعجم في معايير أشعار العجم » ويقول شمس الدين الرازي في كتابه أول من نظم الشعر بالفارسية و أنهُ أخذ الشعر من العرب في الحيرة، وأن علماء الفرس استهجنوا منه قرضه الشعر فهووه عنه، وهي قصة معروفة في الكتب العربية والفارسية بل روى بعض المؤلفين لبهرام شعرًا فارسيًا وعربيًا، والقصة إن لم تصح في صورتها لا تخلُ من دلالة على صلة أدبية قديمة. وعندنا مثل آخر أقرب عهدًا وأدخل في التاريخ، نجده في أخبار عدي بن زيد العبادي وأسرته. فأبوه تعلم الفارسية وتولى البريد لكسرى برويز، وعدي كان من أكتب الناس بالعربية والفارسية وكتب في ديوان كسرى وخلفه في عمله ابنه زيد. وجاء في شعر عدي كما جاءَ في شعر الأعشى ألفاظ فارسية وتسربت إلى العربية كلمات فارسية كما دخل في الفارسية كلمات عديدة كانت مقدمة للكلمات الكثيرة التي دخلت اللغة الفارسية في العصور الإسلامية، وقد عرف العرب من أخبار الفرس وقصص أبطالهم كقصة رستم واسفنديار وهي من أروع قصص الأدب الفارسي. ففي سيرة ابن هشام أن النضربن الحارث كان يجلس لأهل مكة فيقول: يحدثكم محمد بأخبار عاد وثمود و أنا أحسن حديثًا منهُ، هلموا أحدثكم بأخبار رستم واسفنديار والأكاسرة. وفي بعضالروايات أن النضراشترى كتب الأعاجم فكان يحدث منها. ويقول بعض المفسرين: نزلت في شأن النضر هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ

آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وكذلك كان دين الفرس معروفًا عند العرب، وفي كثرة ذكر القرآن المجوس دليل على هذا. وكان المجوس في البحرين ويقال إنهُ كان في بني تميم من يعبد النار وأن لقيط بن زرارة سمى ابنته دختتوش وهو اسم فارسي كاسم (قابوس) الذي سمي به بعض المناذرة وأحسبهُ معرب (كاءوس).

العرب والفرس بعد الإسلام

بينما كان الإسلام يجمع شمل العرب ويعدهم للسيطرة على العالم كان الفرس مسيطرين على عرب الحيرة يستعينون بهم على الأعراب وعلى الرومان، كما كان الرومان يستعينون بالغساسنة في الشام وكان لهم بعض السلطان في اليمن والبحرين. فلما استقام للعرب أمرهم خلص اليمن بغير عناء وأسلم

الفرس هناك طائعين، حتى قاتلوا مع المسلمين الأسود العنسي المتنبي، وكذلك أجلى عامل كسرى على البحرين أيام أبي بكر، وأسلم هناك من أسلم وأعطى الجزية من بقي على دينه، ثم عاد بالمسلمين الفتح فإذا هم يقاتلون في جهات العراق عربًا وفرسًا قد تخالطوا وتناصروا حتى كان العرب يدًا مع الفرس على العرب، فخالد بن الوليد يقول لأهل الحيرة: أعرب أنتم فما تنقمون من العرب؟ فيحتجون لعربيتهم بأنهم ليس لهم لسان غير العربية. تغلغل المسلمون في فتح بعد آخر، صلحًا وحربًا حتى أيقن الفرس أن الأمر أعظم مما حسبوا وأنها ليست كغارات العرب التي عهدوا، وكانوا قد اجتمع أمرهم بعد الفرقة ليزدجرد الثالث فساقوا على العرب جيشًا حشدوا فيه من عُدد الحرب وجُندها ما لا عهد للعرب بهِ، ولم يكن للعرب بد من المقاومة فاستنجدوا الخليفة عمر فأهمتهُ حرب فارس وندب الناس إليها فتثاقلوا إعظامًا لأمر الفرس. واستثار المسلمون العصبية العربية درءًا للخطر فدعوا إلى القتال المسلمين وغيرهم من العرب. وقد اهتم الفرس بأمر القادسية أيما اهتمام، وارتقب العرب عقباها من الذيب إلى عدن أبين ومن الأيلة إلى أيلة كما يقول الطبري.

وكانت القادسية أعظم وقائع الفتح، وأكبرها نتائج، ولكنها لم تكن خاتمة الوقائع العظيمة. فموقعة نهاوند التي سماها العرب فتح الفتوح، وهي آخر الوقائع العظيمة بين المسلمين والفرس كانت بعد القادسية بسبع سنين، وبينهما وقائع ذات خطر. الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام وكان ملك الفرس يزدجرد لا يزال يكر على العرب في الحين بعد الحين وقد تعقبهُ العرب إلى أقصىالشرق فاستمدَّ الترك فلم يغنوا عنهُ، واستمرَّ على ذلك حتى سنة إحدى وثلاثين، سبعة عشر عامًا بعد القادسية. فبينا يهيأ لصلح العرب على بعض الأقاليم قتله بعض رعيته كما قتل دارا من قبل بينما يتعقبهُ الإسكندر المقدوني. وبذلك تم للعرب الاستيلاء على جمهرة البلاد إلا جهات في طبرستان وحيلان لم تفتح إلا بعد قرنين وبقي بعد ذلك أمراء في جهات نائية قرونًا طويلة. فتح العرب الأقطار باسم الدين فلم يكن إلا أن يسلم الفارسي فإذا هو واحد من المسلمين الفاتحين تسعةُ الأخوة الإسلامية العامة، ثم كان حكمهم على مصائب الحروب وفظائعها عدلًا لا عنف فيهِ. وكان في الفرس على هذا من وجدوا في الفتح الإسلامي مخلصًا من اضطهاد ديني ونجاة من مغرم مالي، أو وسيلة إلى جاه. فالديلم من جند الفرس انحازوا إلى المسلمين بعد القادسية وأسلموا وعاونوا في و اقعة جلولاء، ثم استوطنوا الكوفة. ونجد من الفرس مثل (أبي الفرخان) الذي عاون العرب في فتح الري فولّي عليها. ونجد مرزبان

مرو يخذل يزدجرد ثم يرسل أمواله بعد أن قتل إلى أمير العرب هناك. وقد أعطى العرب الفرس الذين قاتلوا معهم حظهم من الغنائم وفرض عمر في العطاء للمرزبان في المدينة. ولما سار المسلمون لفتح السوسي تقدم إليهم قائد فارسي اسمهُ سياه وعرض عليهم أن يسلم هو وجماعة معهُ على شروط منها أن يفرض لهم عطاء كأكثر عطاء يأخذه عربي، فكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر ففرض لمائة منهم عطاء ألفين ولزعمائهم ألفين وخمسمائة،

وأحسن العرب إلى الفلاحين الذين لم يقاتلوا. ويقول الطبري (عن أهل فارس): وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمن الأكاسرة، فكانوا كأنما هم في ملكهم إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم فاغتبطوا وغبطوا. وقد بقي الفرس أحرارًا في دينهم وبقيت معابد النار في الجهاتِ كلها ولا سيما في فارس. فقد حكى المؤرخون كالإصطخري و ابن حوقل أنهُ لا توجد قرية في فارس بغير بيت نار وأن جمهور أهلها من عبدة النار وأنهم في شيراز لا يمتازون من المسلمين في مظاهرهم، وكانت معابد النار تحمى ويعاقب مخربوها. و إنما تناقص عدد الزردشتيين بدخول كثير منهم في الإسلام، وقد دخلوا فيه أفواجًا حتى شكا عامل خراسان إلى عمر بن عبد العزيز قلة الجزية فأرسل إليه أن لله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم هاديًا ولم يبعثهُ جابيًا، على أنهم بقوا كثيرين إلى عهد قريب. ويقول إن كرمان حين حاصرها محمد خان قاجار كان فيها ١٢ ألف Khonikof خنكوف أسرة زردشتية. و إنما أفيض في هذا لأبين أن العرب والفرس بعد الفتح لم يكونوا في نضال مستمر، وأن العرب لم يستعبدوا الفرس كما يزعم بعض المؤرخين. ولم يفعل العرب إلا أن حطموا الحدود الوطنية فدخل الفرس في جماعة أوسع من جماعتهم، وشاركوا في العلوم والآداب التي تعاونت عليها الأمم الإسلامية، ونالوا عليها المناصب. فالبرامكة مثلًا كانوا يدبرون للعباسيين ملكًا أعظم وأوسع مما كان يدبره برزجمهر لأنوشروان.

اللغة الفارسية في القرنين الأولين

الآداب الفارسية الحديثة تؤرَّخ من أواخر القرن الثالث الهجري — كما يأتي — فماذا أصاب اللغة الفارسية في المدة التي تلت الفتح الإسلامي؟ وماذا أصاب الفرس في هذه الحقبة؟ في إجابة هذين السؤالين يجب أن نفرِّق تفريقًا تامًا بين الكلام على الفرس، والكلام على اللغة الفارسية؟ فأما اللغة الفارسية فالكلام عنها من جهتين: من حيث إنها لُغَةُ تَخَاطُبٍ ومن حيث إنها لغة العلم والأدب. فأما من

الوجهة العلمية فقد وقفت اللغة وقفة طويلة، ولم يؤلَّف فيها إلا كتب قليلة معظمها في الدين. ويمكن أن يقال أن إنتاجها قلَّ على مر الزمان حتى عقمت تمامًا بعد قرنين من ظهور الإسلام. فالكتب التي أُلِّفَتْ في العصر الإسلامي وبقيت على الزمن لا تتجاوز عصر المأمون، وأكثرها كتب دينية أراد بها الزردشتيون الدفاع عن دينهم والإبقاء عليه وقد تقدم ذكر بعضها. ولكن كان للغة الفهلوية عمل أعظم من هذا وأبقى أثرًا هو حفظها آداب الساسانيين وتاريخهم في كتبها لتكون مصدرًا للترجمة العربية، ولتكون من بعدُ أساسًا للآداب الفارسية الحديثة، فقد بذل رجل الدين أو الموابذة وأصحاب المزارع — أي الدهاقين — جهدهم في حفظ كتبهم، وكان الساسانيون من قبلُ ذوي عناية بالكتب وحفظها. ويمتاز إقليمان في إيران بأن كانا موئل الآثار الفارسية: فارس وخراسان، كما امتازت طبرستان بوعورة أرضها وكثرة غاباتها فبقي استقلال الفرس فيها مدة طويلة. فأما خراسان فكانت مبعث الشعر الفارسي الحديث، وأما فارس مهد الدولة الفارسية القديمة فقد لاذ بجبالها جماعة من الزردشتيين، فعكفوا على درس آدابهم وتاريخهم.

وقد بقيت اللغة الفارسية لغة الدواوين المالية في إيران حتى زمان عبد الملك بن مروان لغة التخاطب، ولا ريب أنها بقيت لغة التخاطب في إيران، ولا سيما في القرى والنواحي البعيدة فإنا قد وجدناها منذ القرن الثالث ترتقي إلى أن تكون لغة آداب، واللغة لا تموت جملة واحدة ولا تُخلق جملة واحدة. على أن كثيرًا من الدلائل يثبت أنها كانت لغة الكلام في هذه الفترة، أي قبل عصرها الأدبي الحديث. وقد روى الطبري أغنية فارسية قيلت حينما رجع أسد بن عبد لله من غزوة في بلاد الختل. وقد انتقلت منها كلمات كثيرة إلى البلاد العربية مع النازحين من الفرس وتأثرت بها لهجات بعضالعرب. وقد روى المؤرخون، أن إبراهيم الإمام العباسي حينما وإن استطعت ألا تبقي في خراسان لسانًا » : أوصىأبا مسلم الخراساني ببث الدعوة قال وهذا يدل على أن لغة الجمهور هناك كانت الفارسية، بل كانت الفارسية ،« عربيًا فافعل لغة الفرس الذين نزحوا إلى العراق وامتزجوا بالعرب، فأرسل عبد الملك بن مروان إلى المختار بن أبي عبيدة حينما جاءوا معسكر ابن الأشتروكان معظم أنصاره من الموالي، بلم يسمعوا لغة عربية، وعبد لله بن زياد، وهو أمير عربي، كانت فيه لكنة فارسية (أخذها من زوج أمه). والفرس الذين عرفوا العربية لم يخلصوا من لغتهم ولهجتها، وقد روى الجاحظ شريكاتنا » : أن الحجاج قال لنخاس فارسي: أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان! فقال الحجاج: ويحك ما تقول؟ ،« في أهوازها وشريكاتنا في مدائنها

وكما تجيء تكون فقال بعض من كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك: يقول: شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب، فنحن نبيعها على وجوهها. و أبو مسلم الخراساني على فصاحته التي جعلت رؤبة بن العجاج يقول: ما رأيت أعجميًا أفصح منه، كان لا يستطيع النطق بالقاف، وبابك الخرَّمي كان لسانه منعقدًا بالفارسية كما يقول صاحب الفهرست. ويحدثنا الجاحظ أن لغة أهل البصرة بل لغة أهل المدينة، كان بها كثير من الكلمات الفارسية في أيامه، مما يدلنا على بقاء الفارسية وتأثيرها البعيد. ويحدثنا أيضًا أنهُ سأل خادمًا لهُ إلى من أرسل هذا الغلام؟ فقال: إلى أصحاب السندنعال، يعني النعال السندية. وأمثال هذا في كتب الأدب كثير وهو يحكي في كتاب البخلاء جملًا فارسية كثيرة. ولهذا ثار النزاع منذ أيام أبي حنيفة على قراءة القرآن بالفارسية. و(به آفريد) الفارسي المتنبي على عهد أبي مسلم لما أراد أن يضع لأتباعه كتابًا وضعهُ بالفارسية، ولست في حاجة إلى ذكر ما دخل العربية من الفارسية لا سيما في أسماء الطعون والأثاث، فكُتب اللغة كفيلة بهذا، بل نجد بعض الشعراء يتملح بذكر ألفاظ فارسية في شعره. وقد روى بعض ذلك الجاحظ وجاءَ في شعر العماني الذي مدح بهِ الرشيد.

الفرس في الدولة والجماعة الإسلامية

وأما الفرس أنفسهم فقد خلطهم الإسلام بالعرب أي خلط، فالقبائل العربية انتشرت في الأرجاء الفارسية، والفرس انتقلوا إلى البلاد العربية أسارى أو مهاجرين طلبًا للرزق أو العلم أو المناصب. فالمدينة على نأيها كان بها فرس، وهم قتلوا هنالك عمر وسعيد بن عثمان بن عفان. وسرعان ما تعلم الفرس العربية وشاركوا في العلوم الإسلامية. ولكن كان للفرس قبل قيام الدولة العباسية حال تختلف عن حالهم بعدها كل الاختلاف. كانت دولة الأمويين عربية وقليل من غير العرب من سَمَوْا فيها إلى إلى الدرجات العالية، ولم تكن هذه سنة الإسلام ولكنها الضرورة. وكان العرب — لأنهم دعاة الدين وأصحاب الدولة ولأنهم الذين أقاموا الملك ونشروا الدين — يرون أنفسهم أجدر بالرياسة وأولى بالشرف على ما كان فيهم من الاعتداد بأنفسهم والفخر بأنسابهم منذ أيام الجاهلية، فسخط الفرس من أجل ذلك عليهم، ولكن الفرس لم يكونوا قد أفاقوا من دهشة الفتح الإسلامي ولم يكونوا قد

تمكنوا في الإسلام واللغة وامتزجوا بالعرب امتزاجًا يمكنهم من منافسة العرب. وما كان العرب قد ضعفوا وتغيروا وتفرقوا في الأقطار، بقي الفرس ساخطين لهذا ولعصبيتهم لآل البيت فاستعان بهم الثائرون على الأمويين، فكانوا عونًا للمختاربن أبي عبيد ولعبد الرحمن بن الأشعث، وكان جيش المختار من الموالي إلا قليلًا. وقد عتب العرب عليهِ إذ استعان بالعتقاء من الموالي ثم إعطائهم حظهم في الغنائم. ولما قال رسل عبد الملك لابن الأشتر: أجئت تقاتل جيوش الشام بهؤلاء؟ أجاب: ما هؤلاء إلا أبناء أساورة الفرس. وإذا نظرنا إلى أن جيش المختاركان أول من ثأرللحسين بن علي وقتل من قتله أو أعان على قتله، عرفنا أحد الأسباب التي جمعت بين التشيع والفرس منذ أمد بعيد. جاءت الدعوة العباسية وقد تهيأت الأسباب ليأخذ الفرس مكانهم في الأمة الإسلامية،

فكانوا أخلص دعاة هذه الدولة وإليهم يرجع الفضل في إقامتها، وقد رأى نصر بن سيار في هذه الدعوة خطرًا على العرب والإسلام كانت الدعوة العباسية خليطًا من الدين والعصبية والفارسية فأبو مسلم كان فارسيًا ومسلمًا غيورًا مخلصًا. وقد أسلم من أجله كثير من دهاقين الفرس، وهو الذي قتل المتنبي الفارسي (به آفريد) حين انتهز فرصة الدعوة فقام يحيي الزردشتية، وكان أبو مسلم قد دعاه من قبل فأسلم وسوَّد. وهذه العصبية الدينية تتمثل في تسمية أهل خراسان الرماح التي خرجوا بها لنصرة العباسيين: كافر كوب — أي مضارب الكفار. ومهما يكن، فلا أخال البيروني قد أخطأ حين سمى الدولة العباسية .« خراسانية شرقية كان للدعوة العباسية وما عقبها من قيام الدولة نتائج كثيرة، وإنما يعنينا منها ما يتعلق بالفرس. فقد أنعشت الآمال في نفوسهم ومكنت لهم في الدولة وخلطتهم بالعرب خلطًا تامًا، وكان من مظاهر هذا الانتصارفي بلاد الفرس ظهوردعوات دينية جديدة وثورات: (به آفريد) انتهز الفرصة لوضع دين قريب من الزردشتية فأعجله أبو مسلم وقتله. وقد أعُجب الفرس بأبي مسلم أيما إعجاب، فلما مات أنكر المسلميَّة موته وقالوا: إنه اختفى وسيجيء مهديًا من بعد. ومنهم من قال إنه نبي بعثه زردشت، وقد دعا إلى هذا داعية فارسي في بلاد الترك يعرف باسم إسحاق التركي. وقام صديق من أصدقاء أبي مسلم اسمه سنباذ يقول: مرد بالفارسية: رجل.

إن أبا مسلم اختفى في صورة حمامة بيضاء، ثم يعلن أنه سيذهب لهدم الكعبة انتقامًا لصديقه، وقد جمع حوله زهاء مائة ألف ولكن ثورته لم تلبث طويلًا، وتلت ذلك ثورات يوسف البرم والمقنع الخراساني

وعلي مزدك، وبابك الخزمي، وأكثرها مصحوب بذكرى أبي مسلم. ثم جاء القرامطة وفعلوا ما فعلوا وكان منهم ابن أبي زكريا الذي شرع لهم أن من أطفأ النار بيده قطعت يده، ومن أطفأها بفمه قطع لسانه وهذا من أثر الزردشتية. كل هذه مظاهر تحتاج إلى شرح واستقصاء ولها دلالتها على بقايا العصبية الدينية والجنسية في نفوس الفرس، هذا في بلاد الفرس. وأما أثرهم في سياسة الدولة وفي حاضرة الإسلام بغداد فقد كان للفرس الرجحان على العرب عند الخلفاء منذ قيام الدولة. وقد بلغ الأمر غايته حين تنازع الأمين والمأمون، فكان المأمون في مرو من أقصى خراسان أشبه بخليفة فارسي، وقد أعانهُ الفرس على حرب أخيه الذي كان يعتز بالعرب. وروي أن أول شعر فارسي نظم في مدح المأمون إذ ذاك، فلما غاب المأمون تمت الغلبة للفرس. ثم استمروا مسيطرين على الخلفاء حتى أديل منهم لأتراك المعتصم، حتى إذا قامت الدول الفارسية، ملك بنو بويه بغداد إلى أن كان طور السلطان التركي فأديل منهم للسلاجقة. ساس الفرس الدولة على قواعد الساسانيين وقلد الخلفاء وغيرهم الفرس في ملابسهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم، أمر الخليفة المنصور أن تلبس القلنسوة الفارسية، و اتخذ هو ومن بعده الحلل المذهبة على الأساليب الفارسية، وقد أبقى الزمن من نقود الخليفة المتوكل ما يظهر هذا الخليفة في زيٍّ فارسي كامل. ومن الكلمات الجامعة في هذا ما قاله المتوكل حين أراد إصلاح السنة المالية ورد النيروز إلى مكانه من قد كثر الخوض في ذلك ولست أتعدى » : العام فأحضر الموبذ ليستعين بهِ. قال الخليفة وسأله رأيه في الإصلاح. «. رسوم الفرس وكان من آثار هذا الاختلاط والتنافس ظهور الشعوبية من فرس وغيرهم، وهم الذين قاموا يردون على العرب دعواهم في فضلهم على الأمم. ولم يقتصر الشعوبية أن يسووا أنفسهم بالعرب، بل تمادى الجدل بهم إلى تفضيل غير العرب عليهم، كان من الشعوبية غير الفرس، وكان من الفرس أنصار للعرب، ولكن النزاع كان في معظمه نزاعًا بين العرب والفرس، وقد تناضل الفريقان عن كثب وأرسلوا الكلام إلى غاياته في غير تحرج، وهذا طبيعي في الأمم إذا خالط بعضها بعضًا وتنافست على السؤدد؛ ولذلك يكثر التفاخر بين فريقي الأمة الواحدة لشدة الاختلاط والتنافس، ونزاع العدنانيين والقحطانيين وتنافسهم كان أقرب إلى القتال والبغضاء من تنافس الفرس والعرب. ولا يتسع المجال لبيان هذا. فعلان الشعوبي الفارسي، وهو نساخ في بيت الحكمة أيام الرشيد والمأمون، كتب كما يقول ابن النديم، وسهل بن « هتك العرب فيه وأظهر مثالبها » كتاب الميدان الذي هارون صاحب خزانة الحكمة في عهد المأمون كان شديد العصبية على العرب، وقد

كتب رسالة في البخل وكأنه أراد بها الزراية بالجود الذي كان عمدة مفاخر العرب، وسعيد بن حميد بن البختكان لم يتحرج وهو على مقربة من الخلفاء أن يكتب كتابًا يسميه فضل العجم على العرب، وأشباه هؤلاء كثيرون. وقد استمرَّ النزاع في الكتب عصورًا طويلة وليس يسعنا أن نستقصيه الآن. ولكن ينبغي أن يقال: إن صدور الناس وسعت هذا التنافس عن كثب فلم يضطهد أحد من أجله.

أثرهم في الآداب العربية

بعد هذا كله نسأل السؤال الذي يفهم جوابه استنتاجًا مما تقدم: ما أثر الفرس في الآداب العربية؟ مهما تحدث الناس عن النزاع بين العرب والفرس، فإن هذا النزاع لا يشرح لنا كل شيء، كان المتنازعون إما من الرؤساءِ ومن التفَّ حولهم، وإما من الطامعين في الزعامة والمناصب. وأما العلماء أكثرهم فكانوا كدأبهم في كل زمان يعملون ولا تسمع أصواتهم، وهم الذين تعاونوا على إغناء اللغة العربية بالكتب في شتى الفنون. فقد تقدم الفرس النجباءُ لحمل الأمانة العلمية منذ العهد الأموي وثابروا فإذا هم متقدمون في فنون كثيرة؛ في التفسير والحديث والفقه، حتى علوم العربية من نحو وصرف وعروض،والآداب العربية شعرها ونثرها قديمها وحديثها. وما عني هؤلاء العلماء بالكلام عن الفرس والعرب بل كانوا يتحرجون أن يخوضوا في هذا، وكان حسبهم أن ينصروا الدين وعلومه. وحسبنا أن نذكر هنا أمثال الحسن البصري والبخاري، ومسلم والإمام أبيحنيفة، ومحمد بن جربر الطبري و ابن قتيبة و ابن فارس. على أن المتعصبين أنفسهم قد اتخذوا العربية لغتهم ولم يجعلوها موضع نزاع ولا عدلوا بها لغة أخرى. والحق أن كراهتهم للعرب لم تكن كراهة للغة العربية. وأصدق شاهد على هذا أبو عبيدة اللغوي؛ كان شعوبيًا متعصبًا على العرب، وأصله يهودي فارسي، ونحن نعلم ما أجدت مؤلفاته على اللغة العربية وما بذل من جهد لحفظها ورواية آدابها. ومن هذه الآداب كتابهُ في مثالب العرب.

وللفرس يد أخرى على الآداب العربية، هي ترجمتهم ذخائر لغتهم إلى اللغة العربية ترجمة حاذق قد اتخذ العربية من لغتهِ بديلًا، ولعل عصبيتهم حفزتهم إلى هذا ليحفظوا آثارهم من الضياع وتقوم لهم الحجة بما يترجمون على فضل آبائهم وعظم حضارتهم. وقد بدأت هذه الترجمة — فيما يظن — أيام الخليفة هشام بن عبد الملك؛

ترجم جبلة بن سالم كاتب هشام سير ملوك الفرس، ثم جاءَ زعيم المترجمين ابن المقفع وعبد الحميد بن أبان وآل نوبخت، قد عد صاحب الفهرس أربعة عشر مترجمًا غير ابن المقفع وأسرة نوبخت.

والكتب التي ترجمت من الفارسية أقسام ثلاثة:

١) كتب في الحكمة: وهذه ليست ذات خطر، فإنما هي فلسفة اليونان جاءَت من) طريق الفرس، وكان العرب يأخذونها من مصادر خير من الفارسية.

٢) وكتب في التاريخ والقصص: مثل كتاب (خداي نامه) أو سير الملوك، وكتاب) التاج في سيرة أنوشروان اللذين ترجمهما ابن المقفع، وسيرة أردشير، وسيرة أنوشروان اللتين ترجمهما أبان اللاحقي. وبعضها مأخوذ عن السجلات الرسمية الفارسية. وهذه الكتب لها أثرها في كتب التاريخ العربي، وهي أصل لكل ما في الكتب العربية من تاريخ الفرس وأساطيرهم، فأخبار الساسانيين في الطبري مثلًا مأخوذة منها، يثبت هذا مقارنة الكتب العربية بعضها ببعض وبالكتب الفارسية كالشاهنامة. فهذه الكتب على اختلاف مصادرها المباشرة تتفق في سرد التاريخ اتفاقًا يؤدي إلى الاعتقاد بأنها أخذت من أصل واحد. ٢

٣) وكتب المواعظ والآداب والسياسة وما يتصل بها: مثل عهد (أردشير بايكان)) على ابنه سابور، وعهد أنوشروان إلى ابنه هرمز، وجواب هرمز إياه، ورسالة كسرى إلى زعماء الرعية وكتاب (زادان فرخ) في تأديب ولده، و آيين نامه الذي ترجمهُ ابن المقفع

وقد أمدت هذه الكتب اللغة العربية بثروة من الحكم الأخلاقية والأقوال المأثورة تتجلى في مثل كتب ابن المقفع: كليلة ودمنة، والأدب الكبير، والأدب الصغير، واليتيمية. وهي من أصول كتب الأخلاق العربية التي ألفت من بعد. ومن هذا النوع الكتب التي عرفت باسم المحاسن، أو المحاسن والمساوئ مثل: المحاسن لعمر بن الفرخان الطبري (في عصر المأمون)، والمحاسن المنسوب لابن قتيبة، والمحاسن والمساوئ للبيهقي، والمحاسن والأضداد للجاحظ. فهذه الكتب لها نظائر في الفهلوية أُلفت حتى في العصر الإسلامي، وهي معروفة باسم شايد تشايد، أو (شايسته نشايسته) أي اللائق وغير اللائق. وكتب التاريخ والأخلاق والأدب لها أثر كبير في الأدب العربي بالمعنى الأخص، أعني الكلام البليغ نظمه ونثره. فهذه الأساليب المسهبة السهلة التي تقدم بها عبد الحميد وتلاه فيها ابن المقفع وغيره تأثرت بالأساليب الفارسية كما كانت موضوعاتها فارسية. وقد ذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين وهو يحتج على أن البلاغة ترجع إلى المعاني، ذكر أن الذين عرفوا لغات غير العربية نقلوا بلاغتها إلى العربية في كتابتهم،

وضرب مثلًا بعبد الحميد الكاتب إذ أجدت على العربية بلاغته الفارسية. ولا ينسى أثر الفرس في كتابه الدواوين ونظامها. ومن يطلع على كتاب الوزراء والكتَّاب للجهشياري يتبين أن قوانين الفرس في الكتابة كانت معروفة عند كتَّاب العربية. وأمر آخر يرجع إلى الشعر، هو الشعر المزدوج الذي نظم بهِ ابن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة وغيره. فقد نظم شعراء الفرس فيما بعد كل ما نظموا من قصص في هذا النوع من النظم وسموه المثنوي، فلعل هذا النوع من أثر الفرس في اللغة العربية أيضًا على قلة معرفتنا بحال الشعر عند الفرس قبل الإسلام. وقد أمدت هذه الكتب اللغة العربية بثروة من الحكم الأخلاقية والأقوال المأثورة تتجلى في مثل كتب ابن المقفع: كليلة ودمنة، والأدب الكبير، والأدب الصغير، واليتيمية. وهي من أصول كتب الأخلاق العربية التي ألفت من بعد. ومن هذا النوع الكتب التي عرفت باسم المحاسن، أو المحاسن والمساوئ مثل: المحاسن لعمر بن الفرخان الطبري (في عصرالمأمون)، والمحاسن المنسوب لابن قتيبة، والمحاسن والمساوئ للبيهقي، والمحاسن والأضداد للجاحظ. فهذه الكتب لها نظائر في الفهلوية أُلفت حتى في العصر الإسلامي، وهي معروفة باسم شايد تشايد، أو (شايسته نشايسته) أي اللائق وغير اللائق. وكتب التاريخ والأخلاق والأدب لها أثر كبير في الأدب العربي بالمعنى الأخص، أعني الكلام البليغ نظمه ونثره. فهذه الأساليب المسهبة السهلة التي تقدم بها عبد الحميد وتلاه فيها ابن المقفع وغيره تأثرت بالأساليب الفارسية كما كانت موضوعاتها فارسية. وقد ذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين وهو يحتج على أن البلاغة ترجع إلى المعاني، ذكر أن الذين عرفوا لغات غير العربية نقلوا بلاغتها إلى العربية في كتابتهم، وضرب مثلًا بعبد الحميد الكاتب إذ أجدت على العربية بلاغته الفارسية. ولا ينسى أثر الفرس في كتابه الدواوين ونظامها. ومن يطلع على كتاب الوزراء والكتَّاب للجهشياري يتبين أن قوانين الفرس في الكتابة كانت معروفة عند كتَّاب العربية. وأمر آخر يرجع إلى الشعر، هو الشعر المزدوج الذي نظم بهِ ابن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة وغيره. فقد نظم شعراء الفرس فيما بعد كل ما نظموا من قصص في هذا النوع من النظم وسموه المثنوي،

https://www.youtube.com/watch?v=shupZhAHgpY

رابط فيديو رقم ١ رحلة في مهد الإمبراطورية الفارسية القديمة

الفصل الثاني

مقالات حول التاثير العربي علي الفرس

أثر الثقافة والأدب الفارسي في آثار الجاحظ
كتاب المحاسن والأضداد نموذجاً

د. علي خضري

جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران

الملخص:

يعد العصر العباسي - في سلسلة الأدب العربي - عصراً متميزاً؛ يبرز هذا العصر من خلال التعرف على الأمم والشعوب المختلفة والتأثر بثقافاتها. من هذا المنطلق قد أدى الشعراء والأدباء دوراً مؤثراً؛ لأن قسماً ذا بال من هذه النقلة الثقافية قد تم على يد الأدباء. "الجاحظ البصري" أحد أبرز هؤلاء الكتاب، فقد ذاع صيته في الآفاق وانتفع العلماء بكتبه وآثاره الجليلة. يعد كتاب "المحاسن والأضداد" من مصنفاته الشهيرة في حقل الشعر والأدب. نطمح من خلال بحثنا هذا أن ندرس مظاهر الثقافة والأدب الفارسي في هذا الكتاب وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي - التحليلي. يظهر لنا من خلال النتائج بأن هناك مفردات ومصطلحات فارسية كثيرة قد دخلت آثار الجاحظ؛ خاصة كتابه "المحاسن والأضداد" وهذا يرجع أول ما يرجع إلى المجاورة القائمة بين إيران والعراق نتيجة التأثر بالثقافة الفارسية. إن الجاحظ قد سلط الضوء على ظروف الإيرانيين ومكانتهم في المجالات المختلفة، مثل: "الآداب والتقاليد، الأخلاق، السياسة، وقوانين إدارة البلاد وذلك في ثنايا هذا الكتاب الثمين؛ في هذا الصدد يُمكن الإلمام بالمعلومات القيمة حول ريادة الإيرانيين العلمية في مجال القصص القديمة، الأعمال والمواعظ.

الكلمات الدالة:

الأدب المقارن، بلاد فارس، الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد.

المقدمة:

لعل أبرز ما يميز الجاحظ عن غيره من الكتاب في العصر العباسي هو اختياره للمجتمع كموضوع رئيسي في كتاباته. فقد اقتفى الجاحظ أسلوباً بديعاً في الحقل الاجتماعي، تأثر به الكتاب من بعده وأصبح مقلدوه يصولون كثيراً في هذا الباب. أما اختلاف الجاحظ مع الكتاب الآخرين، فإنه يكمن في أنه لم يختصر

همه الكامل بوصف الظواهر الاجتماعية فحسب، بل تمتع بتلك المهارة البارعة التي أهلته للتطرق إلى نقد المجتمع وتحليله بدقة متناهية وأن يقيم علاقة وثيقة مع المجتمع.

إن الجاحظ استعان بهذا الأسلوب ليخوض في المجالات المختلفة، مثل: الثقافة، الدين، شرائح الناس المختلفة والظروف التي كانت عليها كل شريحة من المجتمع وقد تناول الجاحظ وصف كل ذلك من خلال اعتماده لغة الجد وتارة لغة المزاح والسخرية؛ فإنه يوجه نقده إلى الناس - من مختلف شرائح المجتمع - في جميع المجالات وهو يصف أخلاق جميع شرائح المجتمع مثل: السارق والبخيل والتاجر والمغني والسكران... وصفاً بديعاً. ويذكر لنا كذلك أخبار الملوك والكتاب وأصحاب البلاط والمفسرين والمترجمين ولم يغفل عن شرحه للمذاهب المختلفة مثل: المانويه، الزرادشتية، اليهودية والمسيحية وقد وصف كل ذلك وصفاً شاملاً. ثم لم يكتف بوصفه مجتمعه، بل تجاوز ذلك إلى وصف المجتمعات الأخرى؛ من ذلك المجتمع الإيراني الذي تناوله إلى جانب ما تناوله بشأن الشعوب الأخرى مثل الشعب الهندي واليوناني.

لقد عاش الجاحظ في العصر الذي تزامن مع ازدهار الخلافة العباسية؛ العصر الذي رافقه ثروة هذه الخلافة ورفاهيتها المادية؛ وقد اقتفى الخلفاء العباسيون منهج الساسانيين؛ وكانوا يلبسون كالإيرانيين وكانت موائدهم كالموائد الساسانية ويزينون مجالسهم على نمط المجالس الفارسية. وقد وصف الجاحظ هذا المجتمع، وصفاً زاخراً بالذوق البديع والنظرة الدقيقة الفاحصة، ويبدو لنا فيما يبدو بأن الجاحظ قد أظهر اهتماماً بالغاً بالمجتمع الإيراني.

أما بصورة عامة، فيمكننا من حيث الجانب الاجتماعي أن نتعرف على معلومات واسعة من حياة الإيرانيين من خلال دراسة آثاره؛ سواء في العصر القديم أو العصر الإسلامي؛ لأنه قد تحدث كثيراً حول أعياد الإيرانيين واحتفالاتهم. ويُشير كذلك إلى الطبقات الاجتماعية والأعمال التي كان يشتغل بها الإيرانيون في الماضي. في الواقع "إن اهتمام الجاحظ بالثقافة الإيرانية وحضارتها بلغت مبلغاً أدت به أن يعترف بمكانة الإيرانيين المرموقة بين سائر الشعوب المتحضرة الأخرى في العالم؛ فهو يعرف الحضارة الإيرانية؛ باعتبارها إحدى الحضارات الأربع المهمة في العالم."[1] من هذا المنطلق تعد كتاباته مصدراً قيماً لمعرفة ماضي إيران في العصر العباسي. إن الجاحظ يتعمق في تاريخ إيران القديم؛ بحيث يُمكننا أن نعد كتابه "المحاسن والأضداد" ضمن المصادر الثلاثة المهمة في التعرف على تاريخ "النيروز."[2] يقول محمد محمدي في هذا

الشأن: "يبلغ تأثر الجاحظ - أحياناً - بالمصادر الإيرانية مبلغاً يجعله ينسى عمله وبيئته؛ وبذلك يقوم بشرح الموضوعات التي تخص العصر الساساني، وهي متباينة في أصولها مع البيئة الإسلامية وبلاط الخلفاء.[٣]"

نجد هناك من الدراسات القيمة التي تناولت الجاحظ، سنشير هنا إلى عدد منها: "أدب السخرية والجاحظ" لنصر الله رامشي المنشورة في الدورة ٣٧ (الشتاء عام ١٣٧٧ش) في مجلة "كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طهران". وكذلك مقال آخر يحمل عنوان "أهمية الجاحظ وآراؤه في النقد الأدبي الإيراني - الإسلامي للكاتب مهدي رحمتي، المقال الذي طُبع في العدد الثالث (الدورة الجديدة، الخريف ١٣٨٢ش) في فصلية "اللغة والأدب الفارسي" المحكمة."

وكذلك مقال آخر بعنوان "صدى الاحتفالات الإيرانية القديمة في كتابي "المحاسن والأضداد والتاج للجاحظ البصري" للباحثين: روح الله صيادي نزاد وإلهام كوشيان وقد تم طباعة هذا المقال في العدد الثالث (الشتاء، عام ١٣٩٠ش) من مجلة "الأدب العربي" في جامعة طهران. وسنتطرق في هذا المقال إلى مظاهر الثقافة والتقاليد الإيرانية في كتاب "المحاسن والأضداد، ونأمل بذلك أن نجيب عن السؤالين التاليين:

- ١ما هي مظاهر الثقافة الإيرانية التي نرى تجلياتها في كتاب "المحاسن والأضداد"؟
- ٢ما هي أسباب انعكاس الثقافة الإيرانية في آثار الجاحظ؟

- ١حياة الجاحظ وسيرته الأدبية:

وُلد أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، في البصرة. فقدَ والده في صغره. تطرق إلى كسب العلم والمعرفة والثقافة بحب كبير ورغبة عارمة وجهد دؤوب. وقد نال الرقي والكمال من خلال ما اعتمده من ذكاء وقاد وذاكرة قوية وجهد لا يعرف الكلل والاهتمام بالوقت.[٤]

تعد شخصية الجاحظ من أبرز عوامل نبوغه. كان الجاحظ أسودا بعين جاحظة وقامة قصيرة. وكان قبحه قد اشتهر بين الخواص والعوام من الناس؛ بحيث أن المتوكل طلبه لتأديب ولده؛ فلما رآه صرفه وأعطاه عشرة آلاف درهم.[٥]

كان الجاحظ من الرواد في مجال السخرية وفي الواقع، إنه يعد مؤسساً لنمط السخرية في الأدب العربي. لقد اعتمد الجاحظ على لطافة روحه ونفسيته الفكاهية في بيانه الكثير من الملاحظات والمسائل ورافقها

بنوع من اللطائف المتنوعة؛ بحيث لا يمل القارئ حديثه بما يلقاه من بيان هذه اللطائف ويتابع قراءته للكتاب بنشاط. علاوة على ذلك، فإن هذه اللطائف تحمل ما تحمل من الملاحظات التاريخية والاجتماعية الكثيرة.[٦]

كانت شخصية الجاحظ العلمية محط الاهتمام أيضاً؛ كانوا يُطلقون عليه تسمية "العالم والفيلسوف". وكان أبداً يجتهد للكتابة في الموضوعات المختلفة مثل: الأدب، الفلسفة، الطبيعة، الصناعة، التجارة، السياسة والتاريخ. وآثاره المختلفة في جميع هذه المجالات، تُظهر لنا مدى نجاحه وتفوقه في هذه الأمور. وقد تم الانتباه إلى نظرياته في مجال البيئة. أما في الحقل الفلسفي فله مذهب كلامي يخصه، يُطلق عليه "الجاحظيه" ويعد رئيساً للفرقة المعتزلية أيضاً. وإنه قد سلك ما سلك في هذا المجال مما أهله لكي يُطلق عليه لقب "أبو النثر العربي."

إن الجاحظ - بصورة عامة - كان متضلعاً في الكثير من العلوم في عصره، ولا ريب أنه تعرف على قسم ذي بال من الثقافة الإيرانية أيضاً. وقد خلف الجاحظ آثاراً عديدة وقيّمة في المجالات المختلفة، مثل: الفلسفة، السياسة، الدين، الاعتزال، الاقتصاد، الاجتماع، التاريخ، الجغرافيا، العلوم الطبيعية، الرياضيات، اللغة، الشعر والأدب، بحيث ذكر له المحققون، حوالي ثلاث مائة كتاباً؛ من ذلك ثلاثة كتب كبيرة جداً هي: البيان والتبيين، الحيوان والبخلاء. أما كتاب "المحاسن والأضداد" فهو من آثار الجاحظ القيمة التي سنتناولها في موضوع دراستنا.

- ٢ الثقافة الإيرانية في كتاب المحاسن والأضداد:

أ - المواعظ الإيرانية:

يعد تيار الترجمة من العربية إلى الفارسية من أقدر التيارات التي عمل على إغناء الثقافة الإسلامية. من هذا المنطلق، كانت "الحكمة العملية والأخلاق" من الموضوعات التي تم ترجمة الكثير من الكتب البهلوية إلى اللغة العربية في هذا المجال وقد خلف ذلك أثراً عظيماً في الأدب العربي. هذه الطائفة من الكتب، في الواقع، كانت على صورة مواعظ ونصائح متناثرة، وقد قام العظماء مثل ابن المقفع وسهل بن هارون بترجمة قدر كبير من هذه الكتب إلى اللغة العربية. ولا يمكن أن ننسى الدور الأساسي الذي لعبه الخلفاء العباسيون في هذا التيار؛ لأنهم كانوا بحاجة ماسة إلى إنجازات الملوك السابقين لإدارة أمورهم؛ لذا ظلوا يبحثون عن ميراث الإيرانيين الثقافي. قام "المأمون" الخليفة العباسي بإنشاء مدرسة لتربية المترجمين. لقد أقر بقيمة

المواعظ الإيرانية، وقد قال في الإجابة على السؤال الذي طرحه "الواثق بالله" عندما سأله عما يجب تعلمه: تعلم القرآن، وتعاليم أردشير وتعهد حفظ كليلة ودمنة.[٧]

أما الوزراء العباسيون الذين كان أكثرهم من الفرس، فقد اجتهدوا في تيار الترجمة وذلك لكي تقوى اللغة الفارسية ويتهيأ القيام بالأمور التي كانوا يرونها مهمة وخطيرة؛ لأنهم كانوا يريدون إحياء آثار أجدادهم ومجدهم القديم عن طريق إحياء مواعظهم ونصائحهم والإفصاح عنها؛ حتى تتغذى منها أفكار الناس وتتضح معالم الحكومة على أساسها؛ لأن إحياء مثل هذه المواعظ يؤدي إلى تنشيط عظمة إيران الماضية التي تبددت إثر مضي الزمن.[٨]

وفي نهاية المطاف، حدثت سلسلة من العوامل التي أدت إلى ازدهار بعض الأدباء العظام أمثال: ابن المقفع، سهل بن هارون، حسن بن سهل، فضل بن سهل... وقد تُرجمت الكتب القيمة مثل: مواعظ بزرجمهر، المواعظ الساسانية الخالدة، خداي نامه، آيين نامه، التاج (أنوشروان) إلى اللغة العربية؛ بحيث يمكن القول بأن ترجمة هذه الكتب قد أثرى الأدب العربي في هذا المجال.

يبدي الجاحظ رغبة كبيرة بالنسبة إلى الثقافة الإيرانية، فآثاره زاخرة بالمواعظ الإيرانية وقد احتل الوعظ الإيراني مكانة متميزة في كتبه، بحيث إنه اعتمد أكثر عناوين كتبه من موضوعات الموعظة الفارسية التي تم ترجمتها إلى العربية، مثل كتابه "المحاسن والأضداد" الذي قيل بأن الكتاب ينهج منهج الكتب الساسانية. وفي هذا الصدد، يرى عيسى العاكوب بأن الجاحظ قد استمد عناوين كتبه "البيان والتبيين، الجد والهزل، الآداب، الأمل والمأمول، أخلاق الكتاب" من الكتب الفارسية؛ كأنما الجاحظ لم يكتف بقراءته لهذه الكتب، بل عكف يؤلف كتباً ينهج فيها منهج الإيرانيين من حيث الموضوع والأفكار.[٩]

علاوة على ذلك، قد أحال الجاحظ - كثيراً - في آثاره إلى مواعظ الإيرانيين ونقل ما نقل عن كبار الواعظين الإيرانيين - قبل العصر الإسلامي - أمثال: بزرجمهر، أردشير بابكان، خسرو أنوشروان وأفشين، وأما فيما يتعلق بعصر ما بعد الإسلامي، فنراه يشير إلى ابن المقفع، سهل بن هارون، حسن بن فضل وفضل بن سهل.

لمح الجاحظ في كتابه "المحاسن والأضداد" إلى حب الإيرانيين ورغبتهم بالنسبة إلى حفظ المواعظ والملاحظات الوعظية وهو يُشير إلى وجود هذه المواعظ على النقوش الحجرية ويقول: "نلحظ بعض النقوش الحجرية المأثورة عن ملوك فارس وقد كُتب عليها: كن أكثر أملاً بالنسبة إلى الشيء الذي لا تريده مقارنة مع

ما تريده؛ فإن موسى قد سعى للوصول إلى النار؛ فنال مقام النبوة .[١٠]"ومن هنا يتبين لنا علمه بوجود كتب المواعظ الفارسية: "وقد جاء في بعض الكتب الفارسية بأن: "كل عظيم، ذليل إذا ما لم يتمتع بالقدرة والمهارة والفن.[١١]"

لقد أحال الجاحظ - في مواضع مختلفة - إلى أقوال الملوك الفرس وهي أغلبها مواعظ تشتمل على كلام زاخر بالنصائح والكلام الوعظي، مثل: "إن كسرى كان ينصح المسجونين قائلاً: من يصبر على ما أصابه من هم ومصيبة؛ ويتحلى بالصبر والحزم؛ فكأنما لم تحدث له أي مشكلة. ومن يتخذ فخاً للآخرين، فسيُهلك نفسه لامحالة، ومن يُسرف في الأكل، سيهلك.[١٢]"

"بزرجمهر" من الشخصيات الأخرى التي تكلم عنها الجاحظ كثيراً. كان "بزرجمهر" وزيراً لخسروبرويز، وكان يتمتع بالحكمة والتدبير مما أهله لينال الشهرة والعظمة. وله منزلة سامية عند الإيرانيين؛ وله نفس المكانة المرموقة عند العرب أيضاً. مظاهر الوعظ لبزرجمهر في كتاب "المحاسن والأضداد" ينبئ عن رغبة الجاحظ واهتمامه بهذه الشخصية المتميزه: "لقد ذُكر في إحدى كتب بزرجمهر: حاجة الله بعبده يختصر على معرفة العباد له. فمن يتمكن من التعرف على الله، فلن يعصه طرفة عين. فكيف البقاء مع وجود الفناء! فكيف يعاني الإنسان عندما يفقد شيئاً في الحياة؛ بينما يطلبه الموت؟ .[١٣]"يُشير الجاحظ في آثاره الأخرى أيضاً إلى مواعظ برزجمهر، مثلاً لقد ذكر في كتاب "البيان والتبيين": "قال بزرجمهر: لا أحد أشبه بالمظلوم من الحسود.[١٤]"

وقد ذكر في موضع آخر أيضاً: "قيل لبزرجمهر: ما هو الذي يستر العيوب؟ قال: العقل. قيل: إن لم يكن العقل؟ قال: المال. قيل: إن لم يكن المال؟ قال: الأصدقاء والإخوان. فقيل: إن لم يكن هناك من أصدقاء أو إخوان؟ قال: فيجب عليه الصمت. فقالوا: إن لم يسكت؟ قال: فالموت أفضل في هذه الحالة.[١٥]"

وقد أشار الجاحظ أيضاً في أثره القيم هذا إلى العديد من أشعار أبي نواس وبشار؛ هذان الشاعران الفارسين الأصل في العهد العباسي، وهي تشتمل على الموعظة والنصيحة. فهو ينقل لنا عن أبي نواس:[١٦]

دَع الحرصَ على الدُنيا ⁂ وَفي العيش فلا تطمَع

ولا تَجمَع بك المالَ ⁂ فما تدري لِمَن تَجمَع

ولا تَدري أفي أرضـ ⁂ ـك أم في غيرها تُصرع

وقد ذكر لبشار بن برد هذا البيت في ذم السكوت:[١٧]

وعيُ الفعال كعي المِقال ⁂ وفي الصُمت عيٌ كَعي الكلام

ب - الأعمال والوظائف الإيرانية:

يُمكن أن نفتن إلى الطبقات الاجتماعية عند الإيرانيين وأهميتها ومدى دورها من خلال ثنايا كتابات الجاحظ؛ فإنه قد أشار من خلال أثره القيم هذا إلى الكثير من الأعمال والوظائف التي كان يشتغل بها الإيرانيون آنذاك، سنتطرق إلى بعضها في هذا الموضع:

- ١بستان بان واشتربان:

البستان يعني الحديقة و"بستان بان" بمعنى حارس الحديقة؛ أي من يقوم بأعمال البستان. "اشتربان" أيضاً بمعنى حارس الجِمال. قد نقل لنا الجاحظ حكاية تُبين لنا بأن هذين العملين من أعمال الإيرانيين آنذاك. أما الحكاية فهي كالتالي: "اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان، فلما ولى قتيبة بن مسلم، جعله لابله، فقال مرزبان مرو: هذا كان بستانا وقد اتخذته لإبلك، فقال قتيبة: أبي كان اشتربان وابو يزيد بستانبان فمنها صار ذلك كذلك.[١٨]"

- ٢مرزبان (الحارس):

"مرزبان" بمعنى الرئيس. هذه الكلمة مركبة من "مرز" بمعنى الحدود واللاحق الفاعلي "بان" بمعنى الحارس والمحافظ. تُجمع هذه الكلمة على هيأة "مرازب ومرزبه" وقد ذُكرت هذه الكلمة في الكتابات والأشعار العربية على هذه الصورة دون عملية التعريب.

كان المرزبه ضمن الطبقات الاجتماعية الجليلة القدر في المجتمع، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ في كتبه، وقال بأنهم يعدون ضمن رجال البلاط والخواص من الناس وكانوا يأتون في حضور الملك إلى جانب قواد الجيش والأمراء لتقديم الهدايا إلى الملك، مثلاً: "إن القواد والمرازبة والأساورة يهدون النشاب من الذهب والفضة .[١٩]"لذا يعد هذا العمل من أعمال الإيرانيين وقد حذا العرب حذوهم في اتخاذ هذا العمل.

- ٣الموبدون:

"الموبدون" هم علماء الزرداشتيين ورجال دينهم. أما دورهم وأهميتهم في الماضي فكان يختصر على حفظ

الآثار الفارسية أو الاحتفاظ بها في معابد النار والأماكن الآمنة بالإضافة إلى حفظها واستنساخها والتطرق إلى دراستها والبحث فيها، وكانوا يعملون على عدم هلاكها. وإن العلماء والمؤرخون يراجعون إليها عند دراستهم في مجال التاريخ والتقاليد والمذاهب الإيرانية دائماً. وقد قام الموبدون بحفظ كتاب "خداي نامك"؛ بصفته أعظم أثر تاريخي إيراني في القرون السالفة إلى أن قام الفردوسي وحلاه بحلية الخلود .[٢٠]لقد لقيت هذه الفئة من الناس في العصر الإسلامي احتراماً وتقديراً خاصاً؛ سواء من ناحية الخلفاء أو الناس؛ فأينما يذكرهم الجاحظ؛ فإنهم يظهرون في مقام المستشارين والخواص عند الملك؛ فإن الملك نفسه عاملهم معاملة محترمة؛ بحيث أنهم يرافقونه دائماً ويعتمد الملك على مواعظهم ونصائحهم في الملك. يذكر لنا الجاحظ حكايات حول قدرتهم في التأثير على الملك، من ذلك: "عندما دخل الموبد على الملك، قال له: يا ملك! عشت في سعادة تامة، وتغلبت على أعدائي، وقمت بالأعمال الحسنة وتجنبت طاعة النساء - ٤ .[٢١]"

الأسوار:

"الأسوار" بمعنى الراكب وهي لفظة تُطلق على مجموعة تحمل معها الفأس والهراوة ويحاربون بها ويضربون بها أيضاً على خوذة بعض. (البرهان القاطع، مادة أسوار) يعتقد "معين" بأن هذه الكلمة كانت تُطلق زمن إيران القديم على الشجعان والأبطال. كسبت هذه الكلمة دلالة جديدة منذ زمن خسرو الأول؛ فعندما جلس على أريكة الحكم، عكف على إصلاح نظام الضرائب في التنظيمات العسكرية وأجرى بعض التغييرات في هذا المجال، ومنح "الأسوار" رتبة، ونصر من لم يكن له ثروة وبذل إليه الحصان والسلاح.[٢٢]

يذكرهم الجاحظ ضمن الكبار والعظماء المقربين إلى الملك. فبناء على تعاريفه، فإنهم كانوا يلعبون يؤدون عظيماً في الماضي؛ خاصة في العصر الساساني؛ "والثانية أن تصعد منبرك بمحضر من مرازبتك، وأساورتك، وعظماء أهل مملكتك وتتبرأ مما قذفتني به.[٢٣]"

جـ- الحكايات الإيرانية:

ترجمت العديد من الحكايات من البهلوية إلى اللغة العربية. هذه الحكايات شملت موضوعات عديدة، مثل: سيرة العظماء عبر التاريخ والملوك الساسانيين. وقد تطرق الجاحظ إلى العديد من هذه الحكايات في آثاره. يظهر لنا من خلال كتاباته بأن هناك اهتمام كبير بالنسبة إلى الحكايات البطولية وذكر حياة الأبطال والشجعان. وفي هذا الصدد، سنشير إلى بعض القصص المذكورة في كتاب "المحاسن والأضداد:"

- ١قصة خسرو وشيرين:

قصة "خسرو وشيرين" من جملة الحكايات التي قدمها الجاحظ على النحو التالي: "شيرين زوجة خسروبرويز؛ إمرأة وفية. شيروية ابن كسرى الثاني، عندما قُتل أبوه ونال الملك والحكومة من بعده، طلب من شيرين أن تصبح زوجته. امتنعت شيرين ورفضت هذا الطلب. غضب شيرويه وصادر أموالها التي كانت تشتمل على العقارات والمصادر الكثيرة وعندما علمت شيرين بأنها لا تجد بداً من قبول هذا الطلب، قالت لشيرويه: إذا أرغمتني على قبول الزواج منك، فإني أطلب منك ثلاثة طلبات؛ فإن أجبت طلباتي؛ فإني سأتزوجك. فقال شيرويه: ما هي طلباتك؟ فأجابت شيرين: الأول: يجب عليك أن تعيد عقاراتي وأموالي التي أخذتها مني. الثاني: عليك أن تصعد المنبر وتبدي أسفك حول التُهم التي ألحقتها بي وذلك في حضور الأسوار و"المرازبة والتجار في المملكة. وطلبي الثالث هو أن أباك أودعني أمانة، فأمر حتى يحفروا قبره لكي أهب أمانته إليك. فقام شيرويه بفتح القبر لها. بينما كانت شيرين تُمسك بخاتم في يدها، جلست عند قبر زوجها وابتعلت الخاتم واحتضنت زوجها حتى ماتت.[٢٤]"

- ٢قصة الموبدون ومشكدانه:

تُرجمت أساطير كثيرة من الفارسية إلى العربية وقد ألحق بها الكثير من الانتحال. قصة "الموبدون ومشكدانه" واحدة من الأساطير التي تم ذكرها في كتاب "الفهرست" لابن النديم؛ إلا أن ابن النديم ذكر ذلك باسم آخر، أي: "مشك زنانه وشاه زنان"، واسم القصة الرئيسي هو "مشكدانه وشيخ الموبدون"، وقد ذُكر اسم الجارية على نحو صحيح في "المحاسن والأضداد.[٢٥]"

الموبدون في الواقع نفسه شيخ الموبدون ومستشار كسرى الثاني، و"مشكدانه" هي جارية شيرين، زوجة كسرى. تطرق الجاحظ إلى بيان هذه القصة، سنشير إليها هنا باختصار: "كان شيخ الموبدون يقول لكسرى باستمرار: "اجتنب طاعة النساء. وكان هذا الكلام يُغضب شيرين؛ وهي امرأة جميلة وعاقلة. فإذن خططت على هذا النحو وقالت لكسرى: هذا الموبد، طاعن في السن، وبما أني أحتاج إلى مشورته وفكره؛ فأريد أن أقوم بتزويجه جاريتي "مشكدانه" وهي جارية عاقلة وجميلة. تحدث معه حول هذا الأمر، فإذا وافق، سأمنحه "مشكدانه". فتحدث خسروبرويز مع الموبد ووافق على ذلك.[٢٦]"

- ٣قصة رستم واسفنديار:

لقد قام "جبله ابن عامل" بترجمة قصة "رستم واسفنديار" إلى اللغة العربية. هذه القصة من القصص الإيرانية المعروفة وكانت تحظى بأهمية بالغة في العصر الإسلامي وحافظت على مكانتها في العصر العباسي

أيضاً وقد تمتعت بشهرة واسعة. وقد أشار الجاحظ إلى هذه القصة باختصار، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على مدى صيرورة القصة على الألسن؛ بحيث إنها لم تخف عن العوام من الناس أيضاً: "روى الأصمعي نقلاً عن خليل بن سهل بأن طول رمي رستم للسهم قد بلغ سبعين ذراعاً وقد كانت السهام أصلب من الحديد. قلت: هناك أعرابي له معرفة جيدة بهذا الشأن، فاصحبنا إليه حتى يشرح لنا هذا الموضوع. فأخذته إلى ذلك الأعرابي حتى يشرح له. فقال الأعرابي: سمعتُ بأن رستم واسفنديار ذهبا إلى الباديه لزيارة لقمان بن عاد؛ فوجدوه نائماً يضع رأسه في حجر أمه. فسألت الأم: ماذا تريدان؟ قالوا: سمعنا بأن هذا الرجل قوي، فأتينا لزيارته. فعندما سمع لقمان صوتهما، نفخهما حتى وقعا في أصفهان وحالياً يوجد قبرهما في أصفهان. وقد أجاب خليل بن سهل قائلاً: (كذبة شنعاء)."[٢٧]

يبدو أنه كان هناك نوعٌ من التنافس بين العرب والفرس في التفاخر بأبطالهم؛ وربما هي إحدى العوامل الرئيسة في مسألة الشعوبية؛ لأن الإيرانيين افتخروا بأمجادهم عبر التاريخ من خلال ترجمتهم القصص إلى العربية، وقد أبدى العرب ردة فعل تجاه هذا الإجراء. أما الجاحظ فقد أتى بهذه القصة في باب ذم الكذب، ويبدو أنه لم يعتقد بهذه القصة وهو عالم بأصل القصة.

- ٤قصة بهرام جوبين:

بهرام من أعظم القواد في الجيش الساساني. فقد اكتسب قدرته في عصر "هرمز وكسرى"، ولكن بعد ذلك حدث نوع من المشاحنة والعداوة بين هرمز وبهرام؛ وبالتالي قام هرمز، بعزل بهرام عن منصبه. أثار هذا العمل غضب بهرام وجعله عاصياً. وقد اتفق معه الجيش أيضاً؛ فعندما وضع كسرى تاج الملك على رأسه؛ هجم على العاصمة بواسطة جيشه الجرار القوي. ففر كسرى الذي لم يكن له بد من الفرار إلى الروم حتى يستعين بالإمبراطورية الرومية. وقد نصرته إمبراطورية الروم إلى أن قام كسرى بهزيمة بهرام وتمكن من استعادة قدرته من جديد.

لقد قام "جبله ابن العامل" بترجمة هذه القصة إلى العربية، وقد تم استقبال هذه القصة من قِبل العرب كما لاحظنا. وأشار الجاحظ إلى قصة الاختلاف الموجودة بين كسرى وبهرام. مثلاً عندما يتحدث عن هدايا النيروز، يشير إلى الحرب التي حدثت بين هذين الشخصيتين قائلاً: "من الهدايا التي لم يسمع بها أحد، كانت تلك الهدية التي قدمها كسرى إلى ملك الروم أثناء الحرب ضد بهرام شوبين. وبينما كان يقترب كسرى من الروم، أرسل قاصداً وطلب العون من ملك الروم حتى يقوم بإنقاذه وقد أرسل العديد من الهدايا

الثمينة برفقة ذلك القاصد .[٢٨]"من هذا المنطلق نلحظ كثرة اطلاع الجاحظ وسعة معلوماته بالنسبة إلى التاريخ والأدب الإيراني؛ بحيث إنه يعد كتابه "المحاسن والأضداد" من أهم المصادر لمعرفة هذه القصص في الأدب العربي.

د - احتفال النيروز وحفل المهرجان:

يعد النيروز من أعظم الاحتفالات الوطنية في إيران؛ يبدأ هذا الحفل في اليوم الأول من العام الشمسي؛ عندما تنتقل الشمس المشرقة على العالم إلى برج الحمل ويتساوى الليل والنهار. عندما دخل الآريون إلى أراضي الإيرانيين، كانوا يقيمون الاحتفالات بمناسبة النيروز. أما بعض المؤرخين، فنسبوا تاريخ هذه الاحتفالات إلى ما قبل الآري وتزامناً مع جلوس جمشيد "الملك البيشدادي" على أريكة الحكم. لكن هناك روايات مختلفة حول كيفية توغل النيروز بين العرب؛ والبعض من هذه الروايات تنسب النيروز إلى أيام النبي (ص) والإمام علي. ينقل لنا الجاحظ رواية في هذا الشأن ويقول: "قدم عدد من الدهاقين الفرس، كؤوساً فضية ملأى بالحلاوة إلى الإمام علي وعندما سأل الإمام علي عن السبب، قالوا: بمناسبة النيروز... ثم تناول الحلويات وقدم بعضاً منها إلى أصحابه وقسم تلك الكؤوس الفضية بينهم وعد ذلك ضمن الخراج.[٢٩]"

بما أن الجاحظ كان يعيش في هذا العصر وكان قد شهد أهمية هذه الأعياد؛ لذا نراه يتطرق إلى هذه الأعياد بصورة جميلة ودقيقة. بحيث يمكننا أن نكسب معلومات قيمة حول تاريخ هذا الاحتفال من خلال أقواله؛ فيمكن أن نعتبر كتاباته من أقدم المصادر وأهمها في هذا الحقل. أما أسلوبه في وصف هذين العيدين، فهو على النحو الذي يبدأ ببيان تاريخ هذه الأعياد، ثم يتطرق إلى كيفية تلك الاحتفالات بين الإيرانيين والعرب ويقول: "من أسس منازل الملوك، وشيد معالم السلطان، واستخرج الفضة والذهب والمعدن، واتخذ من الحديد آلات، وذلل الخيل وسائر الدواب، واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب، وبنى القصور واتخذ المصانع، وأجرى الأنهار كياخسرو بن أبرويز جهان، وكان الأصل فيه أنه، في النيروز، ملك الدنيا، وعمر أقاليم إيران شهر، وهي أرض بابل، فيكون النيروز في أول ما اجتمع ملكه وبعد ذلك تحول إلى تقليد.[٣٠]"

أما بشأن تاريخ المهرجان، فإنهم يقولون: "لقد حكم خسروبرويز حوالي ألف وخمسين عاماً وقُتل على يد الضحاك واستلم فريدون الحكم والسلطة، فقام فريدون بإلقاء القبض على الضحاك وسجنه في جبل

دماوند. وفي نهاية المطاف، قام بقتله؛ واحتفل الناس بهذه المناسبة، وبما أن هذا الحدث وقع في منتصف شهر "مهر"، قد سمي هذا اليوم بالمهرجان؛ فإذن يرجع المهرجان إلى فريدون، والنيروز أقدم من المهرجان على نحو ألف عام.[٣١]"

والإيرانيون أيضاً يعتقدون بهذا الأمر، فإنهم يرون أن الملائكة عجلت إلى نصرة كاوه الحداد وقتلت الضحاك، وأجلست فريدون على أريكة الحكم. وبما أن اليوم الذي تم القبض فيه على الضحاك كان في ١٦ من شهر "مهر" وكان يُطلق عليه اسم "مهرروز"؛ لذا احتفل الإيرانيون في هذا اليوم وأطلقوا عليه تسمية "مهرجان.[٣٢]"

ثم يشير الجاحظ إلى تقليد آخر، يظهر في عصرنا الراهن من خلال زرع الخضرة بين الإيرانيين: "خمسة وعشرون يوماً قبل النيروز كان هناك ١٢ عموداً طابوقياً في البلاط الملكي، يزرعون في كل منها: البر، الشعير، العدس، الحمص، الذرة، الفاصولياء، السمسم والدخن. ولم يكونوا ليحصدوا هذه الحبوب سوى بالأغاني والأناشيد. وفي اليوم السادس من النيروز يجتمعون لحصاد هذه الحبوب ولم يكونوا ليجمعوها حتى اليوم السادس عشر من شهر "فروردين". وإنما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها، ويقال: أجودها نباتا، وأشدها استواء، دليل على جودة نبات ما زرع منها في تلك السنة، فكان الملك يتبرك بالنظر إلى نبات الشعير خاصة.[٣٣]

وبعد ذلك يتطرق الجاحظ إلى الأغاني والموسيقى التي كانت تُنشد في حضور الملك ويقول: "فكان فيما يغني بين يدي الملك، غناء المخاطبة، وأغاني الربيع، وأغاني يذكر فيها أبناء الجبابرة، وتوصف الأنواء، وأغاني أفرين، والخسرواني، والماذراستاني، والفهليد. وكان أكثر ما يغني العجم، الفهليد مع أيام كسرى أبرويز، وكان من أهل مرو، وكان من أغانيه مديح الملك، وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه، وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب، يصوغ له الألحان، ولا يمضي يوم إلا وله فيه شعر جديد، وضرب بديع. وكان يذكر الأغاني التي يستعطف بها الملك، ويستميحه لمرازبته وقواده، ويستشفع لمذنب، وإن حدثت حادثة، أو ورد خبره كرهوا إنهاءه إليه، قال فيه شعرا، وصاغ له لحن.[٣٤]"

هدية النيروز من التقاليد القديمة في إيران وكان ذلك مألوفاً منذ العصر الجاهلي. كان التقليد في إيران - في عصر ما قبل الإسلام - أن يقدم كلاً من الدهاقين وسائر العاملين في البلاد هدية إلى الملك؛ كل على حسب مقدرته المادية. أما بعد الإسلام أيضاً، فاعتاد الدهاقين - على ضوء تقليدهم السابق - أن يقدموا

بعض الهدايا إلى الخلفاء؛ إلا أن الخلفاء الأولين كانوا يعتبرونها عوضاً عن خراجهم. لكن بعد العصور الإسلامية التالية، تحول ذلك إلى سُنة؛ بحيث كانت تعد تلك الهدايا مصدراً من مصادرهم المالية: والجاحظ أيضاً يشير بدوره إلى تقليد الإيرانيين في العهد القديم ويقول في هذا الشأن: "وكان مما تهديه ملوك الأمم إلى ملوك فارس، طرائف ما في بلدهم، فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود، ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والأواني، ومن السند الطواويس والببغاء، ومن الروم الديباج والبسط. وكان القواد والمرازبة والأساورة يهدون النشاب والأعمدة المصمتة من الذهب والفضة، والوزراء والكتاب والخاصة من قرابانهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر، وجامات الفضة الملونة بالذهب، والعظماء والشراف، البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها؛ وربما أهدي الرجل الشريف سوطاً فقبله. وكان الحكماء يهدون الحكمة، والشعراء الشعر، وأصحاب الجوهر الجوهر، وأصحاب الديباج نتاج الدواب، الفرس الفاره، والشهري النادر، والحمار المصري، والبغال الهماليج؛ والظرفاء، قرب الحرير الصيني مملوءة ما ورد؛ والمقلقلة القسي والرماح والنشاب؛ والصياقلة والزرادون، نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والأنسة؛ وكانت نسوة الملك تهدي إحداهن الجارية الناهدة، والوصيفة الرائعة، والأخرى الدرة النفيسة، والجوهرة المثمنة، وفص خاتم.[٣٥]"

أشرنا سابقاً إلى أن العرب في العصر العباسي قلدوا الفرس في الاحتفال بهذين العيدين، وفي الواقع كانت ضمن أعيادهما العامة. وقد تطرق الجاحظ إلى كيفية إقامة تلك الأعياد في بلاط العباسيين أيضاً؛ وهذا إن دل على شيء فهو يدل على مدى تأثره بالثقافة الإيرانية. وفي البداية يُشير إلى الهدايا التي كان يتبادلها الملوك والعظماء من الناس في ذلك الحين ويقول: "واستملح المأمون من أبي سلمة هدية لطيفة منسوجة من الخزرات اليمنية وعليها غطاء ذهبي وكذلك هدية حسن بن وهب إلى المتوكل؛ أي الكأس الذهبي المليء بمئة مثقال من العنبر.[٣٦]"

هـ - المفردات الفارسية:

نلحظ المفردات الفارسية الكثيرة في آثار الجاحظ. أما السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف دخلت ومن أين دخلت هذه الكلمات في آثاره؟ وفي الجواب، يجب أن نقول: إن الثقافة الفارسية من أقدر الثقافات وأكثرها تأثيراً بين الثقافات الأخرى التي أثرت في الأدب العربي، وبالتالي أدى ذلك إلى توغل مفردات كثيرة من الفارسية إلى اللغة العربية. ولم تسلم آثار الجاحظ - الكاتب الدؤوب في هذا العصر - من هذا الأمر؛ فقد

توغلت الكثير من المفردات والمصطلحات الفارسية في آثاره. هذه المفردات؛ إما فارسية معربة وإما تم نقلها على هيئتها دون تغيير.

كانت الثقافة والأدب الفارسي مسيطرة - آنذاك - على ثقافة العرب ولغتهم؛ بحيث إن الجاحظ لم يسلم من هذا التأثير، وبذلك اعتمد الكثير من المفردات الفارسية في آثاره. وقد احتلت المفردات الفارسية قسماً عظيماً من كتاباته. وأحيانا نجد في آثاره بعض الكلمات التي تُنبئ عن بحوثه ودراساته الشخصية. وفي هذا الصدد سنشير إلى بعض المفردات الفارسية التي اعتمدها الجاحظ في كتابه "المحاسن والأضداد:"

- ١اسبند (الحرمل): الاسبند الفارسي هي التي ذُكرت في "البرهان القاطع" باسم الحبات التي يرمونها في النار لتجنب العين. (البرهان القاطع، ذيل مادة "اسبند") كان يعتمد الإيرانيون هذا النبات منذ القديم. "سبنته" في الأفستا "صفة (تأنيث سبنتا) أي: الطاهر والمقدس. هذه الصفة في الأفستا تخص أهورامزدا والإيرانيين وقد أخِذت كلمة "سبند" و"اسفند" من هذه الكلمة. (دهخدا، ذيل مادة اسبند) يُشير الجاحظ إلى تقليد الإيرانيين عند وصفه تقاليد النيروز وحديثه حول مائدة النيروز ووضع حبات الاسبند فيها على يد الإيرانيين: "ويوضع سبع سكرجات بيض، ودراهم بيض من ضرب سنته، ودينار جديد، وضغث من أسپند.[٣٧]"

- ٢الديباج: مفردها ديباجة وهي كلمة "ديب" الفارسية التي تم تعريبها .[٣٨](دهخدا، ذيل مادة ديباج) وقد رأى صاحب "البرهان القاطع" بأنها تعني القماش الحريري الملون. وقد تطرق إليها الجاحظ في مواضع كثيرة، خاصة عند حديثة حول هدايا النيروز القيمة، من ذلك: "وبعث إليه بألفي دينار لأرزاق جنده، وألف ثوب منسوج، وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة بأقبية الديباج المطيّر.[٣٩]"

- ٣الاستبرق: رأى "معين" بأنها "استبرك" وهي تعني "الحرير الرصين، القماش المنسوج بالذهب والحرير. والجاحظ أتى بذلك في قوله: "براقع ديباج منسوج بالذهب واللولو، وأوقر البغال، من السندس والإستبرق والذهب واللولو.[٤٠]"

- ٤الجام: هو "جام" (الكأس) المعروف في الفارسية .[٤١]وقد اعتمد الجاحظ هذه الكلمة في مواضع متعددة، من ذلك: "روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أن

قوماً من الدهاقين أهدوا إليه جامات فضة فيها الأخبصة.[٤٢]"

- ٥الجوهر: عرفها صاحب "البرهان القاطع" بأنها الأصل في كل شيء، وهي الأحجار الكريمة. وقد ذُكر في "المحاسن والأضداد": "ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر.[٤٣]"

- ٦البرذون: نوع من الدواب أقوى من الحمار وأضعف من الحصان، أما في الفارسية "بردن" بمعنى الركض السريع، ويُطلق على الحصان السريع أيضاً. وقال الجاحظ: "تحت كل صليب ألف فارس وألف برذون.[٤٤]"

- ٧السكرجه: الصحن والإناء الوردي وهي كلمة معربة عن "سكره" وقد تبدلت "الهاء" إلى "الجيم" وأضيف إليها تاء التأنيث. وقد أتى الجاحظ بهذه الكلمة على النحو التالي: "يوضع سبع سكرجات بيض.[٤٥]"

- ٨الصولجان: الصولجان بمعنى العصا المائلة. وفي اللغة البهلوية. وقد ذُكرت في البرهان القاطع على أنها عصا برأس مائل؛ يغنون بواسطتها على الكاسور والنقارة وهما من اللوازم الملكية. وبناء على أقوال الجاحظ؛ إن هذه اللعبة من ألعاب العظماء من الناس وكان "خسرو" الملك الساساني يرغب بهذه اللعبة ويتخذها كأداة للتفريه والتسلية: "إن كردية قالت لكسرى: يا سيدي، اخرج بنا إلى الميدان لألعب، بين يديك، بالكرة والصولجان. فخرج معها إلى الميدان، وخرجت امرأته شيرين، وخواص نسائه، ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو، وجعلت تلاعبه بالصوالج.[٤٦]"

النتائج:

تطرقت هذه الدراسة إلى البحث حول زاوية من زوايا الثقافة الإيرانية في كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ. ومن خلال دراستنا هذه، ظهرت لنا النتائج التالية:

-إيران وثقافة إيران تحتل مكانة مرموقة عند الجاحظ؛ بحيث أن المؤلف قد أشاد بمكانة الثقافة الإيرانية في مواضع عديدة من الكتاب. وهذه المسألة تعود إلى أن الثقافة الفارسية كانت من أقدر الثقافات وأكثرها تأثيراً في الأدب العربي في العصر الصفوي.

-يمكن أن نتعرف على ماضي المجتمع الإيراني من الناحية الاجتماعية من خلال دراستنا لهذا الكتاب؛ لأنه

تحدث كثيراً حول الاحتفالات والأعمال والتقاليد التي كان يقوم بها الإيرانيون في تلك الحقبة الزمنية.

-ومن حيث المستوى الأدبي: يتمتع هذا الأثر بمكانة مرموقة، ويمكننا أن نتفطن إلى رغبة العظماء والملوك والوزراء الإيرانيين إلى الوعظ والنصائح من خلال دراستنا لهذا الكتاب.

-بناء على الجوار القائم بين إيران والعراق وتأثير الثقافة الإيرانية، وردت الكثير من الكلمات الفارسية إلى اللغة العربية. ولم يسلم الجاحظ - باعتباره كاتباً غزير الإنتاج - من هذه المسألة وقد توغلت الكثير من المفردات والمصطلحات الفارسية إلى أعماله. هذه الكلمات؛ إما معربة عن الفارسية وإما تم تبنيها على صورتها في اللغة الفارسية ودون أدنى تغيير وقد أشرنا إلى نماذج من هذه المفردات في البحث.

الهوامش:

- ١روح الله صيادي نجاد: دراسة الأعياد الإيرانية في كتابي المحاسن والأضداد والتاج للجاحظ البصري، مجلة الأدب العربي، عدد ٣، جامعة طهران ١٣٩٠ش، ص ١.

- ٢آذرتاش آذرنوش: التحدي بين الفارسية والعربية، نشر ني، طهران ١٣٧٧ش، ص ٢٨٦.

- ٣محمد محمدي: الثقافة الإيرانية قبل الإسلام، نشر طوس، طهران ١٣٧٤ش، ص ٢٩٧.

- ٤حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، نشر طوس، طهران ١٣٧٧ش، ص ٥٦٠.

- ٥أبو إسحاق اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ١٣٧٩هـ، ج٢، ص ٤٨٧.

- ٦نصر الله رامشى: أدب السخرية والجاحظ، مجلة العلوم الإنسانية، عدد ٣٢، جامعة طهران ١٣٧٧ش، ص ١٤٦.

- ٧عيسى العاكوب: أثر النصائح الإيرانية في الأدب العربي، النشر العلمي والثقافي، طهران ١٣٧٤ش، ص ١٠٣.

- ٨المصدر نفسه، ص ١٠٢.

- ٩المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

- ١٠أبو عثمان الجاحظ: المحاسن والأضداد، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٩١م، ص ١٥٦.

- ١١المصدر نفسه، ص ١٩٤.

- ١٢المصدر نفسه، ص ٦٩.

- ١٣المصدر نفسه، ص ١٦.

- ١٤ أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م، ج٣، ص ٨٤.

- ١٥ المصدر نفسه، ج١، ص ٤.

- ١٦ أبو عثمان الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ٦٦.

- ١٧ المصدر نفسه، ص ١٢٤.

- ١٨ المصدر نفسه، ص ١٥١.

- ١٩ المصدر نفسه، ص ٣٢١.

- ٢٠ محمد محمدي: المصدر السابق، ص ٥٠-٥١.

- ٢١ أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق، ص ٩٠.

- ٢٢ آرتور كريستن سن: إيران في العهد الساساني، نشر ابن سيناف، طهران ١٣٥١ش، ص ٩٧.

- ٢٣ أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق، ص ١٨٩.

- ٢٤ المصدر نفسه.

- ٢٥ محمد محمدي: المصدر السابق، ص ١٩٣.

- ٢٦ أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

- ٢٧ المصدر نفسه، ص ٦١-٦٢.

- ٢٨ المصدر نفسه، ص ٣٢٠.

- ٢٩ المصدر نفسه، ص ٣١٩.

- ٣٠ نفسه.

- ٣١ نفسه.

- ٣٢ محمد بن حسن خلف تبريزى: برهان قاطع، نشر نيما، طهران ١٣٨٠ش، ص ٢٦١.

- ٣٣ أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق، ص ٣٢١.

- ٣٤ نفسه.

- ٣٥ نفسه.

- ٣٦ المصدر نفسه، ص ٣٢٢.

- ٣٧ المصدر نفسه، ص ٣١٤.

- ٣٨علي أكبر دهخدا: لغة نامه، موسسة دهخدا، طهران ١٣٨٠ش، ج٢، ص ٣٦٣.

- ٣٩أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق، ص ٣٢١.

- ٤٠نفسه.

- ٤١السيد أدي شير: معجم الألفاظ المعربة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٠م، ص ٤٩.

- ٤٢أبو عثمان الجاحظ: المصدر السابق، ص ٣١٩.

- ٤٣نفسه.

- ٤٤المصدر نفسه، ص ٣٢١.

- ٤٥المصدر نفسه، ص ٣٢٠.

- ٤٦المصدر نفسه، ص ٨٦.

References:

١ - Al-Ya'qūbī, Abū Isḥāq: Tārīkh al-Ya'qūbī, Dār Ṣādir, Beirut ١٣٧٩ AH.

٢ - Al-'Ākūb, 'Īsā: Athar an-naṣā'iḥ al-īrāniyya fi al-adab al-'arabī, Translated by 'Abdallah S. Khujasteh, Scientific and Cultural Publications, Tehran ١٣٧٤ SH.

٣ - Al-Fākhūrī, Ḥannā: Tārīkh al-adab al-'arabī, ١st ed., Tūs Publications, Tehran ١٣٧٧ SH.

٤ - Al-Jāḥiẓ, Abū 'Uthmān: Al-bayān wa at-tabyīn, Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut ١٩٩٦.

٥ - Al-Jāḥiẓ, Abū 'Uthmān: Al-maḥāsin wa aḍdād, Explaination by 'Alī Abū Melḥem, Dār wa Maktabat al-Hilāl, Beirut ١٩٩١.

٦ - Azarnūsh, Azartāsh: Chalish miān fārisī wa 'arabī, (The Challenge between Persian and Arabic), ٢nd ed., Tehran ١٣٨٧ SH.

٧ - Christensen, Arthur: Īrān dar zamān Sāsānyān, (Iran during the Sassanids), Translated by Rashīd Yāsmī, Ibn Sina Publications, ٤th ed., Tehran ١٣٥١ SH.

٨ - Dahkhuda, 'Alī Akbar: Lughat nāmah, (Dictionary), Mu'assasah Lughat Namah Dahkhuda, Tehran ١٣٨٠ SH.

٩ - Edī Shīr, al-Sayyid: Mu'jam al-alfāẓ al-mu'arraba, Maktabat Lubnān, Beirut ١٩٩٠.

١٠ - Mu'īn, Muḥammad: Lughat Nāmah, (Dictionary), Mu'assasat Intishārāt Amīr Kabīr, ١٣٧٦ SH.

١١ - Muḥammadī, Muḥammad: Farhang īrānī pīsh az Islām, (Pre-Islamic Iranian Culture), Tūs Publications, ١st ed., Tehran ١٣٧٤ SH.

١٢ - Ramshī, Naṣrallah: Adabiyyāt ṭanz wa Jāḥiẓ, (Humorous Literature and al-Jāḥiẓ), Journal of the Faculty of Literature and Humanities, University of Tehran, Volume ٣٧, ١٣٧٧ SH.

١٣ - Ṣayyādī Nijād, Ruhallah: Dirāsat al-a'yād al-īrāniyya fī kitābay al-maḥāsin wa al-aḍdād wa at-tāj li al-Jāḥiẓ, Issue ٣, Year ٣, Journal of University Arabic Literature, Tehran ١٣٩٠ SH.

١٤ - Tabrīzī, Muḥammad Ḥussein Ibn Khalaf: Burhān qāṭi', ١st ed., Nima Publications, Tehran ١٣٨٠ SH.

الإحالة إلى المقال:

*د. علي خضري: تأثير الثقافة والأدب الفارسي في آثار الجاحظ، كتاب المحاسن والأضداد نموذجاً، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الواحد العشرون ٢٠٢١ http://annales.univ-mosta.

https://www.youtube.com/watch?v=-lXQ٨xyor١o

رابط رقم ٢ الفرق بين العربية والفارسية

تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات

ليلى صديق

جامعة مستغانم، الجزائر

الملخص:

عرف المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده حروبا ومعاهدات وأحلافا سياسية وعسكرية وتبادلا تجاريا سواء داخل المجتمع نفسه أو خارجه. فهذا الاتصال لا بد أن ينجر عنه تقاطع وتشابك يحمل في ثناياه أثارا عميقة، خاصة وأن هذا الاتصال توسع بصفة مكثفة في العصر الإسلامي، حيث شهد المجتمع المسلم هجرات فردية وجماعية، فأخذت العربية تؤثر وتتأثر، فتأثير العربية في غيرها من اللغات كان كبيرا وخاصة بعد اتساع الرقعة الجغرافية الإسلامية. والذي جعل منها لغة قوية تبز غيرها من اللغات هو ارتباطها بالقرآن الكريم الذي نزل بها، يضاف إلى ذلك طبيعتها التركيبية والدلالية الغنية بالأوزان وكثرة المترادفات و انسجامها الصوتي، فأخذت تنتشر بصفة كبيرة في الأقطار المفتوحة وتأخذ مكان اللغات القديمة على لسان تلك الأقوام.

الكلمات الدالة:

اللغة العربية، اللغات الأجنبية، التأثير والتأثر، الهجرة، القرآن الكريم.

إن اللغة كائن حي، ويعتري هذه اللغة ما يعتري الأحياء، من غنى وفقر ومن سعة وضيق ومن انتشار أو انحسار، ومن تجمع وتفرق، ومن عزة وذلة، ومن حياة وموت. وتتأثر اللغة بحضارة الأمة، ونظمها وتقاليدها و اتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها وشؤونها الاجتماعية والاقتصادية... وما إلى ذلك. فكل تطور بحث في ناحية من هذه النواحي إلا وينعكس تأثيره في أداة التعبير ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب.

فكلما اتسعت حضارة أمة، نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودخلت فيها ألفاظ جديدة عن طريق الوضع، والاشتقاق والاقتباس أو الاقتراض للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة، فتحيا هذه اللغة وتتطور عبر الزمن وتصبح أكثر مناعة وصلابة ضد أي صراع لغوي مع اللغات الأخرى. واللغة العربية أصدق مثال على ما نقول، بحيث أصبحت بعد فترة وجيزة من نزول القرآن الكريم لغة العلوم العقلية (كالطب، والكيمياء، والفلك، والطبيعة) مثلما هي لغة العلوم النقلية (كالفقه والتفسير والكلام)، بل غدت لغة العلم الأولى التي لا تضاهيها لغة في القرون الوسطى، وخلفت أثارا تشهد بعبقرية علماء العرب المسلمين على مر العصور والتاريخ.

١ - تداخل اللغات:

لا أحد منا ينكر أن اللغات تتداخل وتتلاقح كلما اتصلت إحداها بالأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأن أية لغة من اللغات في العالم كما تؤثر في غيرها، فإنها أيضا تتأثر.

وإنه "من المتعذر أن تضل لغة بمأمن من الاحتكاك كلغة أخرى"(١). ويرى فندريس أن تطور اللغة مستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيرا ما يؤدي دورا هاما في التطور اللغوي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاكها يؤدي حتما إلى تداخلها(٢).

وأهم ناحية يظهر فيها التداخل هي الناحية المتعلقة بالمفردات أين تنشط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباسها بعضها من بعض. ولهذه الظاهرة اللغوية عواملها التي يتتبعها الدارسون عبر مسيرة الصراع اللغوي بين اللغات من أجل البحث عن الأسباب التي تجعل لغة ما أكثر انتشارا من لغة أخرى ودرجة صمودها أمام غزو اللغات الأخرى لها. ومن بين هذه العوامل ذكر عبد الصبور شاهين أن العامل الحضاري والثقافي للغة هو الأهم في التأثير والتأثر بين اللغات والعامل الثاني هو كثرة الناطقين باللغة(٣).

ويمكن حصر تلك الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى التأثير والتأثر بين اللغات كالتالي:

أ - الغلبة في الصراع، والانتصار في الحرب، والمقهور مولع بتقليد الغالب، وخاصة إذا كان للمنتصر حضارة وثقافة ورقي وليس للمنهزم شيء من ذلك. "فقد كانت اللاتينية قديما إحدى لغات الفرع الإيطالي من مجموعة (الهندو أوربية)، محضرة في منطقة ضيقة من إيطاليا، وأصبحت بعد انتصارها في الصراع لغة رسمية لكل من: إيطاليا، والبرتغال، وإسبانيا وفرنسا، والألب، وألبانيا"(٤).

ب - وكذلك الهجرة القومية المكثفة، أو الاستعمار الثقيل بقضية، سبب رئيسي من أسباب التأثير والتأثر و انتشار اللغات.

جـ - وتتأثر اللغات بالاحتكاك عن طريق المجاورة أو التجارة، وكذلك أثناء الحروب فالإنجليزية والفرنسية والألمانية، والبرتغالية - مثلا - تتقارض المفردات وتأثرت كلها أيضا ببعضها بسبب الحروب التي قامت في أوربا.

والحروب الصليبية نقلت إلى اللغات الأوربية، كثيرا من الألفاظ العربية قد تعد بالآلاف؛ وذكر بعض العلماء أن الإسبانية أخذت من العربية أكثر من أربعمائة لفظة في شؤون البحرية وحدها(٥). فضلا عن أن المعاملات التجارية، قد أثرت كثيرا، ونقلت أسماء الأشياء من المنتجات الفلاحية أو الصناعية التجارية المتبادلة، وما يلزمها.

د - والملاحظ أيضا أن للعلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب أثر عميق في التبادل والتأثير والتأثر بين اللغات في العالم.

ونجد أحيانا لغتين متعايشتين، ولا تستطيع إحداهما التغلب على الأخرى، ويرجع ذلك إلى عر اقة كل منهما في الثقافة والحضارة، أو لقلة الأفراد المهاجرين أو الفاتحين. فاللاتينية مثلا لم تتغلب على الإغريقية، لعر اقة الأخيرة في الحضارة. والتركية (لغة الإمبراطورية العثمانية) أبان عظمتها وسطوتها،

لم تستطع التغلب على أية لغة في البلاد التي خضعت للإمبراطورية، إذ ليس للتركية حضارة سابقة، فضلا عن أنهم لم يمتزجوا بأصحاب البلاد التي حكموه زمانا ليس بالقصير(٦).

ونتيجة للتعايش بين اللغات يقع التأثير والتأثر بين اللغات المتمثل في افتراض الألفاظ، فيتسع محل لغة وتتطور وتزداد حيويتها، وتلك سنة اللغات حين التعايش والاحتكاك والتجاور.

ونجد اللغة العربية كغيرها من اللغات في العالم عبر التاريخ تداخلت مع اللغات الأخرى حين احتكت و اتصلت بالأمم المجاورة بسبب الحروب والمعاملات التجارية والثقافية، فأثرت وتأثرت حسب قانون التجاور والصراع.

٢ - العربية لغة مؤثرة في غيرها من اللغات:

إن اتصال العربية باللغات الأعجمية لا بد وأن ينجر عنه تقاطع وتشابك يحمل في ثناياه آثارا عميقة، وخاصة أن هذا الاتصال توسع بصفة مكثفة في العصر الإسلامي، بحيث شهد المجتمع هجرات فردية وجماعية، فأخذت العربية تؤثر وتتأثر، فتأثير العربية في غيرها من اللغات كان كبيرا وخاصة في عهد الدولة العباسية أين امتد سلطان العرب الفاتحين جغرافيا من أسبانيا والبرتغال غربا إلى حدود الصين شرقا، ومن سفوح الأناضول شمالا إلى أوساط إفريقيا جنوبا(٧)، فانتشرت اللغة العربية وارتفع شأنها برفعة أهلها. والذي جعل منها لغة قوية تبز غيرها من اللغات هو ارتباطها بالقرآن الكريم الذي نزل بها.

يضاف إلى ذلك طبيعتها التركيبية والدلالية الغنية بالأوزان وكثرة المترادفات و انسجامها الصوتي. وقد أظهر التاريخ قدرة اللغة العربية على استيعاب الأفكار الجديدة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء، وبين كفاءتها الواسعة في الترجمة من اللغات الأعجمية في العصر العباسي الأول، ولم يشك واحد من المترجمين آنذاك، قصور الفصحى عن استيعاب الأفكار الفلسفية والعلمية التي كانت لمفكري الإغريق والرومان والسريان وغيرهم(٨).

ويرى بعض اللغويين المحدثين أن اللغة العربية امتازت بحيوية نفاذة متأججة بحيث لم تنازل لغة أيام الفتوحات الإسلامية إلا ظفرت بها. ظفرت في العراق باللغتين الآرامية والسريانية، وفي إيران انتصرت على اللغة الفارسية وظفرت بها، وفي الشام باللغتين السريانية واليونانية وفي مصر باللغتين القبطية واليونانية، وفي المغرب باللغتين البربرية واللاتينية، وفي الأندلس باللغة الإسبانية، وأهل كل هذه البلدان شرقا وشمالا وغربا زالت لغات ألسنتهم وحلت مكانها العربية و اتخذوها للتعبير عن مشاعرهم شعرا ونثرا وعن عقولهم وألبابهم فكرا وعلوما وسياسية(٩).

لقد أشار ابن خلدون إلى هذا التأثير في "مقدمته" أين خصص فصلا عنوانه لغات أهل الأمصار قال فيه: "اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها... لأن الناس تبعُ للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك..."(١٠).

ويشير أيضا إلى تأثر اللسان العربي المضري وذلك بسبب اللحن على ألسنة العامة من العرب للاختلاط الذي وقع بين العربية وألسنة الأعاجم في الأمصار الإسلامية أثناء وبعد الفتوحات الإسلامية، وأدرك التغيرات الصوتية والتركيبية في كلام العرب الفصيح ويعبر عن ذلك بفساد اللسان المضري. وهي البداية لظهور العاميات الإقليمية في الأمصار الإسلامية، وقد عبر ابن خلدون عنها بـ"اللسان الحضري" وقال: "ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها بعض أحكامه وتغير أواخره وإن كان بقي في الدلالات على أصله وسمي لسانا حضريا في جميع أمصار الإسلام"(١١).

ومن الأسباب الاجتماعية التي أدت إلى تأثر ألسنة الأعاجم في الأمصار باللغة العربية وهجرهم لألسنتهم الأصلية، هو حبهم الشديد للدين الإسلامي و إقبالهم عليه طوعا وليس قهرا، فأحبوا العرب والعربية من خلاله. وشهد التاريخ الإسلامي أن حسن معاملة الحكام المسلمين لهؤلاء الأقوام من الأعاجم أثناء وبعد الفتوحات جعلهم يدخلون في الدين الإسلامي أفواجا و أفواجا.

يضاف إلى ذلك دور الدعاة المسلمين المهم في تحبيب الأعاجم في الإسلام وفي اللغة العربية، قال أحمد مختار في إسلام البربر: "لم يكن هؤلاء الدعاة وحدهم السبب في إقبال البربر على الإسلام، فقد كانت القدوة الحسنة والمعاملة الطيبة التي عامل بها الحكام الصالحون رعيتهم من الأسباب الهامة في تحبيب الناس في ذلك الدين الوافد وجعلهم يشعرون بالسيادة والطمأنينة والرضا في ظله"(١٢).

ولم يكن تأثير العربية منحصرا في الجانب النطقي فقط، بل تعداه إلى الجانب الكتابي كما يظهر ذلك في اقتباس بعض اللغات الحروف العربية للتعبير عن لغاتها الأصلية، ونجد هذا التأثير خاصة في البلاد الآسيوية والإفريقية وغيرها نحو اللغة الكردية (ولها عدة لهجات)، والأفغانية، والكشميرية، والبنجابية (ولاية بنجاب الهندية)، والسواحلية (إفريقية الشرقية). فقد ذكر رفائيل نخلة اليسوعي أن عدد اللغات التي أخذت حروف العربية هو سبع وثلاثون لغة، معتبرا أن تلك العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية قد أفضت حتما إلى شدة تأثير العربية في تلك اللغات، وقد دخل قاموس سجل منها عدد من الكلمات العربية، بحيث لا تكاد تجد جملة طويلة في تلك الألسن لا تحوي عدة عناصر عربية(١٣).

٣ - تأثر اللغات الأوربية بالغة العربية:

لقد كان للعربية ابتداء من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي تأثير كبير في اللغات الأوروبية، استمر طيلة وجودها في الطرف الجنوبي من أوربا، في الأندلس وصقلية وما حولهما من الجزر حتى آخر القرن الخامس عشر. إذا كان وجود العربية قد تقلص في تلك البلاد، فإنه قد ترك بصماته على ألسنة أهلها المتكلمين بالإسبانية أو البرتغالية أو غيرهما من اللغات المحلية حتى الآن.

وعن تأثير العربية في الإسبانية والبرتغالية، نجد الأب جان دي صوصة (ت ١٨٤٢م) قد صنف "معجم الألفاظ الإسبانية البرتغالية المشتقة من العربية" وحوى هذا المعجم حوالي ثمانية عشر ألف كلمة مشتقة من أصل عربي، في اللغة الإسبانية واليونانية(١٤).

لقد اهتم بعض الباحثين الأوروبيين بدراسة الكلمات العربية الدخيلة في المعجمات وتتبع تاريخ دخولها فيها، فالكاتب الفرنسي بيير جيرو أقر بتأثير اللغة العربية في اللغة الفرنسية وقدم قائمة من مائتين وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية في عصور مختلفة من التاريخ. وعني فريق آخر بدراسة هذه الكلمات العربية الدخيلة بإظهار الوسائل والطرق التي دخلت من خلالها إلى فرنسا ولغتها

مؤكدا على توثيق تلك المعلومات وإسنادها بالدليل العلمي المتوفر، وقدم قائمة حوت أكثر من ستمائة كلمة.

كما نجد أبحاثا أخرى ومقالات نشرت في هذا الصدد في غير فرنسا، ففي رومانيا مثلا نجد باحثين أكاديميين مثل نيوكولاي دوبرشان الذي قام بتتبع ودراسة الألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية عبر التاريخ فقال في هذا المجال "دخلت عدة مئات من الألفاظ العربية اللغة الرومانية بواسطة لغات أخرى، وقد دخل معظم هذه الألفاظ - أي أكثر من ٤٠٠ مفردة - إضافة إلى مئات أخرى من المشتقات منها في اللغة الرومانية وفقا لقواعد اللغة التركيبية وفي بعض الحالات ساعدت لغات بلقانية أخرى مثل البلغارية والصربية - في عملية انتقال هذه الألفاظ من العربية إلى الرومانية. ولا تزال تستخدم في اللغة الرومانية الأدبية المعاصرة ما يقارب مائة لفظة عربية الأصل بصورة عادية، بالإضافة إلى المشتقات منها، كما دخل عدد أصغر من الألفاظ بواسطة اللغات الرومانسية الإسبانية والإيطالية وبخاصة الفرنسية، وفي الوقت الأخير بواسطة اللغة الإنجليزية"(١٥).

وقد يظن البعض أن اللغة الإنجليزية كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها لأن الجزر البريطانية كانت بمنأى عن موجة الفتح العربي الإسلامي لجنوب أوروبا، وحوض البحر المتوسط، ولكن الغزو العلمي العربي لم يترك مكانا في أوروبا دون أن يبلغه. وهكذا وجدنا في الإنجليزية قدرا كبيرا من الكلمات ذات الأصول العربية يصل بها بعض الباحثين إلى بضع مئات، دخلت إلى الإنجليزية مباشرة أو بالواسطة، ولكن صلة العربية بالإنجليزية بدأت متأخرة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، ولمدة خمسة قرون على الأقل بعد ذلك(١٦).

وللألفاظ العربية طبيعية الصوت المتغلغل في الأثير، فمن لغة الأسبان والترك والروم إلى سائر اللغات الأوروبية، وبعد حيز من الزمن تعود إلينا هذه الألفاظ العربية كالطيور المهاجرة إلى مواطنها الأولى، ولكن بعد أن تغير من ألوانها، وأطواقها وأجراسها وأصواتها، وكأنما يقودها إلينا دافع الحنين إلى الوطن في البلاد العربية.

الهوامش:

١ - انظر، رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة ١٩٨٧، ص ٢٥٨,

٢ - فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدوالي ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ص ٣٤,

٣ - عبد الصبور شاهين: دراسات لغوية، القباس في الفصحى والدخيل في العامية، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت ١٩٨٦، ص ٢٢٦,

٤ - د. توفيق محمد شاهين: علم اللغة العام، دار أم القرى، ١٩٨٠، ص ١٢٩-١٣١,

٥ - نفسه.

٦ - نفسه.

٧ - سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ٣٦,

٨ - رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٧١,

٩ - سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص ٣٦,

١٠ - ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، ط٩، بيروت ١٩٨٩، ص ٣٧٩,

١١ - نفسه.

١٢ - انظر، أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب، عالم الكتب، القاهرة، ص ٢٤٦-٢٤٧,

١٣ - رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية، بيروت ١٩٦٠، ص ١٢٤-١٢٦,

١٤ - سعيد أحمد بيومي: أم اللغات، ص ١٦٤-٣٧٩,

١٥ - د. نيكولاي دوبرشان: تطور دلالات الألفاظ العربية الأصل في اللغة الرومانية، المجلة العربية للثقافة، العدد ٢٨، مارس ١٩٩٥، تونس، ص ١٧١,

١٦ - عبد الصبور شاهين: دراسات لغوية، مؤسسة الرسالة، ص ٢٢٩-٢٣٠.

References:

١ - ' Abd al-Tawwāb, Ramadān: Buḥūth wa maqālāt fī al-lugha, Maktabat al-Khānjī, ٣rd ed., Cairo ١٩٩٥.

٢ - ' Abd al-Tawwāb, Ramadān: Fuṣūl fī fiqh al-lugha, Maktabat al-Khānjī, ٣rd ed., Cairo ١٩٨٧.

٣ - Omar, Aḥmad Mokhtār: Tārīkh al-lugha al-‘arabiyya fī Miṣr wa al-Maghrib, ‘Ālim al-‘ .Kutub, Cairo

٤ - Al-Majalla al-‘Arabiyya li al-Thaqāfa, Issue ٢٨, March ١٩٩٥, Tunis.

٥ - Al-Yasū‘i, Raphael Nakhla: Gharā’ib al-lugha al-‘arabiyya, Beirut ١٩٦٠.

٦ - Bayyūmī, Saïd Aḥmad: ’Um̊ al-lughāt, Maktabat al-Ādāb, Cairo.

٧ - Ibn Khaldūn, ‘Abd al-Raḥmān: Al-muqaddima, Dār al-Qalam, ٩th ed., Beirut ١٩٨٩.

٨ - Shahīn, ‘Abd al-Sabūr: Dirāsāt lughawiyya, Mu’assasat al-Risāla, ٢nd ed., Beirut ١٩٨٦.

٩ - Shahīn, Tawfīq Muḥammad: ‘Ilm al-lugha al-ām̊, Dār ’Um̊ al-Qurā, ١٩٨٠.

١٠ - Vendryes, Joseph: Al-lugha, (Le langage), translated by ‘Abd al-Ḥamīd al-Dawālī and Muḥammad al-Qaṣṣāṣ, Maktabat Anglo al-Miṣriyya, Cairo.

الإحالة إلى المقال:

http://www.jalhss.com/index.php/jalhss/article/view/٣٧٩/٣٦٩

DOI: https://doi.org/١٠,٣٣١٩٣/JALHSS.٦٣,٢٠٢١,٣٧٩

اللغة العربية وعلاقتها بالهوية

الشريف كرمة

جامعة تلمسان، الجزائر

الملخص:

اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، إذ إن هدفها الأساسي هو التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها. ولا يمكن الكلام عن اللغة دون الكلام عن الهوية، فكلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي نشهدها في الزمن الحاضر. فالهوية كما يحددها بعض المفكرين، إذ يرون أنها ترتكز على الشعور الواعي للفردية الذاتية وعلى الشعور اللاواعي في تضامن الفرد مع الجماعة وتطلعاتها. فالهوية صفة يتصف بها الشخص، إنها بناء يقوم به الإنسان في مراحل متعددة من حياته، من خلال علاقته بذاته وبالآخرين وهذا ما يعرف بالأنا الاجتماعي الذي هو حاصل احتكاك الفرد بالجماعة. ولا يتم هذا الاحتكاك والاتصال إلا بفضل اللغة، ذلك أنها تحتل الصدارة الأولى في عمل التواصل والاندماج والتفاعل داخل المجتمع.

الكلمات الدالة:

الهوية الوطنية، اللغة العربية، الأنا الاجتماعي، الاتصال، المجتمع.

مقدمة

اللغة أداة التفاهم واكتساب المعرفة وإنماء الفكر، وهي الحبل المتين الذي بواسطته أمتن رابطة يشد الأفراد ويكون من مجموعهم أمة مميزة قادرة على البقاء والنمو والإيداع. فاللغة خاصية إنسانية أصيلة يتميز بها الإنسان دون سائر المخلوقات وإذ يوصف الإنسان بالحيوان الناطق فذلك بدلالتين: دلالة العقل ودلال الكلام أو هما متكاملتان لا تكاد تنشأ واحدة منهما بصورتها السليمة الوافية من دون الأخرى. وفي الآية الكريمة "وعلم آدم السماء كلها"(١) تعبير عن هذه الحقيقة فتعلم اللغة فاتحة

العلم وأساسها لا يتم بدونها، وقد أشار بعض علماء الآثار أن وجود بقايا مخلفات من الأدوات البدائية إلى جانب رسم الإنسان القديم، لا يمكن تطوره من دون نمط من اللغة سهل التعاون على صبغها واستخدامها.

إن اللغة فكر ووجدان وإرادة، تتجلى في المهارات وتؤدي وظائف التفكير والتعبير والتواصل. واللغة العربية من بين اللغات العريقة التي كانت ولا تزال موضع عناية واهتمام العلماء على مر الدراسات لأنها لغة القرآن الكريم. قال تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"(٢) وقال عز وجل "وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا"(٣).

لقد نزل القرآن بلغة قريش التي كانت لغة الأدب والكتابة عند جميع القبائل العربية، قبل نزول القرآن الكريم، ومع نزول الوحي اتسعت أغراضها وارتقت أساليبها، فظلت فصيحة حتى يومنا هذا فافتخر العرب منذ القديم بلسانها وبيانها، وأصبح الاعتزاز بها منوطا يتلك الكرامة الإلهية كونها لغة القرآن الفصيح المبين.

واللغة العربية من اللغات الراقية، فقد بلغت من الثراء في المفردات وصيغ التعبير، ما أثار إعجاب كبار علماء اللغات، من المستشرقين الذين عنوا بدراستها، فقد أعرب "نولدكه" عن إعجابه من وفرة مفرداتها فقال: "إنه لا بد من أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدا. وبلدهم ذو شكل واحد، ولكنهم داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة"(٤).

وهوية المرء تقوم على قاعدتين أساسيتين فكل واحدة تكمل الأخرى وتعمل على بنائها وهما الذات (الفرد) والجماعة. فالهوية الفردية صفة يتصف بها الشخص، إنها بناء يقوم به الإنسان في مراحل متعددة من حياته من خلال علاقته بذاته وبالآخرين وهذا ما يعرف بالأنا الاجتماعي الذي هو حاصل

احتكاك الفرد بالجماعة ولا يتم هذا الاحتكاك والاتصال إلا بفضل اللغة حيث تحتل الصدارة الأولى في عملية التواصل والاندماج والتفاعل داخل المجتمع.

١ - علاقة اللغة بالهوية:

إن للغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، هدفها الأساسي التعبيرعن الرغبات والأفكاروالعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها.

واللغة رمز التعايش المشترك، وبها يتم توثيق روابط الوحدة الجماعية وتدوين سجل الأمة وحماية تاريخها، وحفظ ذاكرتها ما يضمن التفاعل الحضاري بين الخلف والسلف وتبقى اللغة أهم وسيلة تواصل نظرا لكونها "تحقيقا صوتيا لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية واللغة كما يقول علماء اللغة نظام المنظمة الرمزية في الحياة البشرية وذلك باستعمال الحركات كالابتسامة والنظرة وحركة اليدين للتعبيرعن العلاقة مع الشخص الآخر"(٥).

ولا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية لأن اللغة تحمل هموم متكلميها وتنظم سلوكهم وتفاعلهم وتوحد انتمائهم. فقيمة اللغة إذن ليست في طبيعتها ولا تقع في أساس مكوناتها الداخلية إنما هي فكرة أو مفهوم أو صفة ميزها الناس بها وتفاهموا على الاعتراف بها واعتبارها فيها دون سواها. وهي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها"(٦).

إن اللغة ملتحمة أشد الالتحام بالعقيدة. فكثيرا ممن يثيرون مشكل اللغة في وقت من الأوقات إنما يخافون عقائدية لم يكادوا يصرحون بها علانية وعلماء اللسان يعرفون اليوم بتداخل موضوع اللغة والإيديولوجية إلى حد أن بعضهم ذهب إلى أن تعلم أية لغة من اللغات حتى اللغات العلمية، ما هو في نهاية الأمر إلا تعلم لعقائدية الناطقين بتلك اللغة، "لأن اللغة كما جاء في تعريف بعضهم، هي أداة للتخاطب يمكن بفضلها تحليل التجارب البشرية التي تختلف من مجوعة إلى أخرى"(٧).

فلغة كل واحد منا هي عبارة عن خلاصة تجربته في الحياة، ونظرته العقلية والعاطفية فيها. وقد لاحظ علما النفس تلاحم مفهوم اللغة بمفهوم الشخصية فمزجوا بين الكلام والمنطق وخلصوا إلى العلاقة الجدلية التي تجمع بن القول والعمل وصياغة ذلك في العبارات الشهيرة: "لم يضع امرؤ صواب القول حتى يضع صواب العمل". وقد لاحظوا أيضا أن أصغر شيء يعبر به الإنسان عن ذاته هو الحرف، لأن مجرد النطق بهذا الجزء الصغير من الكلمة يكشف عن سريرة الإنسان ويبرز ذاته. فالنطق بحرف واحد يمكن السامع من المتكلم، فيعرف شخصه ويميز حاله ويدرك أنه صغير أو كبير، ذكرا أو أنثى... وكلما استرسل المتكلم في الكلام ازداد انكشافا للسامع فيعرف لونه أو دينه أو موطنه وحتى قسمات وجهه، وقده إن كان من أهل الفراسة.

إن اللغة سبيل المرء إلى معرفته لذاته ولمحيطه، فإنها في الوقت نفسه تفرض على المرء قيودا تمنعه من تخطيها. فإذا أراد شخص ما أن يعبر عن مكنوناته، أو أن يتواصل مع إخوانه، أو أن يعي ما يجيش في نفسه، فإنه يستعمل في دلك ما تقدم اللغة إليه من مفردات وتراكيب، وهو يبقى في ذلك أسير هذه المفردات والتراكيب. وليس الأدب عموما، والشعر خصوصا، في هدا المجال سوى ثورة على سلطان اللغة وجبروتها، إنها ثورة تهدف إلى القفز فوق ما تقدمه اللغة من استعمالات مطروقة أو مفردات عادية أو تراكيب فقدت من قوة التعبير فيها لكثرة استعمالها.

ولا بد من أن يقودنا الاعتراف بأهمية اللغة في تكوين المفاهيم العقلية والتصورات الذهنية عند الإنسان إلى التأكيد على أن معرفة اللغة كبنية فكرية هي السبيل الوحيد لمعرفة القوالب لفكرية الأخرى عند البشر، مثل الفكر الأسطوري والفكر الديني والفكر العلمي والفكر الفني.

فإدوار سابير أول فيلسوف استطاع أن يدرج اللسانيات وفلسفة اللغة والحياة الاجتماعية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية عند الفرد كما عند الجماعة، وهو وضع بذلك الأسس التي تربط علم الأنثروبولوجيا بدراسة اللغة. إنه يحدد اللغة وعلاقاتها بالمجتمع بما يلي: إن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع

بشري معين والتي يتكلمها أبناؤه ويفكرون بواسطتها هي التي تنظم تجربة هذا المجتمع، وهي التي تصوغ بالتالي "عالمه" و"واقعه الحقيقي". فكل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم(٨).

أما لغة العرب وما أعطته من حمولة دلالية للفظ "عرب" وهندست فيه من دلالات ومعاني، فهو الذي قد يدلنا على ذلك النسق الدلالي الذي يفسر تصور العرب لذاتهم وهويتهم أو يكشف لنا من خلال توليد المعاني التي يحملها لفظ "عرب" في لغة العرب قبل تشكل أمة العرب نفسها(٩)، ويشير محمد الطيبي أيضا أن اللغة ومن منظور أنثروبولوجيا اللغة، تمثل وعاء الجماعة، بها تدرك ذاتها الجماعية التي تتطور من خلال أشكال التعبير إلى هوية ثقافية متميزة. وهذه تقريبا فكرة مورغان في تعريفه للقبيلة من وجهة نظره هي وإن تربطها أواصر الدم فإنها نظام سياسي لأهله، له حدود ترابية ومنطوقات وقيادات(١٠).

وقد كان لرسالة الإسلام وتعاليمها الوقع الواضح على تبلور هوية العرب كاملة مدمجة في قالب تنظيم جعل منهم أمة واحدة متماسكة.

من ناحية أخرى، فإن اللغة التي تتشكل لحاجة اجتماعية وضمن إطار المجتمع الواحد تؤثر- وبشكل مباشر- على إدراك هذا المجتمع لمحيطه وواقعه، وهي تتمتع بدور رئيسي وفعال في عملية المعرفة، أي أنها تقود الإنسان الفرد والجماعة في المعرفة، أي أنها تقود الإنسان الفرد والجماعة في عملية "استكشاف" العالم الخارجي. فهي تؤثر تأثيرا مباشرا في التجربة الفردية والاجتماعية على حد سواء.

يقول سابير إن اللغة تتحكم كثيرا بأفكارنا المتعلقة بالمسائل الاجتماعية، ومن الخطأ تصور أن الإنسان يتكيف مع واقعه دون استخدام اللغة، أو أن اللغة مجرد وسيلة لحل مشاكل الاتصال والتفكير. إن العالم الواقع مبني بطريقة لا واعية على أساس عادات الناس اللغوية وعلى أساس استعمالاتهم للغتهم الأم(١١).

وليس العالم سوى فيض من الصور المختلفة في أشكالها وألوانها، يلتقطها دماغ الإنسان وينظمها بفضل بنية النظام اللغوي الذي يتكلمه. يقول لي وورف: "إننا نجزئ الطبيعة تبعًا للخطوط التي ترسمها لنا لغتنا الأم. ونحن نقوم بتقسيم الطبيعة تقسيما منهجيا، وننظمها ضمن مفاهيم متمايزة، ونعطيها دلائل بموجب اتفاقية تحدد رؤيتنا للعالم، وهذه الاتفاقية معترف بها من قبل الجماعة اللسانية التي ننتمي إليها، وهي منظمة تبعا لنماذج لغتنا".

ولا تعني كلمة "الطبيعة" في هذا المجال الطبيعة الخارجية فقط، بل تضم كل ظواهر الحياة الفكرية والوعي البشري، من إدراك العالم الخارجي إلى عملية التفكير المجرد. ذلك لأن الفكر ذاته يعني في هذه النظرية التفكير بلغة معينة. فكل لغة عبارة عن نظام شامل من "القوالب" الثابتة.

وإذا كان الماء والهواء، هما قوام الأحياء، كلها سواء كانت إنسانية أو حيوانية أو نباتية فاليد واللغة كالماء والهواء. فاليد الإنسانية أداة، لا تباريها أداة أخرى، في تمكن الإنسان مما تمكن ويتمكن منه(١٢)، ولهذا سخر الله هذه الأداة العجيبة في خدمة الإنسان فقال تعالى: "قادرينَ على أَنْ نسَويَ". وفسرت هذه التسوية، بتغير خلقها إلى ما يشبه حق البعير استواء، فلا ينتفع الإنسان بها، أكثر من انتفاع البعير بحقه(١٣) فلا حضارة ولا مدنية ولا رقي، ولا تمكن له من الحياة، ولا سيطرة له عليها. وإذا كانت اليد الأداة العملية فاللغة أداته الفكرية والقولية(١٤). ولهذا امتن الخالق على الإنسان بها، امتنانا عليه باليد.

فالإنسان حيوان غير أنه حيوان ناطق مبين، فاليد واللغة كما ذهب "هنري" تنحصر فيهما البشرية. فهي اللتان تفصلان بين نهاية التاريخ الحيواني وبداية التاريخ البشري أو إذا عجب المرء مما ابتكره الإنسان فاللغة ما أعجب المبتكرات التي أظهرها التطور الإنساني(١٥).

فاللغة ليست عجيبة بذاتها، ولا بالجهاز الذي يصدرها والذي يتمثل في تنوع الأصوات فحسب، بل هي عجيبة كذلك في الوظيفة التي تؤديها، فهي لكونها أداة التفكير تمكن الإنسان من الشعور بالذات، ومن

الاتصال والاحتكاك بغيره، فبفصلها تكونت الجماعات الإنسانية، فتاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود اللغة. ومن أهم أسس وحدة الأمة ومظهر هويتها عبر التاريخ الثقافة، وأن اللغة العربية وأساليب الكتابة المنسجمة مع مفرداتها وطبيعة تركيبها تكون العنصر الأساسي الجامع لهذه الثقافة.

وما من شك أن الحديث الشريف الذي يحثنا أن نتعلم "من المهد إلى اللحد" يصدق أول ما يصدق على تعلم اللغات، وذلك أن الإنسان قد يقضي العمر كله من غير أن يحيط بلغة قوية، ناهيك عن اللغات الحية الأخرى التي أصبح لزاما عليه أن يتعلمها، إذا كان حريصا على مواكب العصر، والإطلاع على ما يحدث من أفكار والانفتاح على العالم الخارجي، وحماية نفسه من كل خطر قد يهدد هويته، لأن من تعلم لغة قوم، فقد آمن شرهم(١٦) كما جاد فيه الأثر.

إن القضايا اللغوية أشبه ما تكون بالقضايا المصرفية ولذلك أصبح اللسانيون يتحدثون اليوم عن رصيد الإنسان من المفردات، كما لو أن هذا الرصيد شبيه برصيد الإنسان في البنك. وكما أن الرصيد المصرفي يتعرض للتضخم المالي، حيث يفقد جزءا من قدرته الشرائية عندما تفقد الأوراق والقطع النقدية التعامل بها بين الناس قيمها فكذلك المفردات المتداولة بين الناس تتحول في تحصر الانحطاط إلى مجرد ألفاظ هشة ترددها الألسنة عندما تفقد خصوصياتها الفكرية، أي دعامتها من الأفكار التي هي للثقافة بمثابة الاحتياط من الذهب للاقتصاد، وكما أن التضخم المالي يفقد العملة قيمتها ويجعلها زهيدة رخيصة، فكذلك السلوك اللغوي ينتهي به المطاف إلى نوع من الثرثرة في الكلام، واللفظية الجوفاء في الكتابة أو النشر. والواقع أن اللغة العربية منطلق للفكر ونظام للقيم الجماعية.

فالحديث عن اللغة لا ينفصل عن الحديث عن دالة الفكر العربي، لأن اللغة تمثل السبيل لاستكشاف حوافل الأمة، فمن خلال ألفاظها تعبر عن كوامن الإحساس بالمواطنة والشعور بالصلة، والتوافق بالمشاعر وهي من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة.

فهي التي تحول الإنسان إلى كائن اجتماعي يتحسس الواقع، ويستشرف الخصائص المميزة التي تترسب في كل إشاراتها ودلالاتها. وقد وجد فيها العرب منذ أقدم العصور، كغيرهم من الأمم، صفة الملازمة للفرد في حياته وتسربها إلى أعماقه حسا ووجدانا، وتوغلها في نفسه للتعبير عن كيانه وخطراته ورغباته، وهي بالتالي تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متكاملا متماسكا، تحكم قواعدها وأصولها. ومن

هنا أصبحت اللغة تمثل الحبل المتين الذي وحد بين رغباتهم ومطامحهم وتجعل قوميتهم وهويتهم متماسكة.

فما هي القوى التي تحرك التطور السياسي والقومي؟ والهوية الوطنية وما هو العنصر الديناميكي الذي يدفع بالحركة، فيفرض التنقل من وضع للآخر، إنه ليس الدولة كما زعم هيغل، وهو ليس الأمة كما رد عليه هردز، إنها حقيقة معنوية أعظم وأبقى وأكثر خلودا من كل ذلك، إنه روح الشعب: أو كما يقول موس (Mosse) "إن روح الشعب هي القوة الخفية المعنوية التي تسيطر على الجماعة فتفرض الترابط وتتحدى الأحداث وتنتظر اللحظة المناسبة لتتفجر حقيقة واقعة، فإذا بها أمة ودولة، بل وظيفة حضارية وقيادة إنسانية. إن روح الشعب هي وحدها محور التطور إذا الزعيم هو الذي يملك الحساسية والعلاقة المباشرة الخفية مع روح الشعب. وما روح الشعب وما الذي يسمح باستمراريتها رغم الأحداث؟ إنها اللغة أقدس الأقداس"(١٧).

- اللغة هي التي تمكن روح الشعب في طقوسها وأساطيرها ورموزها وتقاليدها بل ومعانيها. اللغة المتداولة المتنقلة من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر أو عبر مسالك خفية غير واضحة، ولكنها ثابتة، هي وحدها التي تحمي كنوز المعرفة وصلابة الإيمان وقوة الانتماء.

- فلا يوجد شعب أو أمة لا تملك لغة. إن اللغة هي الشرط الأساسي الذي يعني انتقاؤه انتقاء الأمة أو كما يقول فلاسفة الرومان (Sine qua non)، إنها بهذا المعنى أحد المقومات الأساسية التي بدونها لا مجال للحديث عن مفهوم المجتمع القومي والهوية الوطنية

إن الهوية كوحدة كلية حين يتعرض جزء منها إلى التهديد فإنها تسعى للدفاع عن نفسها ومكوناتها وذلك عن طريق الأسلوب والإستراتيجية المناسب لطبيعة الخطر. فهي بذلك تنتعش وتتقلص أو تهادن أو تدافع وتهاجم كأي كائن حي له ميكانيزمات البقاء.

إن اللغة هي التعبير الحقيقي عن ذكاء الشعب، حيث أن الطابع الفكري لكل شعب، إنما يتجسد عبر الألفاظ والعبارات التي تتكون منها اللغة. اللغة وحدها هي التي تسمح بالاحتفاظ بالتقاليد ونقلها من جيل إلى جيل. وفي هذه التقاليد تجد الأساطير تعبيراتها الرمزية والأغاني المتداولة مصادرها

الحقيقية. يقول هردز في هذا المعنى: "اللغة هي تعبير عن تلقائية روح الشعب، إنها عصير الحياة للأمة. الضمير القومي للأمة لا يمكن أن يتبلور إلا من خلال الأدب الذي تخلقه قريحة لكل الأمة"(١٨).

إن اللغة العربية لا تعرف الحدود السياسية والجغرافية بل تتعدى ذلك لأنها تراكم وانصهار للمقومات الموحدة كونها تصدر عن منابع متعددة المرجعيات، ففي العراق أشورية وفي مصر مرجعية قبطية، فرعونية، إسلامية ومعاصرة، وفي لبنان وسوريا وفلسطين فينيقية، وفي المغرب فينيقية وبربرية، وفي الصومال والسودان تراث إفريقيا السوداء ومن ثم فإنها تسهم في بناء مذهب إنساني جديد وتاريخي في الوقت نفسه. واللغة في الحقيقة تكشف عن ذات الإنسان وعن أسراره كينونته حتى ولو أراد أن يخفي ذلك عن الناس.

إننا درك أهمية اللغة من خلال ارتباطها الوثيق بالأمة، فغالبا ما تقترن اللغة باسم الأمة وهويتها القومية، فتصبح أساسا مميزا لها عن بقية الأمم في حالة التعرف عليها وعلى الأفراد المنتمين لها، فنقول على سبيل المثال، إن للعرب لغتهم وهي اللغة العربية وللفرنسيين لغتهم وهي اللغة الفرنسية وللألماني لغتهم وهي اللغة الألمانية وهكذا...

يقول ساطع الحصري: "إن اللغة سواء قلنا أنها خل دفعة واحدة من قبل الله، أم ذهبنا إلى أنها تكونت تدريجيا بعمل العقل، فلا يمكن أن نشك في أنها - في الحالة الراهنة - هي التي تخلق العقل أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيرا عميقا، وتسدده، وتوجهه توجيها خاصا... من ثمة فاللغة القومية تعتبر بمثابة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب. إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، فقلب الشعب ينبض في لغته وروحه وتكمن في بقاء هذه اللغة"(١٩).

ولما كانت اللغة بمنزلة القلب والروح للأمة، فإن يتعين عل كل أمة أن تتمسك بلغتها الخاصة تمسكها بحياته وتعتبر هذا التمسك بمثابة الواجب المقدس والحق المشروع الذي تهون في سبيله أرواح الأفراد. إن الشعوب التي تتكلم لغة (أم) واحدة، تكون ذات قلب واحد، وروح مشتركة، ولذلك تكون أمة مشتركة يتوق أفرادها إلى العيش تحت لواء دولة واحدة، يبقى دائما متأججا في أعماق الأفراد، كالنار تحت الرماد، لا تلبث أن تشتعل بمجرد أن تذرو الرياح القومية ذلك الرماد(٢٠).

ذلك أن أي شعب من الشعوب لا يفقد حياته وكيانه تحت أي تأثير خارجي إلا عندما يفقد لغته ويصبح من الناطقين بلغة حكامه... فعندئذ فقط يموت الشعب ويذوب في بوتقة الغير ليصبح جزءا من أمة أخرى.

ففي هذا المعنى يقول جرجي زيدان: "اللغة المختلفة في مملكة واحدة إنما هي حواجز منيعة ضد الاحتكار الفعلي، وتدفع الأفكار، والعادات من عنصر إلى عنصر، فهي مانعة من الالتئام في وحدة قومية واحدة، يمكنك أن تجمع جماعات تحت راية حكم واحد، ولكنك لا تقدر أن تجمعها في قومية واحدة، إذا كانت متعددة اللغات ما لم تعمم فيها لغة واحدة"(٢١).

وعن اللغة العربية والشخصية القومية لا نجد ما نستشهد به خيرا مما قاله أحد أئمة اللغة القومية العربية وهو الأستاذ محمود تيمور: "فإذا كانت الإمبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة فهي قائمة في مظهر لغوي يربط بين من ضمت من الشعوب، ونحن نعمل بواعيتنا الظاهرة والخافية على استبقاء رباطنا الإمبراطوري في صورة اللغة العربية، كأننا بهذا الرباط نعمل على أحياء إمبراطوريتنا الزائلة، على نحو يلائم ملابساتنا الحضرة، فإيماننا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الإمبراطورية التي تتجمع فيها أمجادنا التليدة، وإننا بذلك الإيمان نستمسك بمقومات شخصيتنا العزيزة علينا وعلى تاريخ الإنسانية جميعا، وفي هذا الاستمساك تلتق مشاعرنا الطبيعية، لحماية أنفسنا في معترك تنازع البقاء"(٢٢).

٢ - التحديات التي تواجه الهوية واللغة:

تتعدد مصادر التحديات التي تواجه الهوية، بقدر ما تضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع، ولكن المصدر الأساسي الذي يأتي منه التحدي الأكبر لهوية الأمم والشعوب كافة، يكمن في السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم، والتي ترمى إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة، والتي تسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني، في إطار مزيف من التوافق القسري والإجماع المفروض بالقوة. والخطورة في هذا الأمر، أن قوة الأبهاء التي تُطرح بها هذه الهوية الشمولية

ذات المرجع الغربي، والأمريكي تحديداً، تعمى الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض كما هي، مما يؤدى إلى توهم أن هذه الهوية المغشوشة، هي الهوية العصرية، الهوية الكونية، هوية التحديث والمدنية، الهوية التي ينبغي أن تسود وتقود، ولا هوية الجمود والهمود(٢٣).

أما كونها هوية عصرية، فهذا صحيح من بعض الوجوه، لأنها مفروضة على هذا العصر بقوة الهيمنة والسيطرة والغلبة، وأما كونها هوية كونية، فهذا أبعد ما يكون عن حقائق الأشياء لأن في العالم هويات متعددة، بقدر ما فيه من ثقافات وحضارات، أما أنها هوية التحديث والمدنية، فينبغي أن نفهم جيداً أن للحداثة دلالات ومفاهيم ومستويات، فمنها حداثة مادية، وضعية، مقطوعة الصلة بالدين، ومنها حداثة أخلاقية، إنسانية بانية للإنسان بعناصره المتكاملة وللحضارة في أبعادها المادية والروحية واللغة جزء من الإرث الحضاري والتي تواجه شتى أنواع التحديات باعتبارها أداة التعبير والتواصل بين أفراد المجتمع، وترجمانا ينقل الأفكار للآخرين ليتم التفاهم والإقناع أو التأثير.

لقد ترسخ عند معظم أبنائنا بعجز اللغة العربية عن مواكبة حركة العلم والتكنولوجيا، وتأكدت أمامهم عظمة اللغات الأجنبية الأخرى التي تحتضن الفكر العربي المعاصر وتنقله مما نتج ذلك الشعور بالدونية والنقص أمام اللغات الأخرى. ولقد صار النطق باللغات الأجنبية دليل تفوق فكري وحضاري.

والسؤال المطروح، هل تغيرت اللغة العربية من حيث الفاعلية التواصلية؟ ولماذا استطاعت هذه اللغة أن تحتضن ثقافات عديدة طوال فترة من الزمن؟ إن المشكلة الحقيقية لا تكمن في اللغة ذاتها بل في الإنسان العربي الذي يعيش مرحلة انبهارا وشعور بالنقص والضعة من انتمائه، فيمارس هذا النقص هروبا من أصالته وهويته، لأن الهوية ترتبط باللغة لذلك كان الاعتزاز باللغة اعتزازا بالانتماء القومي ومن يتخلى عن انتمائه القومي وعرقه وأصله فكأنه الجسد بلا روح.

إن نقص الثقافة اللغوية لدى الإنسان العربي أثر سلبا على المردود الفكري والثقافي ويتمثل ذلك النقص في القراءة والمطالعة لأن جيل الأمس كان يقرأ في شبابه كثيرا من أجل أن يبني ويكون نفسه، فيجد في القراءة متعة وثقافة وتعلما، وهنا تظهر الفجوة الواسعة التي تفصل بين اهتمامات كل من الجيلين وثقافتهما ومعلوماتهما، وأسلوبهما في التفكير. إن جيل اليوم لا يقرأ كثيرا بل يتصفح قليلا وهو

مشغول البال، مشتت الأفكار، لا يتمتع بالجرأة العلمية فهو لا يدري من الثقافة إلا مصطلحاتها، وتسيطر عليه العامية، لذا نلاحظ الكثير من المثقفين اليوم وقد أصابهم العجز الكبير في ثقافتهم اللغوية.

وما من حاجة للقول بأننا نملك لغة فصحى هي مكون موحد قوي للهوية العربية والثقافة العربية معا. ذلك أنه من وجهة نظر معينة فإن اللغة العربية بحد التعريف لغة مقدسة، مطلقة بل تجري التقاليد لأنها لغة إلهية، ومع ذلك فإنها واسطة من وسائط الثقافة المعاصرة ومن بديل إلا بأن تكون مرنة، تعددية، نسبية وديناميةً.

الهوامش:

١ - دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة د. عبده الراجحي ود. علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٣/

٢ - سورة يوسف، الآية ٢/

٣ - سورة طه، الآية ١١٣/

٤ - سمدون حمادي وآخرون: اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل ١٩٨٤، ص ٢٩١/

٥ - انظر، بسام بركة: اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد ٥٢٨، نوفمبر٢٠٠٢، ص ٨٢/

٦ - المرجع نفسه، ص ٨٦/

٧ - المصدر السابق، ص ٧٦/

٨ - د. بسام بركة: المصدر السابق، ص ٨٤/

٩ - د. محمد الطيبي: العرب الأصول والهوية، دار الغرب ٢٠٠٢، ص ١٣٩/

١٠ - المرجع نفسه، ص ٨١/

١١ - د. بسام بركة: المصدر السابق، ص ٨٤/

١٢ - ج. فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٥١، ص ١/

١٣ - سورة القيامة، الآية ٤، تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الآمرية، القاهرة ١٣٢٣، ص ١١٠/

١٤ - فندريس: اللغة، ص ٥/

١٥ - المصدر نفسه، ص ١/

١٦ - د. حنفي بن عيسى: الطفل ومعضلة القصور اللغوي في العالم العربي، مجلة الثقافة، العدد ٩٨، مارس-أبريل ١٩٨٧، ص ١٢٠-١٢١/

١٧ - سمدون حمادي وآخرون: اللغة العربية والوعي القومي، بيروت ١٩٨٤، ص ٢٥٩/

١٨ - المرجع نفسه، ص ٢٦٥/

١٩ - ساطع الحصري: ما هي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص ٥٦/

٢٠ - التربية، مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة التربية والتعليم الأساسي بالجزائر، العدد ٣، ١٩٨٢، ص ٨/

٢١ - المرجع نفسه، ص ١١/

٢٢ - المرجع نفسه، ص ١٢/

٢٣ - د. سيار الجميل: مجلة الدوحة، فبراير ١٩٨٦، ص ١١.

References:

* - The Holy Quran.

١ - Al-Ḥuṣarī, Sāti‘: Mā hiyya al-qawmiyya, Dār al-‘Ilm li al-Malāyīn, Beirut.

٢ - Al-Tabarī: Jāma‘ al-bayān fī tafsīr al-Qur’ān, Al-Maṭba‘a al-Amīriyya, Cairo ١٣٢٣H.

٣ - Baraka, Bassām: Al-lugha al-‘arabiyya al-qīma wa al-huwiyya, Majallat al-‘Arabī, N° ٥٢٨, November ٢٠٠٢.

٤ - Brown, Douglas: ’Usus ta‘allum al-lugha wa ta‘līmihā, (Principles of language learning and teaching), translated by ‘Abdou al-Rājhī and ‘Alī Aḥmad Sha‘bān, Dār al-Nahḍa al-‘Arabiyya, Beirut ١٩٩٤.

٥ - Ḥammadī, Samdūn et al.: Al-lugha al-‘arabiyya wa al-wa‘ẏ̊ al-qawmī, Markaz Dirāsāt al-Waḥda al-‘Arabiyya, April ١٩٨٤.

٦ - Hifnī, Benaissa: At-ṭifl wa mu‘ḍilat al-quṣūr al-lughawī fī al-‘ālim al-‘arabī, Majallat al-Thaqāfa, N° ٩٨, ١٩٨٧, Alger.

٧ - Majallat al-Dawḥa, February ١٩٨٦.

٨ - Majallat al-Tarbiyya, Issue ٣, ١٩٨٢, Alger.

٩ - Taybi, Mohamed: Al-‘Arab al-’uṣūl wa al-huwiyya, Dār al-Gharb, Oran ٢٠٠٢.

١٠ - Vendryes, Joseph: Al-lugha, (Le langage), translated by A. Dawakhilī and M. al-Qaṣṣāṣ, Maktabat al-Anglo Miṣriyya, Cairo ١٩٥١.

موقف الإسلام من التراث الإيراني القديم

فنّ العمارة الإيراني له أثر كبير في بناء المساجد الإسلامية

*** أخذ المسلمون من تراث إيران القديم ما أثرى حضارتهم. * الشهيد مطهّري دافع عن الفتح الإسلامي لإيران أمام شبهات المستشرقين. * العرب الساكنون في إيران مالوا إلى تعلّم الفارسية وأصبحت لغة أبنائهم.**

لا شك أن الإسلام حارب كلّ ما يصد حركة الانسان والمجتمع الإنساني نحو الكمال المنشود في الفكر والسلوك والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وألغاه جميعاً.. ولكن موقفه من النتاج الفكري والعلمي الإنساني لم يكن سلبياً أبداً إذا لم يندرج في قائمة موانع الحركة التكاملية. يشهد على ذلك موقفه من التراث الإيراني القديم.. من اللغة الفارسية.. ومن علوم الحرب.. ومن علوم الإدارة.. ومن فنون العمارة.. ومن الكتب القديمة.. ثم من العادات والتقاليد السليمة.

مع أن اللغة العربية هي لغة الدين، ولا يصح إسلام مسلم إلا إذا تعلّم قدراً من هذه اللغة، فإن العرب لم يفرضوا لغتهم على أبناء الشعوب المفتوحة فرضاً كما فعلت القوى الغازية في التاريخ بل وفي عصرنا الراهن أيضاً.

نعم، لقد أقبل الإيرانيون بنفسهم على تعلم اللغة العربية وخدموا هذه اللغة في مختلف المجالات، ولكنهم لم يجدوا أنفسهم ملزمين بترك اللغة الفارسية، فبقيت هذه اللغة الى جنب اللغة العربية، بل إن العرب الساكنين في إيران بعد جيل أو جيلين أصبحوا يتكلمون باللغة الفارسية. ولكن من الطبيعي أن تمتزج اللغتان لتشكلان اللغة الفارسية الإسلامية بمفرداتها العربية الكثيرة.

واستفاد المسلمون دون شك من فنون الحرب الإيرانية لأن الأكاسرة كانوا يهتمون بهذا الجانب بشدة لما كان لهم من حروب مستمرة مع الروم منافسيهم في السيطرة على العالم، والوثائق التاريخية المتوفرة في هذا المجال رغم قلتها توضّح استفادة العرب من هذه الفنون، ففي عصر الرسول (ص) حفر الخندق حول المدينة في حرب الأحزاب باقتراح من سلمان الفارسي، وكلمة الخندق كما يقال فارسية، ثم إن القادة العسكريين الإيرانيين في اليمن كان لهم دور في إدارة عمليات الفتوح وفي القضاء على الردة، كما أن جمعاً من قادة جيش كسرى (الأساورة) كان لهم مثل هذا الدور حتى في فتح إيران. ثم إن التاريخ

يحدثنا عن دور قيادات عسكرية إيرانية في القضاء على بعض الحركات القومية المعارضة للإسلام في أنحاء ايران، وفي الفتوحات الإسلامية، وفي القضاء على الخوارج، وفي إخماد الفتن. كل هذا يعني أن الفنون العسكرية الإيرانية كان لها دور فاعل في إدارة العمليات العسكرية بعد الإسلام.

وأما في مجال العلوم الإدارية فيكفي أن نذكر أن المحاسبات الإدارية كانت تتم في الدولة حتى زمن هشام بن عبدالملك باللغة الفارسية، مما يدلّ على أن الجهاز الإسلامي استفاد من هذه العلوم ومن الإيرانيين المتمرسين فيها دونما أدنى حساسية، ومن الطريف أن لغة هذه الدواوين بُدّلت الى اللغة العربية في زمن هشام على يد إيراني يحسن اللغتين هو صالح بن عبدالرحمن.

أما الحديث عن موقف العرب من المراكز العلمية والمكتبات في إيران إبان الفتح الإسلامي فهو ذو شجون. لقد حاولت العصبيات والدراسات الاستشراقية أن تعطي للفاتحين المسلمين طابعاً وحشياً معادياً للعلم والمعرفة، وتصفهم بأنهم بدو أبادوا حضارة إيران وقضوا على المعالم العلمية فيها. بل وحتى الكتب المدرسية الإيرانية في عصر الطاغوت كانت تلقن الطلبة هذه المفاهيم عن الفتح الإسلامي، وتبين لهم أن جامعة جنديشابور والمكتبات الإيرانية أبيدت على يد الفاتحين (وتسميهم الغزاة طبعاً) ومثل هذه النعرة قد ارتفعت بشأن إحراق مكتبة الإسكندرية على يد المسلمين الفاتحين.

ودرس الباحثون مسألة إحراق مكتبات إيران إبّان الفتح ومنهم الأستاذ الشهيد مطهري رضوان الله تعالى عليه، وذكر كل الأقوال في هذا المجال وفنّدها. كما فنّد فرية إحراق مكتبة الاسكندرية.

بقي أن نشير الى موقف الإسلام من العادات والتقاليد. ولا شك أن المسلم يكفّ عن أية عادة تتنافى مع الإسلام وتعاليمه، وهكذا فعل الإيرانيون بعد أن تأدبوا بآداب الإسلام، فأصبحوا في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم ومعيشتهم وحياتهم اليومية ملتزمين بآداب الدين الحنيف، ولكنهم لم يجدوا حرجاً في ممارسة التقاليد القديمة بعد أن هذّبها الاسلام وأطّرها بتعاليمه، من ذلك مثلا الاحتفال بعيد النوروز، فلقد تواصل الاحتفال به، ثم شاركهم العرب فيه، وامتدّت هذه الاحتفالات الى مصر.

وبقي أن نشير الى أن فنّ العمارة الإيراني كان له أثره الكبير في بناء المساجد الإسلامية وبناء المدن الجديدة. وهكذا الأمر في باقي الفنون الجميلة، مما يدل على انفتاح الإسلام على ما عند الآخرين من علوم وفنون وعادات حميدة.

رابط الموضوع: http://al-vefagh.ir/News/٣١٨٢٣٣.html

الثقافة العربية الاسلامية في ايران في العصرين المغولي والتيموري

شيرين عبدالنعيم حسنين*

من دراسة مظاهر الثقافة الإسلامية في العصرين المغولي والتيموري في إيران يتبين لنا أنه على الرغم من أن اللغة العربية كانت قد فقدت مكانة الصدارة في إيران كالعصور السابقة، وحّلت محّلها اللغة الفارسية في هذين العصرين، إلا أن اللغة العربية صارت اللغة العلمية والأدبية، ولم يكن لكتاب الفرس وأدبائهم غناء عن

تعّلمها. وعلى الرغم مما سلكه سلاطين هذين العصرين من أساليب الدمار والتخريب في بادئ أمرهم وقت فتحهم للبلاد، إلا أنهم وأبناءهم من بعدهم لما عاشوا حياة مستقرة في بلاد الفرس بالإضافة إلى إسلامهم، أقبلوا يصلحون ما أفسد، بل ساهموا بنصيب كبير في الحضارة الإسلامية في فروعها المختلفة، لذلك نشأت في ظلهم وبرعايتهم هذه الحضارة الفارسية ذات الطابع العربي الإسلامي المتميز.

المعروف في التاريخ عن حكام هذين العصرين المعولي والتيموري بأنهم كانوا مخربين سفاكين، وذلك لتدميرهم الكثير من المدن الإسلامية الزاهرة، وقتلهم لألوف من المسلمين سكان هذه المدن لكن الذي لا يعرفه الكثيرون أن السلاطين المغوليين والتيموريين كانوا محبين للعلوم والفنون في أول أمرهم، فقد اهتموا بعلم الرياضيات لضبط شؤون مملكتهم، وعلم الطب لحفظ الأبدان، وعلم الفلك لرصد الأوقات وتحديد مواعيد الغزوات.

ويذكر عنهم أ م كانوا يبقون على حياة العلماء والصناع والفنانين الذين كانوا يجدونهم في المدن المفتوحة، ويصطحبون خيرهم معهم الى مقر ملكهم. لذلك لما استقر هؤلاء السلاطين في إيران كانوا من أشد المتأثرين بمظاهر الحضارة الإيرانية والثقافة الفارسية الإسلامية هناك، ثم ما لبثوا أن اعتنقوا الاسلام نتيجة لعدم تعصبهم لوثنيتهم فصاروا دعاة للإسلام، وسعوا الى نشره، وبنوا الكثير من المساجد والمدارس الدينية والعلمية في إيران. لقد انصرفوا بعد اعتناقهم الإسلام الى تعمير ما خربه أجدادهم وآباؤهم، بحيث شهدت إيران نهضة عمرانية وعلمية وثقافية عظيمة، وصارت عواصم ملكهم من المدن الإيرانية كتبريز ومشهد وهراة والسلطانية وسمرقند مراكز للعلوم والآداب والفنون، وقبلة للعلماء والفقهاء والأدباء والفنانين. وقد أوقفوا أملاكهم وبذلوا المال الوفير من أجل العلماء ورجال الدين والأدباء وأرباب الفنون، لتشجيعهم على إنجاز أعمالهم وأيضا للإنفاق على المؤسسات العلمية

والدينية، وصرف رواتب القائمين على العمل ا، بل كان من هؤلاء السلاطين من شارك أهل المعرفة نشاطهم وهو ما سنوضحه فيما يلي:

هذا بالإضافة الى الدويلات التي حكمت بعضأقاليم إيران في كنف الدولتين المغولية والتيمورية والتي كان لها دور ملموس في الثقافة الإسلامية في هذه الفترة. ولقد ازدهرت العلوم العقلية والدينية في هذه الفترة، فراج التأليف في مختلف العلوم، وخاصة الرياضيات والطب والفلك والهيئة والتأريخ والتفسير والحديث والسيرة وعلم الكلام والفلسفة والمنطق واللغة والتصوف. لذلك شهدت إيران في هذه الفترة ضة ثقافية إسلامية على أيدي علماء الفرس وشعرائهم من أصحاب اللسانين، وممن تركوا إنتاجهم ا لفارسيا يشهد هذه الثقافة العظيمة الجديرة بالدراسة، وسوف أتناول أبرز مظاهرها، حيث أن هذا البحث لا يتسع للإلمام بها هنا مفصلاً.

وسوف ينقسم هذا البحث إلى قسمين، القسم الأول يتناول فيه الحديث عن دور البارزين في العصر المغولي من سلاطين ووزراء وأعلام كان لهم دور ملموس في نشر الثقافة العربية الإسلامية في إيران.

أما القسم الثاني فيتناول أيضا الحديث عن دور البارزين في العصر التيموري من ملوك ووزراء وأعلام، والذين تركوا بصماتهم على الثقافة الإسلامية في إيران.

عرف ملوك دولة المغول التي حكمت إيران باسم (الإيلخانيين) حيث كان يطلق على الملك لقب (إيلخان). وقد كان هؤلاء الملوك منذ بداية حكمهم وثنيين، لكنهم لم يكونوا متعصبين لوثنيتهم، فذكر عن أول ملوكهم ويدعي (أبا قاخان) تولي العرش عام ٦٠٠ هـ (١٢٦٤ م) والذي لم يكن قد اعتنق الإسلام، أنه أول من ضرب النقود باللغة العربية وقد كتب على أحد ها : لا إله » وفي الحاشية عبارة ،« القآن الأعظم إيلخان المعظم زيد عظمتها » وجهها في المتن .« إلا الله محد رسول الله

فوطد صلته « أحمد تكودار » وقد اعتنق ثاني ملوكهم الإسلام ولقب نفسه بالسلطان بعلماء المسلمين، وسارع بإرسال كتاب بهذا الشأن الى العلماء في بغداد، وأعلن نفسه حاميا لدين الإسلام وتابعا للرسول(ص)، وأمر ببناء المساجد وتحويل الكثير من معابد الأصنام والكنائس إلى مساجد، كما أقام الشرع الحنيف على كما كان عليه زمن الخلفاء، فأثر هذا تأثيرا بليغا في نفوس الرعايا من المسلمين. شيخ ا للإسلام، « كمال الدين عبدالرحمن الرافعي » وقد نصب أحد الشيوخ ويدعى وولاه الإشراف العام على الأوقاف حسب شروط الواقفين. ولقد حاول

السلطان أحمد تكودار أن يدخل المغول في الإسلام، لكنهم أصروا على التمسك بديانتهم البوذية، فلم يستطع، فلجأ الى ذلك عن طريق بذل العطايا والمنح وألقاب الشرف، فدخل الكثير منهم في الإسلام في عهده. كما أجرى اتصالات مع السلطان المملوكي (قلاوون) بمصر عن طريق وفد أرسله برسالة إليه يطلعه فيها باعتناقه الإسلام، وجهوده في سبيل إحياء الشريعة الإسلامية من قبيل إصلاحات شؤون الأوقاف، وتيسير سبل الحج، كما أعرب في رسالته عن رغبته في عقد سلام ومودة مع جيرانه المسلمين، على الرغم من مخالفة ذلك لما نص عليه مجلس الشورى المغولي (القوريلتاي). وقد رد عليه السلطان قلاوون برسالة أعرب فيها عن ترحيبه بذلك، غير أن السلطان أحمد تكودار لقي حتفه بعد عامين من حكمه على يد المغول الثائرين عليه

بسبب اعتناقه الإسلام، وإقامته علاقات ودية مع جيرانه المسلمين.

وعلى الرغم من مقتل السلطان أحمد تكودار، إلا أنه لم تمضعشر سنوات حتى تغيرت أحوال البلاد، فقد تزايد عدد المغول المعتنقين للإسلام، كما تزايد عدد المسلمين تدريجيا فوصلوا الى المناصب الهامة، ونجحوا في تكوين حزب من أقوى الأحزاب في الدولة مستندين الى تأييد سكان الريف ورجال الدين، وقد استطاع هذا الحزب سادس سلاطين المغول الى العرش، وأن « غازان خان » الإسلامي أن يرفع السلطان يدخله في طاعة الإسلام.

وفور اعتلاء السلطان غازان خان العرش في أوائل شهر شعبان عام ٦٩٤ هـ

١٢٩٥ م) أعلن الإسلام الدين الرسمي للبلاد، وقد أسلم معه جميع الأمراء، فأقيمت) الأفراح واشتغل الناس بالعبادة، ولما حل شهر رمضان صامه السلطان محمود غازان خان، وعكف على العبادة مع جماعة الأئمة والمشايخ الذين شملهم بالهبات والصدقات. وعلى إثر ذلك غيّر المغول زيهم، فلبسوا العمامة كشارة مميزة لهذا التحول، ولم يعد المسيحيون واليهود قادرين على أن يظهروا بين الناس إلا بثياب متميزة، فكانت علامة

النصارى شد الزنار في أوساطهم، واليهود خرقة صفراء في عمائمهم. ولما كان السلطان محمود غازان خان على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، فقد أمر أن تذكر أسماء الخلفاء الراشدين في خطبة الجمعة والعيدين والمناسبات الأخرى في المساجد، وأصبح يذكر اسمه بعد هؤلاء الخلفاء، كما نقشت أسماؤهم على العملة، وأحيطت الشهادتان بأسماء الخلفاء الراشدين، كما كتب اسم السلطان وألقابه. كما أمر السلطان محمود غازان خان أن تصدر الرسوم طبقًا لما تنصعليه الشريعة الإسلامية دون التأويل في الشرع، وكان يحث الناس دائما على اتباع

الشريعة والعمل بأحكامها، وبذل الجهود في سبيل تقويتها ورسوخها، لذلك كان شديد العقاب على المخالفين. وقد أصدر أمر بهدم الكنائس المسيحية والأديرة اليهودية وتحطيم الأصنام البوذية، واستبدالها بالمساجد، كما أجبر البوذيين على الدخول في الإسلام، وطلب ممن يرفض مغادرة البلاد.

لذلك كان السلطان محمود غازان يرعى علماء الدين، ويباشر قيامهم بمهامهم الرئيسية، ويروى عنه أنه في عام ٦٩٦ هـ دخل إحدى المدارس الدينية وتدعى المستنصرية ، وكان المدرسون والفقهاء يجلسون كعادتهم يتلون القرآن الكريم، فلما أقبل عليهم، قاموا احترام له فلامهم على فعلهم، ثم دخل خزانة الكتب فتفقدها، ثم عاد الى الدار المذكورة، فبات فيها. وفي الحقيقة كان السلطان محمود غازان في مقدمة سلاطين المغول الذين كان لهم الفضل في اندماج المغول في المجتمع الإسلامي، فتأثروا بالبيئة الفارسية الإسلامية، وصاروا من أكثر المتحمسين للمساهمة في النهوض بالحضارة الاسلامية من كبوتها. ولقد كان عصره العصر الذهبي للدولة المغولية، فلقد شهدت إيران، وخاصة مدينة تبريز عاصمة ملكه نهضة عمرانية وثقافية كبيرة، فبنيت المساجد الكثيرة في المدن والقرى وأسست المدارس العلمية والدينية، وأوقفت الأوقاف للإنفاق عليها وعلى القائمين بالعمل فيها وعلى الفقراء والمساكين. ويكفينا دليلا على ما نقول أن السلطان محمود غازان خان كان أول سلاطين المغول قد دفن في مقبرة ظاهرة حيث كانت عادتهم إخفاء مواضع قبورهم وكان قد بناها تقع في شمال « شام غازان أو شنب غازان » في محلة نسبت الى اسمه وتعرف باسم غرب تبريز، وكانت متوجة بقبة كبيرة، ومركزها مجموعة من المباني المقامة وسط الحدائق، ومن أهم هذه المباني مسجد وصومعة ومدرستان إحداهما للشافعية وأخرى للحنفية ومستشفى ومكتبة ومرصد، وبالقرب من تلك المؤسسات توجد مدرسة أخرى لتدريس علوم الدنيا، وقد عين لها المدرسون اللازمون كما يوجد بيت القانون المخصص لحفظ كتب القوانين التي وضعت في عهده، ومسكن للأطفال وآخر للأشراف والسادة وحمام وملجأ يسع مئة يتيم يتلون القرآن ويحفظونه من مئة مصحف لديهم ويشرف عليهم خمسة من المدرسين، ويقوم بخدمتهم خمسون من الخدم، وآخر للأطفال المشردين، وثالث للأرامل تقيم فيه خمسمائة أرملة.

وقد زار الرحالة العربي ابن بطوطة هذه المقبرة وغيرها من معالم مدينة تبريز عند زيارته لإيران وسجل مشاهداته في كتابه، ومازال مكان هذه المقبرة ظاهريا حتى الآن، بما بقي من أكوام الأبنية المختلفة من حطامها.

ولم تقتصر جهود السلطان محمود غزان على مدينة تبريز عاصمة ملكه وحدها، والتي احتلت مركزا مرموقًا من الناحية العمرانية والثقافية، بل شملت أيضا المدن وأقام فيها « أوجان » الأخرى التي ضمها ملكه، فعلى سبيل المثال لا الحصر، جدد مدينة وكان يصرف دخل هذه المدينة ،« مدينة الإسلام » عدة أبنية جديدة، وأطلق عليها اسم والقرى المجاورة لها على المؤسسات الخيرية التي شيدها. كما أوقف السلطان محمود غازان جزءًا كبير من أملاكه الخاصة للإنفاق على هذه النهضة العلمية الحضارية، وسجل ذلك في حجة الوقفية التي حررت على الطريقة الإسلامية الصحيحة وشهد بصحتها جميع القضاة والعلماء. أبواب » وقد أدرج السلطان محمود غازان جميع المؤسسات التي أسسها تحت اسم وعهد بالإشراف عليها إلى وزيره العالم والمؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمذاني « الخير الذي سيرد الحديث عنه. الذي خلف أخاه السلطان محمود « أولجاتيو » ومن سلاطين المغول البارزين السلطان غازان عام ٧٠٤ هـ (١٣٠٤ م)، وكان هذا السلطان قد اعتنق الإسلام، واتخذ لنفسه اسم (محمد خدا بنده)، أي محمد عبدالله وقد وجد لذة في الالتحاق بفرق إسلامية متعددة،

فكان حنفيا وشيعيا وسنيا على التوالي.

ويذكر التاريخ عن هذا السلطان أنه قام ببناء مدينة السلطانية بين تبريز وتهران وجعلها عاصمة لملكه، وقد شهدت هذه المدينة أيضا ضة عمرانية وثقافية، بحيث صارت من أعظم المدن الإسلامية كمدينة تبريز، وقد ضمت الكثير من العمارات والمؤسسات والمدارس العلمية والدينية، كما شيد أيضا قلعة كبيرة وسط المدينة، وبنى في داخلها مقبرة له تعد من أجمل الآثار التي أنشئت في إيران. وقد شيد على مقربة من هذه المقبرة مبان خيرية أخرى كانت عبارة عن مسجد ومدرسة دينية ودار للرحالة ومدرسة كبيرة على نمط المدرسة المستنصرية ببغداد. « روضات الجنات » ويذكر عن السلطان محمد خدا بنده (أولجاتيو) في كتاب للخوانساري أنه كلف العلامة الحلي ومئة من طلابه بترتيب مدرسة متنقلة ذات غرف المدرسة السلطانية » من الخيام الكرباسية في مدينة كرمانشاه وأطلق عليها اسم وكانت هذه المدرسة تحمل مع موكب هذا السلطان أينما يصير وتضرب بأمره ،« السيارة في كل مترل ومصر.

وقد ذكر أنه وجد في أواخر بعضالكتب وقوع الفراغ منها في المدرسة السلطانية السيارة في كرمانشان. وكانت هذه المدرسة ترتحل بأعيان العلماء والمدرسين، برواتب جاريات على وكان الفقيه ،« مدرسي السيارة » السلطان، ومع كل منهم فقهاء وطلاب، وكانوا يسمون بقطب

الدين اليمني التستري الذي يرجع أصله الى بلاد اليمن واستوطن مدينة تستر من فقهاء المدرسة السيارة بالحضرة.

وإذا انتقلنا الى طائفة الوزراء ودورهم في الثقافة العربية الإسلامية نجد أن خير نموذج لهم الوزير الشهير (رشيد الدين فضل الله الهمذاني) المتوفى ٧١٨ هـ ، بعد أن جاوز السبعين من عمره، فقد كان هذا الوزير عالماً وطبيبا ومؤرخا، وشاعرا عمل في بداية أمره طبيبا محترفًا في بلاط السلطان أباقاخان، ثم تولى الوزارة في عهد السلطانين

غازان خان وأولجاتيو اللذين تحدثنا عنهما من قبل، فصار مؤرخ البلاد والمنظم الرئيسي للدولة في عهدهما. وقد كان الوزير رشيد الدين يجيد اللغة العربية، وقد اصطحبه السلطان محمود غازان معه في حملته على سوريا بصفته وزير ليقوم بتحرير المنشورات والفرمانات باللغة العربية، كما كلفه هذا السلطان بكتابة جميع الكتب التي ينبغي كتابتها باللغة العربية،هذا فضلاً عما ألفه هذا الوزير من كتب هامة باللغة العربية سيرد الحديث عنها.

يذكر عن هذا الوزير أيضا أن السلطان أولجايتو رغب إليه أن يفسر بعض آيات القرآن الكريم، فسارع بالقبول، وكتب عدة رسائل في مسائل مختلفة تقع في تسع عشرة .« التوضيحات » رسالة، وجمعها كلها في مجلد واحد سماه وكان الوزير رشيد الدين الهمذاني منذ شبابه يميل الى التأمل في العقائد الدينية والمعنى الصوفي للقرآن الكريم، لذلك اشتغل بتفسير القرآن ومعالجة المسائل الخاصة بالأخلاق والميتافيزيقا هذا بالإضافة الى اشتغاله بالتأليف في الطب والاقتصاد والتاريخ. وقد ترك لنا الوزير رشيد الدين مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والمعارف، كان قد .« جامع التصانيف الرشيدي » كتبها بالعربية والفارسية، وضمها في مجلد ضخم سماه الذي يعد من أهم « جامع التواريخ » ومن أهم آثار الوزير الشهير رشيد الدين كتابه المصادر التاريخية التي تتناول تاريخ المغول بصفته شاهد عيان لعصرهم، وكتاب وهو « طب أهل الخطا » الذي يبحث في الاقتصاد الزراعي، وكتاب « الأحياء والآثار » من الكتب الطبية والعلمية التي قام بترجمتها الى اللغتين العربية والفارسية. « مفتاح التفاسير » في الكلام وكتاب « التوضيحات » أما مؤلفاته الدينية فهي كتاب

وينقسم هذا الكتاب الى قسمين: القسم الأول يتحدث عن فصاحة القرآن الكريم ومفسريه، والقسم الثاني يتناول عدة مسائل أهمها مسألة الخير والشر، والجزاء والعقاب، وأنواع الصبر المختلفة، والقضاء القدر، والبعث، والتناسخ، وكتاب ثالث يسمى كان رشيد الدين قد ألفه

بعد اجتماع عقد مع السلطان أولجاتيو، يتناول « السلطانية » فيه الحديث عن الوحي والإلهام والمعجزة والرسالة الإلهية، والنبوة، وخاتم النبيين،

ويقع في أربع عشرة رسالة في « لطائف الحقائق » والصالحين، وكتاب رابع ويعرف باسم علم الكلام. وتوجد نسخة منها « ا موعة الرشيدية » وقد أطلق على الكتب الدينية الأربعة بالعربية بالمكتبة الأهلية بباريس.

كانت مؤلفاته الدينية قيمة ونفيسة لما أمدت به الفلاسفة والمفكرين عن أهم المشاكل في الفلسفة والتفسير، ومدى إعجاز القرآن الكريم وفصاحته، ومعجزة النبوة والمبدأ والمعاد وغير ذلك. وكان الوزير رشيد الدين قد وضع جميع نسخ مؤلفاته العربية والفارسية في بناء وخصصه « الربع الرشيدي » ضخم شيده ليكون مدفنا خارج مدينة تبريز في محلة سماها لترقية العلوم والفنون، وأسكن فيه رجال الدين والفقهاء والمحدثين وقارئي القرآن والطلاب وأصحاب الحرف من كل نوع. وقد كان هذا الربع الرشيدي عبارة عن جامعة مفتوحة أبوابها للدارسين لتزويدهم بمختلف العلوم والفنون، لما تحويه مكتبتها الضخمة من كتب نفيسة في شتى أنواع العلوم،

فقد ضمت الى جانب مؤلفات رشيد الدين كتبا أخرى مؤلفة بعدة لغات مختلفة. فقد ذكر عن مكتبة هذا الربع الخاصةالتي كانت تحوي ستين ألف مجلد من أنواع العلوم والتواريخ والأشعار والحكايات والأمثال وغير ذلك مما جمعه من بلاد إيران وتوران ومصر والمغرب والروم والصين، هذا بالإضافة الى ألف من المصاحف كتبت بخطوط مختلفة على يد كبار الخطاطين.

وكان رشيد الدين قد كتب في وصيته التي تركها فوق قائمة الكتب الدينية بمكتبة الربع الرشيدي بأن يؤخذ من حاصل أوقافه ما يكفي لكتابة نسخة في كل عام من مجموعة مؤلفاته كلها على قطع ورق بغدادي لترسل الى إحدى المدن الإسلامية الرئيسية.

مدرسة لتعليم علوم الدين كالفقه والحديث « ارزنجان » كما أقام هذا الوزير في مدينة والتفسير وعلم الكلام وأنواع العلوم العقلية، وعهد بشؤون التدريس ا الى المولى محمد الرومي من أفاضل العلماء في عصره.

ولا يفوتنا أن نشير الى هذا الوزير الشاعر، فقد كان رشيد الدين ينظم بالعربية،

نذكر منها على سبيل المثال بعضالأبيات الشعرية كانت قد تضمنتها رسالة أرسلها الى أحد كبار شيوخ المتصوفة الذين عاشوا في عصر السلطان أولجاتيو، وكان رشيد الدين يجله، ويتعهد بدفع نفقاته، وهو في هذه الأبيات يتمنى وصله وقربه، فيقول مايلي:

يطيرني شوقي وكيف أطير

إذاجاش جيش الشوق من كل جانب

فيارب قربني إلى قدوة الورى

فإن جناحي بالفراق كسير

فمالي سوى فيض الدموع تصير

فأنت على تيسير ذاك قدير

كذلك الأسرة الجوينية، فقد كانت هذه الأسرة أيضا راعية للعلم والأدب كأسرة البرامكة في عهد الخلافة العباسية، وقد تولت هذه الأسرة مناصب هامة في الدولة، وكان الأخوان شمس الدين محمد، وعطاء الملك الجويني من أبرز الشخصيات في هذه الأسرة، كما كانا على ثقافة عربية إسلامية واسعة، بالإضافة الى إجادةما لنظم الشعر العربي وكانت مجالسهما قبلة للكتاب والأدباء.

وقد تولى شمس الدين محمد الوزارة في البلاط المغولي، وتذكر له الكتب أنه أنشأ مدرسة علمية إسلامية في بلدة أسرته جوين ، وكان يدرس فيهاا كبار العلماء ورجال الدين.

أما عطاء الملك الجويني فقد كان يعمل بالديوان المغولي، حتى رافق هولاكو في حملته على الخلافة العباسية، ثم عين من قبله حاكما على بغداد بعد سقوطها، وإليه يرجع الفضل في تعمير العراق وخاصة بغداد بعد تدميرها على يد المغول، فقد أصبحت بغداد في فترة حكمه مركزا للعلوم والثقافة. أي تاريخ فاتح « تاريخ جهانكشاي » ومن أهم مؤلفات عطاء الملك الجويني كتابه العالم ، وهذا الكتاب يعد من أهم المصادر في نشأة المغول وتاريخهم، حيث كان مؤلفه شاهد عيان ومعاصرا للأحداث.

وإذا تناولنا مشاهير أعلام العصر المغولي الذين كان لهم دور في إثراء الثقافة العربية الإسلامية في مختلف فروعها، بمؤلفاتم العربية والفارسية، وهم الذين يطلق عليهم نذكر ما يلي على سبيل المثال لا الحصر: ،« أصحاب اللسانين » الذي يعد من أهم الشخصيات التي عاشت في هذا العصر، « نصير الدين الطوسي »

والمتوفى عام ٦٧٢ هـ (١٢٧٤ م) في بغداد بعد أن بلغ من العمر خمسة وسبعين عاما. فقد كان هذا الرجل من كبار العلماء والسياسيين، رافق هولاكو خان في حملته على بغداد بصفته فلكيا... وقد ألم نصير الدين الطوسي بالعلوم المختلفة السائدة في عصره كالمنطق والرياضيات والطبيعة والفلسفة وعلم الكلام، كما درس على يد أبيه المبادئ العامة للفكر الإسلامي ونبغ فيه، لذا يعد مؤسس المنهج الفلسفي في علم الكلام الإسلامي، هذا بالإضافة الى موهبته في نظم الشعر، فكان ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية، ومن أشعاره العربية لابن مسكويه، فيقول: ما يمتدح كتاب تهذيب الأخلاق »

بنفسي كتا□با حاز كل فضيلة
مؤلفه قد أبرز الحق خالصا
« الطهارة قاضيا » ووسمه باسم
لقد بذل المجهود لله دره
وصار لتكميل البرية ضامنا
بتأليفه من بعد ما كان كامنا
به حق معناه، ولم يك مائنا
فما كان في نصح الخلائق خائنا

ولنصير الدين الطوسي مؤلفات عديدة تتجاوز المئة والخمسين ألفها بالعربية والفارسية في الرياضيات بفروعها المختلفة والفيزياء والعلوم الفلكية كالفلك والتنجيم والاختيارات والاسطرلاب، والفلسفة بموضوعا□ا البارزة في الميتافيزيقا والطبيعة والأخلاق والمنطق، وأيض□ا في السياسة وعلم الكلام وفي الطب والتاريخ والجغرافيا.

،« الابتداء والانتهاء » « آداب المتعلمين » ومن أهم آثاره التي ألفها بالعربية كتب بيان » ،« انعكاس الشعاع » ،« الاسطوانة » ،« استخراج قبلة تبريز » ،« استخراج التقويم » تحرير الطلوع » ،« تحرير اقليدس في الهندسة » ،« تجريد العقائد في علم الكلام » ،« الألوان التذكرة النصيرية في علم الهيئة وهي في شرح إشارات ابن » ،« والغروب في الفلك « أخلاق ناصري » وكتاب ،« حل مشكلات قانون ابن سينا » ،« قوانين الطب » ،« سينا كما له عدة رسائل، من أهمها .« الأخلاق النصرية » المؤلف بالفارسية وعرب باسم رسالة في أصول الدين، ورسالة في الإمامة، ورسالة في انعطاف الشعاع وانعكاسه. كان طبيبا معروفًا ومن كبار ،« قطب الدين

الشيرازي » كذلك أيضا العلامة الشهير شيوخ الصوفية، وقد بلغ مترلة رفيعة في بلاط السلطانين أبا قاخان، وغازان خان، وكان

قد قام بعدة أسفار إلى بلدان مختلفة منها العراق والشام ومصر، قام بتدريس كتابي لابن سينا في الشام. « الشفاء » و « القانون »

،« التحفة الشهية » ،« اية الإدراك في دراية الأفلاك » ومن أشهر مؤلفاته العربية هي وقد ألفه في ،« فتح المنان في تفسير القرآن » ،« شرح حكمة الإشراق للسهروردي » ورسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ،« مشكلات التفسير » ، أربعين مجلدا ووصاياهم.

و« القاضي البيضاوي » المتوفى ٦٨٥ هـ وكان من كبار المفسرين، ولد ببيضاء في إقليم فارس، كان أبوه قاضي القضاة به في عهد الدويلة السلغورية المعاصرة للمغول.

ومن أهم مؤلفاته العربية تفسيره المعروف باسم .« منهاج الوصول في علم الأصول » ، في التوحيد ،« أنوار التتريل وأسرار التأويل » و« طوالع الأنوار في في مطالع الأنظار »

و« عضد الدين الإيجي »المتوفى عام ٧٥٦ هـ : كان فقهيا شافعيا ولد بقصبة إيج بإقليم فارس عام ٦٨٠ هـ ، وقد عاصر الأسرتين الإيلكانية والمظفرية وهما دويلتان عاصرتا « المواقف » المغول له آثار عربية في الفلسفة وعلم الكلام والأخلاق، ومن أهمها: كتاب مفتاح » وهو شرح لفصل البلاغة في موسوعة « والفوائد الغياثية » ، في علم الكلام للسكاكي. « العلوم

العلامة علاء الدولة السمناني: نسبة إلى سمنان والمتوفى عام ٦٥٩ هـ ، كان أبوه يعمل في وزارة السلطان غزان خان، كما اشتغل هو بأعمال الديوان في عهد السلطان أرغون، درس الصرف والنحو والحديث والتفسير والفقه، وقد ترك ما يقرب من ثلاثمائة مؤلف في تفسير بعض « مطلع النقط ومجمع اللقط » : بالعربية والفارسية، من أهم آثاره العربية في الحكمة الإلهية. « العروة لأهل الخلوة والجلوة » ، السور القرآنية

وكان قد « زكريا القزويني المتوفى عام ٦٨٢ هـ : وهو المؤرخ والجغرافي الشهير، » اشتغل بالقضاء في العراق في عصر الخليفة المستعصم بالله العباسي، ومن أشهر مؤلفاته عجائب » وكتاب ،« آثار البلاد وأخبار العباد » العربية: كتابه الشهير في الجغرافيا الذي ترجم بعد ذلك إلى الفارسية. « المخلوقات

وكان نقيب « ابن الطقطقي »المتوفى عام ٦٨٠ هـ : على الرغم من أنه تولى القضاء العلويين في الكوفة، لكنه يرجع إلى أصل إيراني، وكانت زوجته فارسية أيضا،

وقد كان « الفخري » مؤلفات بالعربية والفارسية في التاريخ الإسلامي، أهمها بالعربية كتاب أهداه إلى فخر الدين عيسى عامل السلطان غازان، وأخذ عنوان الكتاب من اسمه، بالفارسية. « نظام التواريخ » وكتاب نسبة إلى مدينة الري،

:« أبو بكر الرازي » وهو غني عن التعريف فهو صاحب معجم في « حدائق الحقائق » في اللغة العربية، وله مؤلفات عربية أخرى مثل « مختار الصحاح » في علم « روضة الفصاحة » ،« الذهب الأبريز في تفسير الكتاب العزيز » ، التصوف في الحديث. « كتر الحكمة » و ،« البيان كما شهد العصر المغولي أيضا شعراء مشهورين، كانوا من أصحاب اللسانين، نذكر منهم « جلال الدين الرومي » المتوفى عام ٦٧٢ هـ ، الذي يعد أحد رواد شعراء التصوف، فهو مؤسس الطريقة المولوية، حيث نشأ نشأة دينية لأن أباه كان عالمًا دينيا وفقيها، وعلى الرغم من إنتاجه بالفارسية، لكنه كان متقنا للغة العربية إتقانا عظيما، وكان على ثقافة إسلامية واسعة، وقد ربطته بالبلاد العربية صلات ثقافية، وخاصة سورية حيث قام بالتدريس والوعظ هناك، وقد تضمن إنتاجه الفارسي الكثير من الشواهد العربية « فيه ما فيه » والقرآنية والمبادئ الإسلامية، ومن أبرز أعماله في هذا المجال كتابه النثري الذي ألفه بالفارسية، ويشتمل على أحاديثه ومواعظه ومحاوراته، كذلك كتابه الشعري الذي يضم أكثر من ستة وعشرين ألف بيت من الشعر، وقد جعل « المثنوي المعنوي » مقدمته باللغة العربية، ويعد من أعظم الكتب التي ألفت في التصوف الإسلامي عامة والتصوف الفارسي خاصة.

« الشاعر الشهير سعدي الشيرازي »المتوفى عام ٦٩١ هـ : وهو أحد مشاهير شعراء الفرس، وقد ألم باللغتين العربية والفارسية، وكان على ثقافة عربية إسلامية، وذلك لنشئته الدينية، وتلقيه العلم في المدرسة النظامية ببغداد، وقد لقب بشاعر الإنسانية للأخلاق النبيلة والمبادئ السامية التي تضمنتها مؤلفاته الشعرية والنثرية، ويبدو هذا في كتابه " أي الروضة ، فهو كتاب تعليمي أخلاقي، وقد طعم جميع مؤلفاته كتابه الفارسية بالشواهد العربية والقرآنية. كما كان لهذا الشاعر الكبير أشعار عربية، نذكر بيتين من تلك القصيدة التي نظمها في رثاء الخليفة المستعصم بالله وسقوط الخلافة العباسية، يقول:

حبست بجفنيالمدامع لا تجري

نسيم صبا بغداد بعد خراب

فلما طغى الماء استطال على السكر

تمنيت لو كانت تمر على قبري

وإلى جانب هؤلاء الأعلام الذين كانوا من أصحاب اللسانين وتركوا لنا مؤلفات باللغتين العربية والفارسية، هناك من الفرس من ألفوا باللغة الفارسية في العلوم التي راجت في هذا العصر، وخاصة التاريخ والتصوف والتفسير وعلم الكلام، ولكنهم كانوا على ثقافة عربية إسلامية عالية، ويبدو هذا للقارئ من عناوين كتبهم التي تحمل أسماء عربية مطعم أسلوبها بالشواهد العربية والقرآنية، وقد خدمت هذه المؤلفات فروع الثقافة الإسلامية، وخاصة في التاريخ الذي ازدهر في هذا العصر لتشجيع السلاطين للكتاب على تسجيل تاريخهم وتاريخ أعمالهم، حيث كان مؤلفوها أصحاب مناصب لدى السلاطين ومعاصرين لأحداث العصر، فتضمنت مؤلفاتهم معلومات فريدة وقيمة لا توجد في كتب التاريخ، لذلك تعد هذه الكتب من أمهات المصادر في التاريخ الإسلامي، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب رشيد الدين فضل الله « جامع التواريخ »: الهمذاني المعروف بتاريخ وصاف، نسبة إلى مؤلفه « تجزية الأمصار وتزيجة الأعصار » ،

« روضة الألباب في تاريخ الأكابر والأنساب » ولمعة « درة الأخبار » للبيضاوي، و « نظام التواريخ » نسبة إلى مؤلفه البناكتي، دستور الكاتب في تعيين » لمنشى الكرماني و « سمط العلى للحضرة العليا » و ،« الأنوار لمحمد النخجواني. « المراتب لقطب الدين « لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار » ومن كتب التصوف كتاب « حق اليقين ومرآة المحققين » لقطب الدين الشيرازي، و « درة التاج » للرازي، و حدائق السحر في دقائق » في البلاغة لرشيد الدين الوطواط. و « نزهة القلوب » للمستوفي .

ثانيا الثقافة العربية في العصر التيموري

على الرغم من أن تيمورلنك لم يكن أقل من جنكيز خان قسوة وسفكًا للدماء في البلاد التي فتحها واستولى عليها، إلا أن نشاطه الإصلاحي والثقافي كان كنشاطه في التخريب، فلقد كان هو وأولاده من بعده يرعون العلم وأهله، ويخصون رجال الدين والتصوف بالتقدير والرعاية، لذا نهضت في عهدهم مراكز للثقافة الإسلامية في عدد من مدن إيران أهمها سمرقند وهراة وشيراز وتبريز.

فكتب التاريخ تذكر أن تيمورلنك كان يأمر جنوده بعدم التعرضللعلماء أثناء

غاراتهم الوحشية على البلاد، فيذكر أنه أمر جنوده وهم ينهبون مدينة أصفهان بعدم التعرض للمنطقة التي يقطنها العلماء، بل يعرف عنه أيضا أنه كان يدخل مع العلماء في محاورات

ويبذل لهم العطاء، وكان حريصا أيضا على مقابلة المشهورين منهم في البلاد عند حديثه عن « مقدمة ابن خلدون » التي يفتحها، وقد سجل هذا ابن خلدون في كتابه.

فتح تيمور لنك لمدينة حلب.

وكان تيمورلنك قد اهتم بإنشاء المدارس والإنفاق عليها وبتأسيس المكتبات الخاصةا، فكان يأتي بعلماء البلاد المفتوحة إلى عاصمة ملكه سمرقند، ويعوضهم عما تركوه، كما كان يفعل نفس الأمر بالنسبة للكتب، فيروي أنه أمر بنقل مكتبة كاملة على ظهور البغال إلى سمرقند. وكان هذا الملك من أكثر « شاهرخ » وقد تولى العرش بعد تيمور لنك ابنه الرابع الملوك الذين حكموا إيران ثقافة، وقد جعل مدينة هراة مركزا ثقافيا في وسط آسيا،

وعلت مكانة العلماء والشعراء والمعماريين والرسامين في عهده، لذلك شهد عصره نهضة علمية وفنية. ومن المدارس العلمية التي أسسها مدرسة أطلق عليها اسمه، وكانت تضم العديد من الكتب في العلم والأدب والفقه وعلم والكلام والفلسفة وغيرها من العلوم. كما كانت زوجته وتدعى « جوهرشاد » وكانت محبة للعلم العلماء كزوجها و ذات شخصية قوية ، وقد أمرت هذه الملكة ببناء مسجد في منطقة الإمام علي الرضا بمدينة مشهد، ومدرسة دينية كبيرة تعلوها المآذن بمدينة هراة، كما أمرت ببنا قبة فخمة بجوار هذه المدرسة لتدفن فيها، ولاتزال هذه القبة باقية مزينة بالآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي وفيها ضريح الملكة.

كذلك الابن الرابع للملك شاهرخ وحفيد تيمور لنك ويدعى« ألوغ بيك » الذي حكم عام ٨٥٠ هـ وامتد حكمه أربعين عاما، وكان من أكبر علماء الرياضيات والتنجيم في إيران، كما كان ذا مواهب متعددة، فكان شاعرًا وقارئاً للقرآن الكريم، حيث كان يقرؤه بسبع قراءات مختلفة، وقد ترك آثارا كثيرة في سمرقند، فأقام مدرستين دينيتين في طلب العلم فريضة على كل مسلم « ومسلمة » مدينتي سمرقند وبخارى، وكان من بين العلوم التي تدرس بالمدرستين علم الكلام.

وكان هذا الملك أيضا ملما بعلم الفلك، وقد ألف كتابا في الفلك والتقويم، وأمر ببناء مرصد كبير في سمرقند، ويذكر عنه أيضا أنه أدى اشتغاله بالعلم وشغفه به أن وفد إليه كثير من علماء فارس وتوابعها، فكان يشاركهم في الدرس بنفسه، ويدرس معهم حركات الكواكب في مرصده الكبير بسمرقند، وقد نظمت جداول الهيئة باسمه، وطبعت بعد ذلك في إنجلترا عام ١٩٦٥ م.

وإذا تناولنا آخر سلاطين التيمورين العظام وهو السلطان حسين بايقرا هذا السلطان كان شاعرا وأديبا، لذلك كان يشجع العلماء والأدباء وأيضا رجال الدين، فصارت مدينة هراة عاصمة ملكه مركزا ثقافيا كبيرا في عصره.

وكان هذا السلطان قد اهتم بإنشاء المدارس السلطان قد اهتم بإنشاء المدارس والمكتبات، ويذكر عنه أيضا أنه كان يصدر الأحكام المطاعة لتحقيق التماسات علماء الإسلام وفضلاء العصر، كما كان يبذل الإقطاعيات والإنعامات لهم، بل كان يتردد كثيرا على مجالس الوعظ، ويبجل مشايخ الإسلام والوعاظ، ويعتبر ذلك من الأمور الواجبة لذلك اجتهد في تطبيق أصول الشريعة الإسلامية. وأقام « المصلى » وقد شيد هذا السلطان مدرسة خاصة به في منطقة يطلق عليها.« المدرسة السلطانية » وكان يقوم بجوارها مكتبة خاصة على التدريس فيها ثمانون من علماء العلوم الدينية والدنيوية ،

ومن أسباب ازدهار النهضة العلمية والثقافية في عهد السلطان حسين بايقرا، نقريبه للعلماء والشعراء وبل سيما أن « عليشير نوائي الذي كان وزيرا له و كان أيضا أديبا وشاعرا ومؤلفًا ومصورا، وقد أنشأ هذا الوزير العديد من المباني والمساجد والمكتبات، واهتم اهتماما بالغا بتشجيع العلما والأدباء والفنانين، ويذكر عنه أنه كان يقرب العلماء ويواظب على حضور حلقات دروسهم للاستفادة منها.

وقد وقد أقام هذا الوزير مدرسة دينية، وأطلق عليها اسم،« المدرسة الإخلاصية عين في هذه المدرسة مدرسين لتدريسأصول الفقه في الرواق الشرقي، وآخرين لتدريس علم الحديث في الرواق الغربي، وألحق بالمدرسة مسجدا، وبنى في الجانب الشمالي من هذا المسجد قبة أطلق على هذه القبة ،« دار الحفظة » وخصصها لتلاوة

القرآن الكريم، كما ألحق بهاأيضا خانقاه لإطعام المساكين وأداء صلاة الجمعة، وقد أوقف هذا الوزير جميع ممتلكاته للإنفاق على هذه المدرسة والمسجد ودار الحفظة والخانقاه.

وقد ترك الوزير عليشير نوائي مؤلفات كثيرة شعرية ونثرية باللغتين الفارسية والتركية، تناول في بعضها التاريخ الاسلامي وتاريخ الأنبياء والحكماء ومناجاة الله.

ومن أعلام العصر التيموري، والذين يعدون من أصحاب اللسانين العربية والفارسية وتركوا مؤلفات تخدم فروع الثقافة العربية الإسلامية، نذكر أسماء بعض منهم ومؤلفاتهم العربية على سبيل المثال:

« سعد الدين التفتازاني »المتوفى عام ٧٩١ هـ : وينسب إلى قرية تفتازان بإقليم خراسان، وهو حجة مشهور في البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة والكلام والفقه وغيرها لذلك ترك مؤلفات في شتى فروع المعروفة له في النحو
شرح التصريف » من العلوم، ،
شرح » وفي المنطق ،« مختصر المعاني » و ،« المطول » وفي البلاغة ،« الإرشاد » و ،« المعزى ،« المقاصد » وفي ما وراء الطبيعة ،« تهذيب المنطق والكلام » الشمسية، و « الرسالة وفي الأصول ،« فصوصالحكم » للرد على ابن عربي في مؤلفه « شرح العقائد النسفية » و وفي الفقه ،« شرح شرح المختصر في الأصول » و ،« التلويح إلى كشف حقائق التنقيح » كشف الأسرار » وفي التفسير ،« اختصار شرح تلخيص الجامع الكبير » و ،« المفتاح »
وعدة الأبرار وشرح الكشاف » وفي فقه اللغةالنعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ »

وقد كتب « سيد شريف الجرجاني » المتوفى عام ٨١٦ هـ : كان فليسوفًا وحكيم عدة رسائل في الفلسفة باللغتين العربية والفارسية، وشروحا على أهم الكتب في أصول ،« الأصول المنطقية » و « التعريفات » الفقه والفلسفة وعلم الهيئة، ومن هذه المؤلفات كتاب بالإضافة إلى شروح عديدة.
« جلال الدين الدواني »المتوفى ٩٠٨ هـ : وهو ينتسب إلى قرية دوان بإقليم فارس رسالة إثبات » : وكان عالمًا متصوفًا وشاعرا، ومن آثاره العربية بعض الرسائل مثل شرح « رسالة نماذج العلوم و « رسالة إثبات الواجب الجديد » و « الواجب القديم لهياكل النور

الفيروز ابادي. ويرجع مسقط رأسه إلى محلة فيروز آباد بإقليم « القاموس المحيط » المعجم العربي الشهير
فارس، وكان قد رحل في شبابه إلى بغداد، وحصل العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والنحو، وزار كثيرا من البلاد العربية، وكان معاصرا للأسرة الجلائرية وقد راج في هذا العصر التأليف في العلوم العلمية والدينية، وخاصة التأليف بالفارسية في التاريخ، والتصوف والتفسير والسير على أيدي علماء وأدباء من الفرس، كانوا على ثقافة عربية وإسلامية، بدت واضحة من أسلوب كتبهم المطعم بالشواهد العربية والقرآنية، أو من عناوين بعض كتبهم ذات الأسماء العربية، نذكر منها على سبيل المثال: في مجال التاريخ: وكان هذا العصر امتدادا للنهضة العلمية التي شهدها فن كتاب التاريخ في العصر المغولي، فقد راج التأليف في التاريخ

العام والمحلي فظهرت موسوعات تاريخية قيمة في التاريخ الاسلامي مثل حبيب السيرفي » لي مرخواند، و « روضة الصفا » :

« دستورالوزراء » : لخواندمير، ولهذا المؤلف أعمال أخرى وهي « أخبار أفراد البشر لحافظ آبرو« مجمع التواريخ » وأيضاً « مآثر الملوك » و « خلاصة الأخبار في أصول الأخبار » و« روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات » آبرو، و للجامي « شواهد النبوة » ، لواعظ الكاشفي « جواهر » : وفي مجال التفسير والسير « روضة الأحباب في سيرة النبي والأصحاب » لمعين الدين الفراهي، و « معارج النبوة » و لأصيل الدين الحسيني. « درج الدر » لأمير سيد جمال الدين و « أشعة اللمعات » و « اللوامع » و ،« جواهر الأسرار وخواطر الأنوار » : وفي التصوف للشاعر الصوفي عبدالرحمن الجامي الذي سيأتي الحديث عنه ، « ونفحات الأنس لفخر الدين حسين. « رشحات عين الحياة » لواعظ الكاشفي، و « مجالس العشاق » و أما في مجال الشعر: فقد عاش في هذا العصر شاعران كبيران، كانا على ثقافة عربية وإسلامية عالية إلى جانب ثقافتهما الفارسية

، وهما عبد الرحمن جامي » و « حافظ الشيرازي »

وحافظ الشيرازي هو من كبار شعراء الغزل في إيران الذي ولد عام ٧٢٦ هـ .« الجامي وقد ألم بالعلوم الرائجة في عصره، بالإضافة إلى دراسته العربية في التفسير والحديث لحفظه الزمخشري في التفسير ومصباح المطرزي في النحو « الحافظ » والشعر، ، وترك ديوانا شعريا يحتوي على غزليات عرفانية.

وأيضا « عبد الرحمن الجامي وهو أشهر شعراء التصوف في العصر التيموري » ، ولد عام ٨١٧ هـ ، وتعلم اللغة العربية على يد أبيه الذي كان يجيدها، وقد رحل إلى سمرقند واشتغل بدراسة النحو والصرف والمنطق والحديث والفقه والأصول وقراءة القرآن وتفسيره، كما درس أيضا العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات والموسيقى وغيرها من علوم العصر، وتبحر أيض ا في التصوف. وقد ترك إنتاجا في ستة وأربعين مؤلفًا شعريا ونثريا في مختلف العلوم التي تعلمها، وحظي بشهرة عظيمة لتفوقه نذكر من بين هذه المؤلفات الفارسية مؤلفاته العربية في هذه الميادين ، وهي الدر ة » شرح على ،« فوائد الضيائية » كتاب في المفاضلة بين المتكلمين والمتصوفين، و « الفاخرة وكافية ابن الحاجب في النحو العربي

و من دراسة مظاهر الثقافة الإسلامية في العصرين المغولي والتيموري في إيران يتبين لنا أنه على الرغم من أن اللغة العربية كانت قد فقدت مكانة الصدارة في إيران كالعصور السابقة،

وحلت محلها اللغة الفارسية في هذين العصرين، إلا أن اللغة العربية صارت اللغة العلمية والأدبية، ولم يكن لكت□اب الفرس وأدبائهم غناء عن تعلمها. وعلى الرغم مما سلكه سلاطين هذين العصرين من أساليب الدمار والتخريب في بادئ أمرهم وقت فتحهم للبلاد، إلا أ□م وأبناءهم من بعدهم لما عاشوا حياة مستقرة في بلاد الفرس بالإضافة إلى إسلامهم، أقبلوا يصلحون ما أفسد، بل ساهموا بنصيب في الحضارة الإسلامية في فروعها المختلفة، لذلك نشأت في ظلهم وبرعايتهم هذه الحضارة الفارسية ذات الطابع العربي الإسلامي المتميز.

اراء حسين مجيب المصري

ويذكر د "حسين مجيب المصري جانبا عظيما من الشواهد والادلة التي يسوقها لبيان عظم هذه الصلات التاريخية بين العرب والفرس وكيف كام التراث العربي مؤثرا ايما تاثير في الثقاغة واللغة العربية فيقول :

" بعد فتح العرب لفارس ،كان حتما ان تنتشر العربية في ارجاء البلاد .. وقد وجد الفرس مس الحاجة الي معرفة العربية لانها لغة القران الكريم والحديث الشريف واحكام دينهم الجديد الذي دخلوا فيه افواجا ، وافضي ذلك بلغتهم الفارسية الي ان تنكمش في صدور قلة من اهل البلاد تعتبر محدودة ضئيلة اذا قيست بالكثرة الكاثرة ولمدة تبلغ قرنا ونصف قرن من الزمان لا نتبين اثرا للغة قومية للفرس ولا نجد السبيل الي معرفة اللغة التي كانت تدور علي السنتهم في هذخه الحقبة معرفة دقيقة والمعلومات التي نستمدها من مظانها تنقلنا مباشرة من تعبير عبدة النار الي الفارسية الحديثة التي يطغي العنصر العربي عليها زكان الفارسي المتعلم حتي في الزمن المتاخر مندفعا الي التحرير بالعربية مباهاة منه بالتضلع من لغة صعبة ،مما يرفع منزلته ويذيع شهرته ، ويدل علي انه يفهم القران حق الفهم ويشير الي انه من اهل التقوي ،كما يمهد سبيله الي تبوء المناصب في الدولة "[١]

[١] حسين مجيب المصري : صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ٧٩

وبذلك كما يقول هو مؤيدا قول الثعالبي انهه اي اللغة العربية قد شاعت وذاعت واصبحت اللغة الرسمية الي كونها لغة الدين والعلم والادب ، وقد احب الفرس العربية وتعلموها وحرصوا عليه ، وربما فاقوا العرب في حرصهم عليها ، والاقوي من ذلك دليلا قوله ايضا " مما يحق علينا ان نشير اليه في اقامة الدليل علي انتشار العربية وتوطدها في بلاد الفرس ان هذا حالها دام حتي بعد نشأة الامارات الفارسية التي بعثت قومية الفرس بالخروج علي الخلافة العباسية واخضاعها لسلطانها واحيت اللغة الفارسية وادابها عي ان ذلك اهم مظهر من مظاهر السيادة الفارسية واسترداد الفرس لكيانهم الحضاري ، غير ان الفارسية لم تكن لتقوي علي الوقوف الي جانب العربية وقفة الند المنافس ، فضلا عن ان العربية ظلت اساسا متينا للثقافة وكان العلم بها امرا لا عنية عنه لكل من ادركته حرفة الادب او لحق بالخدمة في القصور واصبحت لغة العلماء والادباء من الفرس بحيث راجحت الفارسية فرجحتها .. فكانت جمهرة التآليف العربية للفرس والكثرة الكاثرة للتراث العربي لذوي السجية من القول منهم "[1]

ويزيد علي ذلك قوله " ومن يوم دولة الرشيد فما بعد مست الحاجة الي وضع التفاسير القرانية وتقييد الحديث مخافة ضياعه ومعرفة الاسانيد وتعديل الناقلين وفسد اللسان فحتيج الي وضع قوانين النحو واصبحت العلوم الشرعية ملكات في الاستنابط والاستخراج والقياس واحتاجت الي علوم اخري وبذلك اصبحت العلوم حضرية و الحضر لذلك العهد هم العجم او من في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين يتبعون العجم في الحضارة واحزالها لان الحضارة راسخة فيهم منذ دولة الفرس ، وهذا يفسر لنا لماذا كان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بهده والزجاج زكل هؤلاء عجم في انسابهم وانما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بمرباهم ومخالطتهم العرب كما ان اكثر حملة الحديث من العجم وكان علماء اصول الفقه منجميعا عجما ولا شك ان هذه الحقيقة مصداق لقوله صلي الله عليه وسلم " لو تعلق العلم بكناف الثريا لناله قوم من اهل فارس ".[2]

---

[1] نفس المرجع السابق ص ٨٠

[2] ـ نفسه ص ٨١

ومما لا يسعنا اغفاله الاشارة الي رجحان العربية علي الفارسية في ايران ، ان الطاهريين الذين يعتبرون اول الفرس الذين استقلوا عن العباسيين كان تعلقهم بفارس اقوي من تعلقهم بالفارسية ، ولقد كانوا مسلمين من اهل التقوي وفي القران عندهم غنية عما سواه ويروي ان اول الطاهريين امر باحراق منظومة فهلوية قديمة تتضمن قصة حب " وامق وعذرا " وهو يقول نحن قوم نقرأ القرآن والحديث وهذا كتاب للمجوس فهو كتاب ملعون " وقد حاول الخلفاء ان يقضوا علي علي الفارسية في ايران فابطلت الكتابة الفهلوية واصبحت لغة القران لغة الادارة واضحت لغة العلم والدين والشعر والمعبرة عن كل فكرة ولما نشأت الدويلات المستقلة ظهرت الفارسية في الطبقات الشعبية حيث لم يكن في الامكان ان تستاصل منها ثم وجدت سبيلها من بعد الي البلاط والادب ومما لا ريب فيه ان الشعراء كانوا يعتزون بالنظم في العربية واستخدام اوزان شعراء الصحراء غير انهم بدأوا يصبون اللغة الدارجة في قالب الشعر العربي وبذلك ظهر ادب قومي في ظل ادب اجنبي ، ومن عجب ان العربية والفارسية قد التقتا لدي اول من جري الشعر الفارسي علي لسانه وهو بهرام جور الذي تربي في الحيرة وحكم باسم رهرام الخامس في ايران من عام ٤٢٠ الي ٤٣٨ م فيقول الرواة ان الشعر الفارسي بدأ به ويروون بتا له بالفارسية وبيتا بالعربية :

البيت بالفارسية هو :

منم آان بيل دمان ومن ان شير يله نام من بهرام كور وكنيتم بو جبله

انا ذلك الفيل المخوف والاسد الهصور اسمي بهرام جور وكنيتي ابو جبلة

والبيت بالعربية ما ينسب اليه :

اقول له : لما نظرت جنوده كأنك لم تسمع بصولات بهرام

ولنا ان نذكر ان اول شاعر مما يعدون كتبوا شعرا بالفارسية الشاعر ابو العباس مروزي الذي استقبال المامون بقسدة مدح مشهورة عدت من اوائل النظم بالفارسية والتي بدأها :

اى رسانيده بدولت فرق خود تا فرقدين گسترانيده به فضل وعلم در عالم بدين

مر خلافت را تو شايسته چو مردم ديده را دين يزدان را تو بايسته چو رخ را هر دو عين

وهذا يشير الي انه اول شاعر فارسي مدح خليفة عربيا بشعر فارسي وبرغم ما ذكر من شواهد عن وجود شعر بالفارسية فهو يبقي امرا يدل علي الفارسية لم تكن لتقارن بالعربية لما لها من قوة ونضارة ، وغير هذا ففي اوائل القرن الثالث الهجري نشأ في وسط اسيا وخراسان لغة ادبية في مختلف المصادر التاريخية والادبية الدرية نسبة بمعني الباب في الفارسية والمراد به باب القصر او بمعني الوادي وظل هذا اسم اللغة يطلق الفارسية الادبية ، ولذلك تسربت الي الفارسية الفاظ عربية زكان تسربها بطئيا متواصلا مما افضي الي امتزاج اللغتين وكان ذلك علي الخصوص في لغة اهل الطبقات العالية في الادب عموما ، وكان هذا التسرب اقل الي اللهجات الشعبية وقد زاد تاثر الفارسية بالعربية في نهاية عصر المغول وظل عليه في عصر التيموريين وبقي الي ما بعد الصفويين وفي تلك الازمنة تلقت الفارسية الفاظا مغولية وتركية [1]

واستخدم الفرس الخط العربي مع اضافة بعض حروف لا وجود لها في العربية وهي (پ ـ چ ـ ژ گ) لتؤدي اصواتا خاصة بالفارسية ومن الباحثين من ذهب الي العربية كانت ذات اثر في نطق الفرس وبرهانه علي ذلك ان القاف سامية تنطق فس مدينة يزد بكيفية مختلفلة وان كان من الصعب التمييز بينها وبين الغين في لهجة اصفهان وطهران وقد اختلف المثقفون من الايرانيين في صحة نطق القاف غينا وقال احدهم انه يفرق في النطق بين القاف والغين ، والخط العربي ينقسم الي قسمين : القسم الشرقي والقسم الغربي والشرقي هو الخط الكوفي الماخوذ عن الخط السرياني وكان استخدامه الي اوائل القرن الثاني الهجري وقد حل محله لصعوبته القسم الغربي للخط العربي وهو مقتبس من الخط النبطي ومستخرج من الكوفي ولكن كتابة الفارسية بالخط العربي كانت سببا في تغيير ببعض الالفاظ الفارسية مثل برنا بمعني شاب نطقت بفتح الباء كما ان خر خو في الفارسية لم يكن له نظير في العربية لذا اضطر الايرانيون الي التعبير عنه بحرفين عربيين هما الخاء والواو كما في "خواهر بمعني اخت وخواب بمعني نوم او حلم كما كتبت الفارسية في بعض لهجاتها بالخط العربي كاللهجة الصغدية في ما وراء النهر وكان خطها مشتقا من اصل سامي كالخط الفهلوي وكتبت لهجة

[1] Rybka: iranishe litratugeschichete lebpzig ١٩٥٩ p ٧٣

خوارزم بالخط العربي وكان خطها مشتقا ايضا من خط سامي اما اليهود فكان لهم في عهد الساسانيين لغة يكتبونها مزيجا من العبرية والارامية ، وبعد الفتح العربي بمدة بدأوا يستخدمون الفارسية ولكنهم كتبوها بخط عبري ودخل الفارسية الكثير من الالفاظ كالمسلم والكافر والمنافق والفاسد والزكاة والحج والقران والطلاق والقبلة والمحراب والتيمم ولم يكد الفرس يستخدمون فارسية عوضا عنها . ومما يذكر ان الفارسية تتجرد من اداة التعريف ال كما الصورة والطبيعة والعادة والتاء المربوطة التي تصبح تاء مفتوحة في الفارسية .

والي جانب هذا التاثير اللغوي نجد الترجمة قد نالت حظها الوافر من الاهتمام ايضا وفي سياق الموضوع نلمس اول ما ترجم من الكتب ا لعربية الي الفارسية اعترافا بالفضل والاهمية وكتراث تم نقله من الفارسية الي العربية مثل كتاب تاريخ الامم و الملوك للطبري وكتاب حدود العالم وعجائب البلدان لابي مؤيد البلخي وكتاب في الاقرباذين بعنوان كتاب الابنية عن حقائق الادوية لموفق اب منصور وكتاب كليلة ودمنة لابن المفقع .

من المثاقفة والتواصل اللغوي والادبي والحضاري كنتيجة طبيعية للتراث العربي في ايران امران : الاول منهما ظهور اصحاب اللسانين ، والثاني فن الملمع كاحد اسباب هذا التلاقح لدي اصحاب اللسانين :

اصحاب اللسانين

قال البعض إن الأدب الإيراني القديم كان أول أدب أجنبي اتصل به الأدب العربي، وبخاصة في منطقة الحيرة. وظلت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة المستخدمة في إيران طوال القرنين الأول والثاني الهجريين حتى نسي الإيرانيون قدراً هائلا من ألفاظ لغتهم البهلوية القديمة وطريقة كتابتها، وأصبحوا لا يعرفون إلا الخط العربي، ولهذا استعان الفرس في إحياء لغتهم باللغة العربية، ودخل المعجم العربي برمته تقريبا في المعجم الفارسي، حتى قال البعض إن نسبة الألفاظ العربية في المعجم الفارسي تزيد على السبعين بالمائة. وإلى جانب الأدباء الإيرانيين الذين ألفوا كل انتاجهم باللغة العربية، وجد آخرون ألفوا باللغتين الفارسية

والعربية ويدعون "أصحاب اللسانين" مثل ابن سينا والغزالي وشمس الدين الرازي الذي وضع كتاب "المعجم في معايير أشعار العجم" بالفارسية، و"المعرب في معايير أشعار العرب" بالعربية. كما وجدت جماعة من أصحاب اللسانين من كانوا يصدرون كتبهم باللغتين مثل أبي الريحان البيروني والمؤرخ رشيد الدين فضل الله صاحب "جامع التواريخ"

ويقول حسين مجيب المصري : " كانت الصلة بين العرب والفرس في مظهر لغوي ادب هو التقاء الفارسية والعربية جميعا في السنة بعض من شعراء وبلغاء الفرس يعرفون باصحاب اللسانين لانهم عبروا بالفارسية والعربية وبذلك تواكبت اللغتان وارتبطتا بثقافة اسلامية موحدة لم تكد تتغا ير جوانبها الا في الصورة . ولا شك ان هذا اقرب القرب بين اللغتين واتم الاندماج ... وهذه الظاهرة تبعثا علي الجزم بان الفارسية والعربية كانتا في كفتي ميزانم ولتفسير ذلك نقول انه منذ عهد الخلفاء الراشدين الي عهد السلطان محمود الغزنوي اي القرن الرابع الهجري كان تدوين اوامر الدولة والرسائل الديوانية بالعربية وكان عيبا ان يصدر شئ من هذا عن قصر السلطان بالفارسية حتي كان من ابي نصر الكندري وزير الب ارسلان السلجوقي ان امر باصدار القوانيين والمنشورات بالفارسية "[1]

وحقيق بالذكر رغم قيام الامارات الفارسية في ايران منذ القرن الثالث الهجري والتي دامت الي نهاية القرن الخامس الهجري هي التي ازدهرت فيها الفارسية وتأتي لها ان تصبح لغة ادب لها كيان خاص بها غير ان العربية مع هذا لم يضعف شانها بل كان لها الرجحان علي الفارسية من حيث كونها لغة تاليف وتصنيف والانتاج الادبي فيها اكثر من الفارسية .

ومن اصحاب اللسانين الامير قابوس بن وشمكير الزياري المتوفي عام ٤٠٣ هـ وهو من الملوك الادباء وصاحب الابيات التالية المشهورة :

قل للذي بصروف الدهر عــيرنا هل حارب الدهر الا من له خطر

اما تري البحر تعلو فوقه جيف وتـــــستقر باقصي قاعه الدرر

فإن لـــم تكن ايدي الزمان بنا ونالنا مـــن تمادي بؤسه الضرر

فــفي السماء نجوم مالها عدد وليس يكسف الا الشمس والقمر.

[1] حسين مجيب المصري : صلات بين العرب والفرس والترك مرجع سابق ص ١١٥

وكان قابوس يقول الشعر بالعربية والفارسية وله في النثر العربي روائع ورسائله من البلاغة في رتبة رسائل بلغاء العرب ، ثم ان بديع الزمان الهداني صاحب المقامات بالعربية كان له شعر بالفارسية ولكنه قليل وباعه في الترجمة عنها يسير ، ولئن ترجم بديع الزمان عن الفارسية لقد ترجم ابن ابي توبة عن العربية وقد اتفق في بعض مجالسه ان انشد احد الندماء قول ابي نواس :

وخود اقبلت في القصر سكري ولكن زين السكر الوقار

فقلت : الوعد سيدتي فقالت كلام الليل يمحوه النهار وما سمع ابن توبة هذا الشعر حتي تامل ساعة وترجمه الي الفارسية ترجمة موفقة .

ومن اهل القرن الرابع واصحاب اللسانين ابو الفتح البستي وهو صاحب ديوانين احدهما بالعربية والاخر بالفارسية .

كما قيل ان بعضا من شعراء السلطان محمود الغزنوي اعجبوا ببيتين من الشعر الفارسي فقام في انفسهم ان يترجموهما الي العربية وهذا واضح الدلالة علي ان العربية كانت لغتهم الثانية الي جانب الفارسية والبيتين قد قام ابو العباس الاسفراييني بترجمتهما الي الفارسية وهما :

فضي الثغر لبيب ضاحك عرم من عشق مبسمة اصبحت مسجونا

بسكر قد رايت اليوم مبسمه تحت العقيق بذاك الورد مكنونا

والترجمة بالفارسية :

از دور بـــــديدار نكريستـــــــم مجروح شد آن جهره بر حسن وملاحت

وز غمزه تو خسته شد آزرده دل من وين حكم قضائيس جراحت بجراحت

ومنهم عمر الخيام الذي كان اسمه مقترنا بالادب الفارسي والخيام يربط الشعر الفارسي بالشعر العربي ، ولذلك بينه وبين ابي العلاء وجوه شبه كثيرة ، وكان الخيام عالما بالفقه واللغة والتواريخ وله اشعار حسنة بالفارسية والعربية ، اما شعره بالعربية فلا يوجد منه سوي اربعة عشر بيتا : منها البيتيت التاليين

تدين لى الدنيا بل الســـبعة العلى بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطـرى

أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية عفافاً وإفطارى بتقديس فاطـرى

وهذا ايضا مسعود سعد سلمان الذي كان من اصحاب اللسانيين ايضا وكان من شعراء الحبسيات وقد استشهد الوطواط بشعره العربي والفارسي في كتابه حدائق السحر وهو كتاب بالفارسية في البلاغة ومن ابياته العربية :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها وليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت اليه والظلام كأنه علي العين غربان من الجو وقع

فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي من الهم منجاة وفي الصبر مفزع

وهو بذلك يعد من المجيدين في الشعر العربي نظرا لرصانة اسلوبه وصنعته البلاغية

وهذا ايضا سعدي الشيرازي الذي كان تراثه الادبي من اهم واغني ما في الادب الفارسي كان له باع ايضا من الشعر العربي مما يدل علي اجادته له وتاثير التراث العربي عليه وشعره العربي يشكل قسما من كلياته يتالف من ثماني صفحات كبار كما يوجد في عدة مواضع من الكلستان واول ما يلفت الانتباه من شعره تلك القصيدة التي يتوجع فيها علي بغداد وسقوطها علي ايدي المغول فيقول :

حبست دمعي بجفني المدامع لا تجري فلما طغي الماء استطال علي السكر

نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر علي قبر

ويليه كل من حافظ الشيرازي الذي كانت له ابيات متفرقة من الشعر العربي ، وكذلك ابو الطيب مصعبي الذي كان ايضا من الشعراء اصحاب اللسانين وهذا امر يدلنا في النهاية علي مدي تاثير العربية والتراث العربي الاسلامي علي اللغة الفارسية في ايران وجل شعراءها . ويذكر ايضا عبد الرحمن جامي وشعره متفرق في المنظومات الفارسية المعروفة بالملمعات و قد كان علي سعة بالعربية وله مؤلفات عربية مثل "الدرة الفاخرة " في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين ورسالة التوحيد وشرح دعاء القنوت وشرح علي كافية ابن الحاجب ، هذا وقد ظهر في تاريخ الادب عدد كبير من كتاب الداووين الذين اشتهروا باناقة الانشاء زمنهم عماد

الدين الاصبهاني ومنهم ايضا ممن ذاع صيتهم رشيد الدين وطواط وايضا بهاء الدين العاملي من شعراء العلويين وهو المعروف بشيخ بهائي وغيرهم كثير مما لا يتيح المجال هنا ذكرهم والتعمق في اثارهم .

فن الملمعات عند الفرس والنظم باللغتين الفارسية والعربية

لم يعرف في التاريخ الإنسانيّ التقاءًا أكثر تلاقحا وتفاعلا من التقاء العرب بالفرس، خاصة بعد الفتوحات الإسلاميّة وعلى جميع الآصعدة ،كانت لهاونتائج حضارية عظيمة. مّن ذلك انتشار اللغة العربية بانتشار الإسلام ،حتى أصبحت لغة الدواوين والفكر والآدب والعلم، وانتشار حركة الترجمة والنّقل أدت في النهاية إلى قيّام حضارة إسلامية مميّزة.

الملمَّع المفهوم والمصطلح :

-١-١ لغة :.

جاء قّي لّسان آلعرب:" قّيل كّل لّونّ خّالف لّونا لمعة وّتلميع") ٨(. كّما جّاء قّيّ الصحاح لّلجواهريّ :."آلملمّع مّن آلخيل :آلذي يّكونّ قّي جّسده بّقع تّخالفّ سائر لّونه")٧(. وّورد قّي مّعجم آلعين لّلخليل بّن أّحمد آلفراهيدي، لمع :بثوبه لمع للإنذار، أي للتحذير . مّعة، ويقال ألمعت النّاقة ألمعت: إّذا حملت . وّاللماع جمع لمعة من الكلأ . مّ و واللمع لتلميع في الحجر .أو آلثوبوّنحوه مّن أّلوان شّتّى، تّقولّ إنه لّحجر مّلمع وّالواحدة :لّمعة ".

-٢-١ الملمّع آصطلاحا :.

يختلف آلملمع قّي آلآدب آلعربي عّن آلآدب آلفارس ي،رغم أّنّ آلتسميّة وّاحدة. ففي آلآدب آلعربي يّدخل آلملمع ضّمن آلشعر آلصُنعي فّ المتكل آلمزخرف، فّهو "ّ نوع مّن أّنواع آلبديع آللفظي . يّكونّ بّالاتيان بّ بيت شّعر، حّروف صّدره كّلهّ معجمة)منقوطة(وّحروفعّجُزه خّالية مّن آلنُقط)مهملة أّو عّاطلة(مّثال ذّلكّ قولّ آلشاعر :)١١(فتنتني بّجبين لكّ هلال

ٱلسّعد لّاحّ.. بيد أنّ ٱلملمّع عّند ٱلفرس" فّ نّ رّفيع تّناوله ٱلشعراء ٱلفرسمّن ٱلطراز ٱلآولّ) منذ ظّهورّ ٱلشعر ٱلفارس ي ٱلدريّ حّتى بّلوغ ذّروته "(١١ أورد مّحمد بّن عّمر ٱلرادوياني فّي كّتابه" تّرجمان ٱلبلاغة" تّعريفا لّلملمع: فقال:" وّمن ٱلصناعات ٱلآخرىّ نّظم ٱلشاعر لّقصيدة تّتكونّ مّن بّيت فّارس يّ وآخر عّربي عّلى وّزن وّاحد وّقافية وّاحدة .وّليس عّلى سّبيل ٱلترجمة . .وقد تّكونّ هّذه ".ٱلصنعة بّجعل أّحد مّصراعي ٱلبيتمّن ٱلشعر عّربيا وّ خر فّارسيا؛ أّو أّن يّكونّفارسيا .كّما يّجوزّ فّيها أّن يّكونّ أّحد ٱلآبيات عّربيا وّ بيتان بّالعربية ثّم بّيتان أّخران بّالفارسية؛ أّو أّن تّجعل عّشرة أّبيات بّالعربية ثّمّ عشرة أّخرىّ بّالفارسية .

مثال ذّلك قّولّ رّشيد ٱلدين ٱلوطواط)

خّذاوندا تّرا دّر كّامراني	هّزاران سّال بّاذا زّندكانيّ
وّقاك ٱللّه نّائبة ٱلليالي	وّصانك مّن مّلمّات ٱلزمانّ
تّوآن صّدريّ كّي آز تّو بّايند	هّمه أّرباب دّانشك ّامرانيّ
جّنابُك رّوضةٱلإقبال تزّري	طّايُها بّروضات ٱلجِّنانِّ

وّترجمة ٱلبيتين ٱلفارسيين فّي هّذه ٱلمقطوعة :.

(فيا مّولاي...لتدم حّياتك ألاف ٱلسنين مّوفقا مّظفرّ

وقاك ا ّللّه نّائبة ٱلليالي وّصانك مّن مّلمّات ٱلزمانّ

فإنك ٱلصدر ٱلذي يّلقي عّنده أّرباب ٱلعلم تّوفيقهم وّظفرهمّ

جنابُك رّوضةٱلإقبال تزّري أّطايُها بّروضات ٱلجِّنانِّ).

ظهر فّن ٱلملمّع ٱلفارسي فّي أّواخر ٱلقرنّ ٱلثالث ٱلهجريّ .وّهي فّترة بّدايةّ الشعر ٱلفارسي ٱلدرّيّ .لّكن ٱشتد تّألقه وّلمعانه بّعد ٱلقرنّ ٱلخامس ٱلهجريّ .حينما أّقبل عّليه كّبار شّعراء ٱلفرس مّن أّصحاب ٱللسانين وّهي ظّاهرة تّدلّ على ٱلاندماج فّي ثّقافة وّاحدة .وّلعلّ ٱلدافع ٱلمباشر ٱلذي جّعل ٱلشعراء ٱلفرس يّستقونّ مّن مّنابع ٱللغةّ العربيّة هّو شّغفهم بّها، وّاعتبروا حّبّهم لّها مّن صّميم ٱلدين وّعقيدته .وّفي هّذاّ يقولّ ٱلثعالبي: ".وّالعرب خّير ٱلآمم وّالعربية خّير ٱللغات وّالآلسنة .وّالإقبالّ على تّفهمها مّن ٱلديّانة "

وّفن ٱلملمّعات عّلى نّوعين هّما :.

النّوع ٱلآولّ :وّهو أّن يّجعل ٱلشاعر ٱلبيت ٱلآوّلّ مّن مّنظومته بّاللغة ٱلفارسيّةّ ،يناظره ٱلبيت ٱلثاني بّاللغة ٱلعربيّة وّيستمر عّلى هّذا ٱلقالب الخارجي إلى نهاية المنظومة، النّوع ٱلثاني : وّهو أّن يّجعل ٱلشاعر ٱلشطر ٱلآوّلّ مّن مّنظومته بّالفارسيّةّ والثاني بّاللغة ٱلعربيّة ثّم يّجعل ٱلشطر ٱلثالث بّالعربيّة وّالرابع بّالفارسيّةّ وهكذا. أّو يّجعل صّدورّ ٱلآبيات مّن مّنظومته بّاللغة ٱلفارسيّة وّأعجازهاّ بالعربية .

وجد فنّ الملمّعات صدى عظيما عند الشعراء الفرس في العصر العباسي لانه عمل على كسر الرتابة الجاثمة على هيكل القصيدة العربيّة العباسي ، ، الذي عرف بالتجديد في شتى مناحي الحياة الثقافية والفكرية ، وكان غرض الشاعر من هذا الفنّ بلورة أّفكاره فّي صّورة تّثاقفيّة ، يلتحم فّيه الآنا بالاخر(،سعيا مّنه إّلى تّحقيق مّزاوجة مّوسيقيّة تّطرب لّهاّا. الآذن ٱلفارسيّة، كّما تّطرب لّها ٱلآذن ٱلعربيّة . وإظهار مّدى قّدرتهم ٱلفائقة عّلىّ النّظم وأنه لّيس حّكرا عّلى ٱلعرب ،الذين عّرفوا عّبر ٱلتاريخ أّنّهم أّمة شّاعرة.وكما كان دافع نظمهم لهذا الفنّ)الملمّعات(شغفهم الشديد بلغة القرآن الكريم .فالعربية مّرتبطة بّه وّمحفوظة بّحفظه .وّهو سّبب بّقائها وّانتشارها.و مّن "أّشهر ٱلشعراء ٱلذين بّرعوا فّيه .نّجد سّعد ٱلشيرازيّ وّ سّنائي ٱلغزنويّ وحافظا ّلشيرازيّ من ٱلقصائد ٱلتي كّان لّها صّيت فّي شّعر ٱلملمعات . قّصيدة ٱلشاعر سّنائيّ الغزنويّ)ت ٥٣٥ هـ(،التي يّمدح فّيها مّسعود بّن عّلي بّن إّبراهيم)

" گفتم از عشق تو ناچيز شدم گفت نعم

أنا بحر وسعير أنت ملح وخشب

گفتم آز عشق تو هرگز نرهم گفت كه لا

انت في مائي وناري كتراب وحطب

گفتم آز زلف توكى گيرم در دست بگفت

ادفع الدرهم خذ منه عناقيد رطب

گفتم آن سيم بناگوش توكي بوسم گفت

إن ترد فضتنا هات ذهب هات ذهب

گفتم إين وصل تو بى رنج نمى يابم گف

لن تنالو الطرب الدائم من غير كرب

گفتم إی جان پدر رنج همی بینم گفت

يا أبي جوهر روح نتجت أم تعب

گفتم آو را چو فقیرم چکنم گفت لنا

هبة الشيخ من الفقر غناء وسبب

وترجمتها :ـ

(قلتم ّن عّشقك صّرت لّا شّي،قال:ـ

نّعم أّنا بّحر وّسعير أّنت مّلح وّخشبّ

قلت لّا أّخلص مّن عّشقك أّبدا ،قال:لاّ

أّنت فّي مّائي وّناريّ كّتراب وّحطبّ

قلت مّتى أّخذ ذّؤابتك فّي يّدي، قّال :ـ

آدفع آلدرهم خّذ مّنه عّناقيد رّطبّ

قلت مّتى أّقبل فّضةشّحمة أّذنك،قال:ـ

إّن تّرد فّضتنا هّات ذّهب هّات ذّهبّ

قلت أّلا أّنال وّصلك دّونّ تّعب، قّال:ـ

لّن تّنالوا آلطربآلدائم مّن غّير كّربّ

قّلت يّا رّوح أّبيك أّني أّشقى، قّال :يّا أّبي جّوهر رّوح نّتجت أّم تّعبّ

قلتبّما إّني فّقير مّاذا أّفعل لّك، قّال:ـ

هّبة آلشيخ مّن آلفقر غّناء وّسبب

يلاحظ عّلى آلقصيدة أّنّ آلشاعر نّظمها بّشطر فّار ي يّقابله آّخر عّربي، وّهيّ من آلنّوع آلثاني آلسالف آلذكر مّن آلملمّعات

يقولّ آلشاعر سّعدي آلشيرازيّ)٦٩٤ هـ(فّي إّحدى مّلمعاته)١٩(:ـ

" أّفتابست أّن پّريّ رّخ يّا ملايك يّابشرّ

قّامتست آّن يّاقيامتي ّاألف يّا نيشكرّ
هّدّصّبريّ مّا تّولى رّدعقلي مّا ثّناّ
صّاد قّلبي مّاتمش ى زّاد وّجدي مّاغبرّ
گّلبن آّست آّن يّاتن نّازك نّهادش يّاحري
آّهنست آّن يّادل نّامهر بّانش يّاحجرّ
تهتوّالمطلوبعّندي كّيفحّالي إّن نّأىّ
جّرت وّالمأمولّ نّحويّ مّا آّحتيالي إّن هّجرّ
بّاغ فّردوست گّلبرگش بّخوانم يّابهار
جّان شّيرين آّستخّورشيدشبّگويم يّا قّمرّ
قّل لّمن يّبغي فّرار مّنه هّل لّي سّلوةّ
أّم عّلى آّلتقدير أّني آّبتغي أّين آّلمفر "
وهذه آّلقصيدة مّن آّلنّوع آّلأوّلّ مّن آّللمّّعات حّيث جّعل آّلشاعر آّلبيتّ الأوّلّ بّاللغة آّلفارسيّة وّالثاني بّالعربيّة وّهكذا بّقية أّبياتآّلقصيدة .ّ
يعدّحّافظ آّلشيرازيّ من أّكثر آّلشعراء آّلفرس آّلذين يّتجلى فّي شّعرهمّ الآثر آّلعربي يّصل إّلى حّد ، التمثل ذّلك أنه آّستطاع أّن يّستوعب آّلعروضّ العربي بّبحوره وّأوزانه وّقوافيه كّما سّاعدته مّعرفته بّالقواعد آّلفارسيّةّ المبتدعة وّ مّلكته آّلمتميزة عّلى حّسن تّوزيع آّلكميّة ،فّي آّلمقاطع، فّجاء شّعرّ ملمعاته مّتزنا، مّمزوج آّلصورة آّلشعريّة بّين آّلفارسيّة وّالعربية، لّيشكل لّوحةّ فسيفسائيّة تّعبّر عّن رّوح آّلتثاقف آّلعربيّ آّلفارسي ّ
ومن مّلمعاته فّي آّلغزلّ قّوله)
ّ" ألا أّيّها آّلساقي أّدر كّأسا وّناولهاّ
كّه عّشق أّسان نّمود أّولّ وّلي آّفتاد مّشكلهاّ
حّضوري كّرهمي خّواهي آّزوّ غّايبمّشو حّافظّ
مّتى مّا تّلق مّن تّهوىّ دّع آّلدنيا وّأهملهاّ
وترجمةآّلآشطر آّلفارسيّ:ّ

(ألا أيها الساقي أدر كأسا وناولها

فإن العشق بدأ سهلا في البداية ثم وقعت المشكلات

فإن ترد حضرته يا حافظ فلا تغب عنه

(متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها

وقوله:)

" ميدمدصبح وكله بستسحاب

الصبوح الصبوح يا أصحاب

وترجمة عجز البيت :ـ

ها هو الصباح يتنفس وقد انعقدت خيام السحاب

(الصبوح الصبوح يا أصحاب

وقوله:

" آز خون دل نوشتم نزديك دوست نامة

(إني رأيتدهرا من هجركالقيامة

وترجمة عجز البيت :ـ

سطرت من دم قلبي رسالة لحبيبي

(إني رأيتدهرا من هجرك القيامة

وحتى يتحقق الوزن في الآبيات الشعريّة، وتتناغم فيه التفعيلة في صدر البيت وعجزه أو بيت ببيت، بلغتين مختلفتين، فإن النظام الصوتي في اللغة الفارسية يخضع للنظام الصوتي العربي ويأخذ البيت مسحته العربية كونه يخضع للعروض العربي الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي." نعني بذلك أن الآبيات العربيّة في الملمّعات الناجحة يتحكم بها النطق العربيّ دون تغيير والوزن العربي دون تحوير، أي إذا حذفنا الآبيات الفارسيّة من المنظومة واقتصرنا على قراءة الآبيات العربيّة فلا نجد فرقا بينها وبين القصائد العربيّ إلا في بعض الخصائص الوزنيّة ـ فنجدها كلاما موزونا ينطبق عليه النطق العربي " ساعدت الإيقاعات المشتركة بين النظامين الوزنيين العربي والفارسي في ازدهار فن الملمّعات، والتي تتكون من عدد

ٱلتفعيلات ٱلعروضية وٱبتكارهاٱ تتشكل ٱلآوزان ٱلشعريّة، وٱمن أٱهم أٱوزان ٱلملمعات ٱلمشتركة ٱلتي ٱستخدمهاٱالشعراء،نذكر

- مفاعيلن مّفاعيلن مّفاعيلن مّفاعيلن مّفاعيلن مّفاعيلن مّفاعيلن مّفاعيلنّ مفاعيلن.

- مفاعيلن مّفاعيلن فّعولن مّفاعيلن مّفاعيلن فّعولنّ

- مستفعلن مّستفعلن مّستفعلن مّستفعلن مّستفعلن مّستفعلن مّستفعلنّ مستفعلن مّستفعلنّ

فاعلاتن فّاعلاتن فّاعلن فّاعلاتن فّاعلاتن فّاعلاتن فّاعلاتن فّاعلنّ

- فعولن فّعولن فّعولن فّعولن فّعولن فّعولن فّعولن فّعولنّ

- فعولن فّعولن فّعل فّعولن فّعولن فّعولن فعل

برع ٱلفرس فّي تعلم ٱلآوزان ٱلعربيّة،واخذوا بكل مصطلحات العروض العربي،وعملوا عّلى ٱستحداث أٱوزان تّتناغم وّثقافتهم ٱلمبنية عّلى حّب ٱلموسيقىّ والآنغام .كّالمزدوج وّالمسمّط وّ ٱلدوبيت. وّما تّفضيلهم لّأوزان دّونّ أٱخرىّ مّنّ بحورّ ٱلعروض ٱلعربي، حّتى تّتوافق وّالطبيعة ٱلنفسيّة وّالآسباب ٱللغوية،". فاللغة الفارسية الحديثة ليست معربة ، وتخلو من علامات التأنيث ولا أداة تعريف ، وهي في معظمها أقصر ألفاظا وأقل حركات من اللغة العربية، وقد يجمع في كلماتها ساكنان أو ثلاثة ، ويقوم المد في أوزانها مقام الحركة. وّلهذه الآسباب تكثر الآلفاظ في البيت الشعري الفارس ي وتقل من مثله في الشعر العربي ،وعليه كان أن تختلف الآوزان في اللغتين بعض الاختلاف.

ورغم هّذا كله إّلا أٱنّ فّن ٱلملمعات يّختلف غّن بّقية ٱلفنونّ ٱلشعريّة إّذاّ يتشابه ٱلوافر ٱلذي وّزنه (مفاعلتن مفاعلتن فعول) مع الهزج المسدس المحزوف الذي وزنه مفاعيلن مفاعيلن فعول وهو بحر يكثر استخدامه في ٱلشعر ٱلفارس ي .وّيتناغم أٱكثر مّع ٱلوافر إّذا جّاء مّعصوبا أٱي تّصبحّ تفعيلته: مفاعلتن مفاعلتن فعول :

مّثال ذّلك قّولّ ٱلشاعر:

درونم خون شد از ناديدن دوست الا تعسا لايام الفراق

مفاعيلن مفاعيلن فعولن (فعولان) مفاعيلن مفاعيلن فعولن

مضت فرص الوصال وما شعرنا بكو حافظ غزلهاي عراقي

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

إنّ ٱلمتمعّن فيّ ٱلبيتٱلآوّلّ يّلحظ أّن صّدر ٱلبيت، ٱلذي جّاء بّاللغة ٱلفارسيّة،يتوافق وّعجزه، ٱلذي هّو بّاللغة ٱلعربيّة، مّن حّيث ٱلوزن، مّع مّيزة جّزئيّةّ للوزن ٱلفارس يّ)فعولان(، أّما فّي ٱلبيت ٱلثاني فّإنه يّتشابه صّدر ٱلبيت وّ عّجزه، أي بّين ٱلوزن ٱلفارس يّ وّ ٱلعربيّ، لّدخولّ ٱلعصب عّلى تّفعيلة ٱلبيت، وّقد ٱتبعّ الشاعر ٱلفارس يّ قّواعد وّضوابط ٱلوزن ٱلعربي دّونّ أّن يّخلّ بّقواعد أّوزانّ الشعر ٱلفارسيّ .

مما لا شك فيه أنّ الشعر الفارس يّ بعد الفتوحات الإسلاميّة نظم على أوزان الشعر العربي ." لّذلك كان العروض الفارس يّ في أصوله واصطلاحاته ،ودوائره وبحوره وتفصيلاته هو العروض العربي ،وكان في بعض الآضرب والزحافات والعلل مخالفا له.

نتيجة

نستنتج مّما سّبق أّنّ مّن أّهم مّا لّحق فّن ّالملمّعات مّن تّطوّرّ عّلى ّالمستوىّ الفني هّو تّلاقحه مّع ّالآوزان ّالعروضية ّالعربية. حّيث كّان هّذا ّالتلاقحّ استجابة لّلتطورات ّالجذرية ّالتي حّدثت عّلى ّالآوزان وّالقوافي ّالفارسيّة ؛ المعروفة بّطولّ ّالآوزان وّالجوازات ّالوزنية وّالعلل. وّبذلك أّوجدوا قّاعدةّ مشتركة بّين نّظام ّالآوزان ّالعربيّة وّنظام ّالآوزان ّالفارسيّة. كّما سّاهم ّالخطّ العربي ّالذي أّحدث ثّورة ثّقافية فّي ّالشعراء ّالفرس ،.وّفتح لّهم أّفاق ّالإبداعّ وعلى كّتابة لّغتهم ّالفارسيّة بّه. وّ بّذلك عّمل عّلى تّمتين ّالصلات وّتعزيزها حّتىّ أضحت مّن أّوثق ّالصلات ّالتي عّرفت عّبر ّالتاريخ. وّعليه لّا يّستغرب أّن يّنشأّ فن كّالملمعات بّلغتين مّختلفتين وّبخط وّاحد. فّقد أّحس ّالشعراء ّالفرسّ وللنهوضبّشعرهم أّن يّحدثوا طّفرة جّديدة فّي ّالشعر لّكي يّفصحوا وّيعبروا عّنّ مشاعرهم، وّيبينوا عّن أّشياء كّثيرة فّي عّصرهم، مّسايرين حّركة ّالتطورّ ّالتيّ تعيشها ّالبيئةّالإسلاميّة ّالجديدة تجلت ّالمثاقفة ّالعربيّة ّالفارسيّة فّي فّن ّالملمعات فّي أّجمل صّورها أّخذاّ وعطاءًا، وّ بّذلك عّرف هّذا ّالفن عّند ّالكثير مّن ّالشعراء ّالفرس،" لّاسيماّ الشعراء ّالصوفيين ّالكبار كّالسنائي ّالغزنويّ وّ جّلال ّالدين ّالبلخي ّالروميّ المشهورّ عّند ّالفرسبّالمولويّة وّعبد ّالرحمن ّالجامي ،. كّما ّاهتم بّهذا ّالفن أّغلبّ الشعراء ّالكبار مّثل ّالسعدي ّالشيرازيّ وّحافظّالشيرازيّ "..، رغم أّن فّنّ ّالملمّعات فّن فّارس يّ خّالص، إّلا أنه وُّلّد مّن رّحم ّالثقافةّ العربيّة، بّاتكائه عّلى مّقومات ّالشعر ّالعربيّ مّن لّغة وّأوزان وّ قّوافٍ، وّمتأثراّ بقوالبه ّالشعرية وّمضامينه وّاصطلاحاته وّمواضيعه .،

https://www.youtube.com/watch?v=DAuFLuOs٢kA

https://www.youtube.com/watch?v=IvNqesS٩zlY

رابط فيديو فن الملمع ا ، ب

الفصل الثالث
الادب العربي في ايران

مقدمة :

منذ القرن الثالث الهجري بدأت تنشا دول متقابلة في ايران ، كانت اولاها دولة الطاهريين بخراسان التي انشأها طاهر بن الحسين ، وكانت دولة تابعة للخلافة العبابسية يرسلون لهم الجباية والضرائب ، ثم نشات دولة اخري هي الصفاريين اسسها يعقوب بن الليث الصفار في اقليم بلوخستان شرقي ايران وشملت كرمان جنوب ايران وافغانستان ، وظهرت دولة اسمها العلويين اسسها الحسن بن زيد العلوي ، ثم ظهرت دولة السامانيين ، ولا يكاد القرن الرابع الهجري ينتهي حتي بزغت الدولة الغزنوية ، وبذلك كانت تتقابل في اوائل عصر الدول والامارات دول السامانيين والبويهيين والزياريين والغزنويين .[1]

ثم ظهرت دول اخري متعاقبة هي الدولة السلجوقية ، المغولية ، والتيمورية ، وقد كان المجتمع الايراني في ظل هذه الدول يتكون من ثلاث طبقات : طبقات عليا تتضمن الامراء الجكام والوزراء والقادة الولاة علي البلدان وكبار رجال الدولة والاقطاعيين ، وطبقي وسطي تتضمن موظفي الدواوين واوساط التجار والصناع ورجال الحسبة والقضاء ، وطبقة دنيا تتضمن العامة من اصحاب الحرف ومن الزراع والخدم والرقيق ويدخل اهل الذمة في الطبقتين الاخريين بحسب اعمالهم [2]

والكثير من الاخبار تدل علي الاجتماعية التي سادت البلاد في ظل حكم هؤلاء وهو امر يساعد في الكشف ايضا علي حال الادب والمشتغيلين به ، وكما كان يعيش اهل البلاد بذخا ما كان بالمثل اصحاب وكبار موظفي الدواوين وغيرهم يعيشون حياة باذخة ، وكذلك القضاة يدخلون في هذه الطبقة ، ويمكن القول ان ان كل المتصرفين في اعمال الدولة كانوا يعيشون في بذخ علي حساب الشعب الكادح ، وكان وراء هذه الطبقات اهل الذمة من المجوس والنصاري واليهود ، وكان المجوس في هذا العصر كثيرين في ايران خاصة في قلاعها البعيدة ، ويروي انه وقعت بينهم وبين المسلمين فتنة ، ولم يكن الحكومات تتدخل في شعائرهم ولا في شعائر

[1] ـ شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي ، عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية ــ العراق ـ ايران ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ص ٤٨١

[2] ـ نفس المرجع السابق ص ٤٩٨ .

النصاري وكانو يدفعون نظير ما يتمتعون به من تسامح الجزية وكانت اشبه ما تكون كضريبة للدفاع الوطني .

ومن مظاهر انعكاس هذه البئية المترفة ان كانت الخمر تكثر مع الغناء في سمرهم وحفلاتهم مع الرقص وقد صور الفردوسي الشاعر الايراني هذا حين صور مجلس شراب للملك قورش تكثر فيه الغناء مع الخمر والرقص وطبيعي ان يظل هذا ديدنهم حتي هذا العصر بحيث يشترك في المتاع بهما الامراء من مثل فخر الدولة والوزراء من مثل ابي الفتح بن العميد والقضاه من مثل ابي احمد منصور الهروي . وكانوا ينثرون الورد في قاعات الشراب وكان يحيي بعضهم بعضا بالورود والرياحيين في اثناء الشرب

يقول عبدان الاصفهاني :

سقيت وفي كف الحبيبة وردة واترجة تغري النفوس بصونها

مـــــداما فلما قابلتني بوجهها شـربت فحيتني بلوني ولونها

وبلغ من تفشي الغناء والرقص في فارس ان نجد عضد الدولة يفرض ضريبة علي المغنيات والراقصات ، واكبر الظن ان ايران كان يشيع فيها ذلك بصور مختلفة ، وكانت اكبر فرصة تتاح للناس كي يقصفوا ويمجنوا ما شاء لهم المجون والقصف هي الاحتفالات بالاعياد المسيحية من مثل عيد الميلاد وعيد الزيتونة وعيد الشعانين وفي العيد الاخير يقول احمد بن المؤمل مشيرا الي ما كان فيه من لهو وموسيقي وغناء :

سقيا لدهر اذ مضي نحن في شغل بالعزف والقصف عن شغل السلاطين

اذ يـــومنا يـوم عيد طول مدتنا وليـــلنا كـله ليـــل الشـعانين

وكانو يطلقون العنان لانفسهم العنان في الاعياد المجوسية من مثل عيد السذق وهو عيد لاشعال النيران وكان يقع في شهر يناير من كل عام ، وكان الاهم من هذا العيد هو عيد النيروز في اول الربيع وكان موسما كبيرا للمجون والشراب [1]

ويبدو ان هناك امران مهمان قد حدثا في تاريخ المجتمع الايراني قد انعكسا علي نحو ما يقرر الاستاذ والناقد الكبير في الادب العربي الدكتور شوقي ضيف هما التشيع بمذاهبه وفرقه

[1] نفس المرجع السابق ص ٥٠٦

ودور كل من الشيعة الاثني عشرية والشيعة الاسماعيلية في الحياة السياسية والدينية والاجتماعية ، ثم ياتي الزهد والتصوف ولكل منهما انعكاس علي الادب ايضا وخاصة الادب العربي حيث ظلت تلك النزعة متغللة في نفوس كثيرين من اهل ايران وفقائهم ومحديثهم ، وكانت المساجد مفتوحة للعبادة والنسك والوعظ والارشاد سواء بالخطابة او بالشعر وكل ذلك كان باللسان العربي [1].

واذا انتقلنا الي الحياة الثقافية فإن القرنين الرابع والخامس للهجرة يعدان بايران ازهي قرون هذا العصر من حيث النهضة العلمية وبلوغها الاوج ولعل مرد ذلك الي التنافس الذي نشأ بين اصحاب الامارات فقد مضي كل منهم يسارع في ضم العلماء والحكماء الي بلاطه ، ولعل عضد الدولة خير من يمثل ذلك من بين البويهيين فكان يقدر العلماء والعلم ويجري الرواتب والارزاق علي الفقهاء والادباء والقراء فرغب الناس في العلم وكان نفسه يتشاغل بالعلم ووجد له في تذكرة له ان قال : اذا فرغنا من حل اقليدس كله تصدقت بعشرين الف درهم واذا فرغنا من كتاب ابي علي الارسي تصدقت بخمسين الف درهم [2]

والي جانب ذلك فقد تاسست المدارس وكانت نيسابور اول ذلك اذ تاسست مدرسة ابي حفص الفقيه في منتصف القرن الرابع الهجري وكان يدرس فيها ابن شاهويه وظلت هذه الحركة تزدهر حتي لما اصبحت ايران تابعة للدولة السلجوقية واتخذوا الري حاضرة لهم اعتنوا بالحركة العلمية ولاسيما مجهودات نظام الملك الوزير بدولة السلاجقة الذي اعتني بتاسيس المدارس في كل انحاء ايران وعرفت بالنظامية انذاك ، الي جانب ذلك كله كان الاهتمام بالكتب والمكتبات وخزانة الكتب امر منتشر علي طول فترات حكم كل هؤلاء علي ايران مما ساهم في نهضة علمية وتربوية كبيرة .

---

[1] انظر شوقي ضيف نفس المرجع السابق ص ٥١٤/ ٥٠٧
اخذت موجة التصوف في العصر تزداد حدة وقوة ومن مظاهر ذلك ما يعرف بالربط او الرباط ويعني بها زوايا المتصوفة ، ويشير المقدسي الي كثرة ما كان يعرف لديهم من الخانقاه بايران وما وراء النهر وهي كلمة فارسية مكونة من كلمتين :خان بمعني منزل او محل وكاهه لاحقة تفيد المكان وتعني محل الاقامة والذكر ، وعلي النقيض من ذلك اتهم اهل السنة المتصوفة بالضلال لما لمسوه عندهم من اهمال الفرائض احياناً والقول باشياء واعتقادات تخرجهم من الملة مثل فرقة الكرامية والملاكتية بايران وما وراء النهر الذين عرفت عندهم مثل تلك العادات من التسول وغيرها

[2] ـ نفس المرجع السابق ص ٥٢٢

مما يعني ان هناك نشاطا في الحركة العلمية في ابلاد العربية وفي ايران ابان هذا العصر ، فنجد الناشئة تتعلم الخط والكتابة والقراءة بشكل متواتر والحساب والقران الكريم ، ولا نبالغ ان القرنين الرابع والخامس الهجريين بايران يعدان من ازهي قرون هذا العصر من حيث النهضة العلمية والتي يهمنا منها في هذا المقام التاليف في البلاغة والنحو والنقد وما يمس الادب في شكله العربي والشعراء الايرانيين الذين كتبوا بالعربية شعرا وكان للبعض منهم اساهمهم في نشأة الشعر بالفارسية .

هذا وقد نشط البحث في اللغة اذ اكثر العلماء الايرانيون الذين تصدوا للمباحث اللغوية وكان اكبر ما نهضو به وضع المعاجم ، والمعروف ان ثاني معجما الف في اللغة بعد مهجم العين للخليل ابن احمد الفراهيدي كان معجم ابن دريد المعروف بالجمهرة ، ورتب ايضا الازهري معجمه علي ترتيب معجم العين علي حسب مخارج الحروف ، كذلك وضع اسحاق بن ابراهيم الفارابي معجمه ديوان الادب ووضع الصاحب ابن عباد معجما كبيرا سماه المحيط ، كما وضع ابو الحسين احمد بن فارس القزويني معجمان هما المجمل ومقاييس اللغة ، ولابي نصر اسماعيل حماد الجوهري معجما مشهورا هو تاج اللغة وصحاح العربية ويشتهر باسم الصحاح ووضع محمد ابن ابي بكر عبد القادر الرازي مختار الصحاح ووضع الزمخشري معجم اساس البلاغة ، وبجانب هذه المعاجم وضع الايرانيون معاجما خاصة بالقران الكريم والحديث الشريف منها معجم ابي عبيد الهروي ووضع الزوزني (الحسين ابن احمد) معجما بالفارسية والعربي سماه ترجمان القران ، كما نشط العلماء الايرانيون في ايران في دراسة الامثال وعمل معاجم تتضمن رحها واول ما يعرض لنا هو كتاب حمزة الاصفهاني وهو شعوبي الف كتابا للعضد الدولة البويهي في الموازنة بين العرب والفرس و نفي عنه بروكلمان هذه التهمة وانه انصف العرب عن الفرس ، وله في الامثال معجم بما صيغ منها علي وزن افعل التفضيل مثل قولهم " احلم من الاحنف وسماه الدرة الفاخرة , و الخلاصة في هذا الامر ان الايرانيون حاولوا وضع كتب تجذب القارئ بمنهجها مثل ديوان الادب وفيه ابوبا صرفية ،

كما بذلو جهودا في مجال شروح الشعر ومنها شرح الواحدي لديوان المتنبي وشرح الزوزني وغيرها.[1]

كما نهض اللغويون بمحاولة اخري هي جمع الاشعار والكلم البليغة منها ديوان المعاني لابي هلال العسكري وكتاب نثر الدرر لابي سعيد منصور بن الحسن الابي من ادباء القرن الخامس وكتاب محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني ، ولابي علي الفارسي الذي له كتب سماها المسائل مثل الشيرازية والعسكري ة والحلبية .

وازدهرت مباحث البلاغة وقد الف احمد العسكري كتابا سماه صناعة الشعر وكتاب الصناعتين لابي هلال . والقاضي عبد الجبار قاضي قضاة البويهيين الذي له كتاب سماه :" المغني في ابواب التوحيد والعدل لاعجاز القران وغيرها ولعل الافادة الاكبر في ذلك هي ان الوطواط صاحب كتاب حدائق السحر : قد استفاد من مباحث هؤلاء في تايف كتابه هذا .

وعلي نحو ما نشطت مباحث البلاغة نشطت ايضا مباحث النقد وواول ما نلقاه منها : رسالة الصاحب ابن عباد في الكشف عن مساوئ المتنبي وياتي كتاب الثعالبي " يتيمة الدهر بعده في نحو مائة صفحة يتحدث فيه عن الشعراء الايرانيين باللغة باللغة العربية . هذا بالاضافة الي انشطة اخري في مجال التاليف في علوم التفسير والحديث والفقه والكلام والتاريخ والفلسفة مما يضيق عنه هذا المقام .

[1] شوقي ضيف نفس المرجع السابق ص٥٣٨

الشعر العربي في ايران

اولا م يظهر في القرون الثلاثة الإسلامية الأولى ، أثر شامل حول الأدب والأدباء العرب والناطقين بالعربية، ورغم أن بإمكاننا العثور على معلومات كثيرة حول الأدب والأدباء في الموسوعات الأدبية الكبيرة والتواريخ والآثار الجغرافية في هذا العصر؛ ولكن ظهر في أواخر القرن ٤هـ كتاب قيم بعنوان يتيمة الدهر للثعالبي (ت٤٢٩هـ)، صنف لأول مرة الشعراء الناطقين بالعربية حسب المناطق، وقدم حولهم بعض المعلومات (للاطلاع عليه، ظ: براون، /٤٤٥١-٤٤٩). وقد خصص القسم الثالث من هذا الأثر لشعراء العراق وبلاط الأمراء الديلميين، والقسم الرابع لخراسان وبلاد ماوراء النهر. وقد ألف الثعالبي فيما بعد اليتيمة التيمية إكمالاً لهذا الأثر. وفي القرن ٥هـ كتب الباخرزي (مق ٤٦٧هـ) دمية القصر الذي هو تتمة لأثر الثعالبي وتحدث فيه عن الشعراء والأدباء في شرق إيران وغربها والولايات الوسطى منها. ووصلنا من القرن ٦هـ كتاب خريدة القصر لعماد الدين الكاتب الأصفهاني (ت٥٩٧هـ) الذي يعتبر تكملة لدمية القصر بواسطة واحدة هي (زينة الدهر) . وقد خصصت ٣ مجلدات من هذا الأثر الضخم لمناطق إيران والأدباء والشعراء الناطقين بالعربية فيها، تبدأ حسب الترتيب من أصفهان وخراسان حتى تصل إلى آذربايجان، بعد فارس وخوزستان وكرمان وولاية الجبال، ومنها يمر عبر المنطقة المحاذية لبحر الخزر حتى يصل إلى مناطق من لرستان. وقد تم تخصيص قسم مهم من المجلد الأخير لأشعار أبي بكر الأرّجاني. وتقدم تواريخ المدن والتواريخ العامة معلومات تستحق الاهتمام؛ وعلى سبيل المثال فإن تاريخ نيشابور يبدو ضخماً (١٠ أو ١٢ مجلداً) بحيث يثير دهشة القارئ من كثرة العلماء والأدباء في نيسابور في فترة قصيرة نسبياً. ويمكن تقديم فهرس كبير عن هذا النوع من الآثار. مثل محاسن أصفهان للمافروخي الذي تطرق قبل كل شيء إلى الشعر والأدب، حيث ضاعف ذلك من أهميته من ناحية دراسة التحولات اللغوية والأدبية، فضلاً عن ترجمة الفارسية في القرن ٧هـ. ومن المصادر الأخرى التي

يجب الاستناد إليها لمثل هذه الدراسة بشكل واسع، دواوين الشعراء الإيرانيين، أو الذين كانوا يعيشون في إيران، حيث وصلنا عدد كبير منها.

وفي عصرنا الراهن، لّما يخضع موضوع اللغة والأدب العربي في إيران كما ينبغي، ولكننا نصادف في تضاعيف الآثار التي كتبت حول تواريخ الأدب الفارسي، بعض المعلومات، وخاصة وإن فصل اللغة والثقافة العربية عن الفارسية يكاد يكون مستحيلاً في القرون الإسلامية الأولى، حيث اضطر كتّاب تواريخ الأدب للاستناد إلى مصادر الثقافة العربية في هذا المجال، حيث تمتلئ بالمعلومات عن إيران؛ كما يجب أن نذكر كتاب زبان عربي ميان إيرانيان لقاسم التويسركاني، حيث يعتبر أكثر الآثار شمولية في هذا المجال وجمع بين الذكاء في معالجة الموضوع، والغزارة في المصادر، ولكن هذا الأثر لم يحظ للأسف بالاهتمام والاستناد. ولكن البعض أعد فهرساً عن الشخصيات الإيرانية الكبيرة التي كانت تكتب بالعربية ، بدلاً من دراسة الأدب العربي في إيران، حيث لم يكن لهم هدف، سوى تسليط الأضواء على الإيرانيين ، وقد أثاروا بذلك ردود فعل من قبل الباحثين العرب تدل على أغراضهم الخاصة.

وقد ابتلي الجو الثقافي لإيران بعد الفتح الإسلامي حتى حدود القرن ٣هـ ومابعدها بصمت وركود هائلين. فقد بدا وكأن الثقافة الإيرانية العريقة برمتها كانت تصب كالسيل عن طريق بلاد مابين النهرين فقط في الأنهار المتدفقة التي كانت تجري في اللغة العربية، حتى بدا وكأن بلاد إيران كانت تخلو من بناها الثقافية والتاريخية. على أثر هذا الانتقال، كي تفتح المجال للأدب العربي الديني. وكان العرب الذين كانوا يستوطنون إيران بشكل جماعي، يستخدمون لغتهم وأدبهم ويعلمونه عمّالهم ومواليهم؛ كما اعتبر الإصطخري اللغة العربية في القرن ٤هـ لغة الحكم في إيران، وذكر تواجد الأسر العربية في إيران (ص١٢٠، ١٢٢ ومابعدها) وعلى هذا يجب القول إن ممالاشك فيه أن اللغة العربية كانت لغة الأدب أيضاً بين العرب والكثير من الإيرانيين الذين كانوا يتلمسون الطرق للوصول إلى مراكز السلطة؛ وعلى سبيل المثال فإن أميراً مثل يعقوب ليث مدحه الشعراء بالعربية و«لم تكن في ذلك العصر رسائل بالفارسية» (تاريخ... ، ٢٠٩) ولاشك في أن دواوينه الحكومية كانت بالعربية أيضاً. وكانت اللغة العربية

شائعة في بلاط الأمراء الذين كانوا يحكمون في إيران وكانوا عرباً في الغالب في القرنين الإسلاميين الأولين، ولم يكن أي بلاط، بل وحتى قصور الأمراء والوزراء من الدرجة الثانية والثالثة، يكاد يخلو من الشعر والأدب ولم تكن هناك حدود بينهم وبين المراكز العربية الكبرى، أو جهاز الخلافة وكان التردد بينها أمراً طبيعياً، فليس من المستغرب أبداً أن ينهض شاعر، أو أديب كبير من خراسان – التي اصبحت هي أيضاً من المراكز المهمة للأدب العربي – ليلمع نجمه في العراق . فقد روي أن الخليل بن أحمد ألف كتاب العين هناك (فراي، ١٨٧)، ومن الجانب الآخر ومع الأخذ بعين الاعتبار أن عرب إيران كانوا في البدء يتحدثون بلهجات مختلفة، ثم كانوا يتعلمون العربية الفصحى، بشكل طبيعي وبالممارسة أولاً، ثم في الكتّاب والمدارس، فإن ذلك كان يجعل وضعهم شبيهاً إلى حدما بوضع الناطقين بالفارسية المتعلمين للعربية، فكانت كلا الطائفتين مضطرتين إلى أن تتحملا عناء الدراسة.

وكان لاستقلال دول إيران الداخلية منذ أواخر القرن ٢هـ كل التأثير في انتشار الأدب العربي، ثم ظهور الأدب الفارسي. وكان الطاهريون يميلون بشكل كامل إلى العربية (دولتشاه، ٣٠؛ نفيسي، ١٨؛ زرين كوب، ٥١٣).

وعلى الرغم من أن يعقوب كان في عهد الصفاريين يطلب الشعر الفارسي من الشعراء، ولكن شؤونه الديوانية ورسائلة كانت دون شك بالعربية، حتى أن شاعر بلاطه إبراهيم بن ممشاد المتوكلي (الذي كان نديم المتوكل العباسي لفترة) كان ينظم بالعربية حتى عندما كان يريد إنشاد الشعر الشعوبي المعادي للعرب (ياقوت، ١٦/٢-١٨؛ قا: ضيف، العصر العباسي...، ٩٩/٢). كانت اللغة العربية لغة الأدب والسياسة في بلاط الصفاريين المتأخرين والسامانيين أيضاً في خراسان وكانت المراسلات تتم كلها بالعربية، حتى مع أمراء خراسان وقادتها العسكريين (قا: التويسركاني، ٣٩ ومابعدها). وكانت الشخصيات الأدبية اللامعة والأساتذة الذين يكتبون بالعربية يملؤون بلاط آل سامان وكان الأمراء والوزراء ورؤساء الداوين يكتبون بالعربية ويتحدثون بها (الثعالبي، يتيمة...،٦٢/٤-٦٣، ٩٠-٩٤)، فكان عالم مثل أبي إسحاق الفارسي

أستاذ النحو واللغة العربية، يعلم الأدب أبناء الوجهاء وينقح ديوان الرسائل (ن.م،١٧١/٤). وكان الجو الشعري في بخارى ومدن خراسان الأخرى مفعماً بالتحرك والنشاط. وكان اللّحام الذي كان من أكثر الشعراء حيوية ونشاطاً، يهجو وجهاء خراسان بالعربية (ن.م،١١٦/٤-١٣١). ونظم منافسه المطراني قصيدته «النوروزية» بالعربية وكذلك وصف جفاف بخارى ومناخها (ن.م، ١٣٤/٤-١٣٦). أيضاً عن الأدباء الآخرين المشهورين في هذا العصر، ظ:٧١/٤ ومابعدها).

وفي نيسابور أيضاً، كان وجهاء المدينة يميلون بشدة إلى العربية، كما كان الأمراء الميكاليون في الأغلب عارفين بالعربية وقد مدحهم شعراء كبار مثل المتنبي وابن دريد، أو قدمو آثارهم إليهم. وقد روي أن الميكاليين عينوا ابن دريد رئيساً لديوان الرسائل في فارس مكافأة له على كتاب الجمهرة الذي ألفه لهم (ظ:ن.د، ابن دريد). وكان أبو محمد الميكالي نفسه قد أعد موسوعة من أشعار الشعراء الكبار وقد استند إليها الثعالبي (ن.م،١٤٥/٤، ٣٨٣ ، ٤٨١-٤٨٢). وكان لأبي الفضل الميكالي كتاب وديوان شعر عربي (الباخرزي، ٧١٥/٢).

ولم تكن القصائد والمقطوعات الأدبية الفاخرة التي كانت تنظم في هذا الجانب، بأقل قيمة من شعر العراق والشام. ولكن شعراء من مثل أبي سعيد الرستمي وأبي بكر الخوارزمي كانوا يجولون في أجواء تجاوزت المجتمع والناس، وكانت القصائد العربية الكبيرة والغراء مثلهم الأعلى، وكانت ألفاظهم ولهجة حديثهم وكذلك صورهم الشعرية، تعتبر دائماً تقليداً للشعر العربي التقليدي. وفي مثل هذا الجو لم يكن القارئ العربي يشعر بالغربة مطلقاً، لأن التقاليد العربية الأصلية، أو أساليب المحدثين في العراق انعكست في جميع أرجاء إيران. ونحن نرى أن هذه الحالة اللغوية الاجتماعية التي تلاحظ في دواوين شعراء القرنين ٥و٦هـ، تظهر أكثر شمولية في المصدرين الأكثر تأخراً وهما دمية القصر وخريدة القصر، ذلك لأن الإشارات التي تتمضن ثقل البيئة الثقافية لإيران أكثر في اليتيمة بمرات مما يمكن العثور عليه في ذينك الكتابين. ولكن كيف يجب تبرير هذه الظاهرة؟ أوَلم تكن اللغة الفارسية وآدابها قد انتشرا في

عصر كتابة الدمية وخاصة الخريدة؟ فما الذي أدى إلى أن يُظهر الكاتبون بالعربية أنفسهم غرباء عن الفارسية إلى هذه الدرجة ويعلنوا بصراحة أن لا علاقة لهم بالفارسية؟ ربما يمكننا القول بشأن عصر اليتيمة إن الكتّاب لّما يكونوا يؤمنون بعد بحضور اللغة الفارسية وقوتها ولم يكونوا يتوقعون أبداً أن تتحول تلك اللغة بتلك السرعة المدهشة إلى لغة حيوية وخلاقة وذلك، فقد قصروا اهتمامهم على اللغة العربية التي كانت لغة العلم والأدب لمدة ٣ قرون. ولكن هذا القصور، لم يعد يصدق على صاحب الخريدة الذي كان مطلعاً على روائع الأدب الفارسي وأما اجتناب عماد الدين الكاتب الأصفهاني عن الفارسية، فقد كانت تقف وراءه دوافع نفسية واجتماعية، لا لغوية (لم ترد الإشارة في هذا الكتاب ولو لمرة واحدة إلى الفردوسي والشاهنامه). ولكن على الرغم من كل هذا الإصرار، إلا أن التيار المتدفق للثقافة واللغة المحلية، نفذ في الآثار العربية صراحة حيناً، وخفيةً حيناً، بل وحتى بخبث، ودراسة هذا النفوذ ومظاهره ودوافعه هي لاشك أفضل توثيق للبحوث الأدبية واللغوية والاجتماعية.

وفي القرن ٤ وبداية القرن ٥هـ الذي يعتبر عصر اليتيمة، كان بعض الشعراء يتأملون البيئة من حولهم، فكانوا يجدون في كل شيء ملاحظة، أو تشبيهاً محبباً إلى النفوس على أسلوب شعراء العراق المحدثين، ويعمدون إلى تصويره؛ ولذلك، فقد تأثر الناطقون بالعربية في إيران، باللغة والكلمات المحلية، حتى أن المأمون (ت٣٨٣هـ) استخدم الكثير من المفردات الفارسية في أشعار٥، رغم أنه كان عربياً (الثعالبي ، ن.م، ٤/١٨٣-٢٢٠). كما كان شعراء مثل أبي الفضل المروزي وأبي عبد الله الضرير ينظمون الأمثال الفارسية بالعربية (ن.م،٤/١٠٠-١٠٣) بل إن شخصاً مثل أبي الحسن ابن المؤمل ترجم إلى العربية أبياتاً للرودكي (ن.م، ٤/١٦٩؛ أيضاً ظ: م.ن، تتمة...، ٢/٢٥ ٥١،١١٤؛ الراوندي، ٨(١) ٥٩-٦٠، ١٥٩ ومابعدها).

كما نجد بغزارة المقطوعات والقصائد التي نظمت بالعربية بمناسبة الاحتفالات القومية الإيرانية، في جميع أرجاء الأدب العربي منذ حوالي سنة ٢٠٠هـ ومابعدها، وخاصة في الشعر العربي الإيراني (الثعالبي ، يتيمة، ٤/١٥٨).

ويجب اعتبار النصف الثاني من القرن ٤هـ عصر الصاحب بن عباد (د٣٨٥هـ). الشخصية التي ألقت بظلها لسنوات طويلة على الأدب العربي في إيران برمته. وقد خصص القسم الأكبر من الروايات الشرقية في يتيمة الدهر لعلاقة الشعراء الكبار به وكذلك لأقواله وأشعاره هو نفسه، وذكر الثعالبي فهرساً بالشعراء الكبار المرتبطين ببلاطه ومادحيه (ن.م،٣/٢٢٦). وكتب الصاحب نفسه عدداً من الآثار القيمة، مثل الكشف عن مساوئ المتنبي الذي يدل على تمكنه القليل النظير على الأدب العربي. ويعد أبو الفتح البستي (ت٤٠٠هـ) من الأدباء الذين كانت تربطهم علاقة صداقة مع الصاحب، حيث تسلط ترجمته وآثاره الضوء على الوجه الحقيقي للأدب العربي في إيران، وقد كان نطاق نشاطه خارج النطاق الأدبي للصاحب، أي في شرق إيران. ويصنف نثر البستي وشعره في عداد أشهر النتاجات الأدبية العربية، حيث لا تقل عن آثار الصاحب في الميل إلى الصنعة والمحسّنات (ظ:ن.د، أبو الفتح البستي). وأما الأديب الآخر الذي أصبح صاحب مذهب جديد في الأدب العربي في إيران، فهو بديع الزمان الهمذاني. ويعد أسلوب المقامة التي أسسها، مذهباً بديعاً ولا يستبعد أن يكون قد استلهم من الموروثات الأدبية المحلية أيضاً. كما إن «فنه المسرحي» يعد أكثر المذاهب أصالة، رغم التسجيع والتقنية اللذين كانا قد تحولا إلى بلاء شامل، حيث تجاوز الشعر والنثر الأدبيين، وامتزج مع روح عامة الناس وأخلاقهم. وهذا الأسلوب يتجسد بشكل رائع في مقامة «أبو القاسم البغدادي» (ظ: آورنوس، «نمايشنامه...»، ٢٢-٣٠؛ أيضاً: ظ:ن. د، أبو مطهر الأزدي). ولكن مقامات بديع الزمان التي تعتبر أكبر أثر من نوعه، كانت دوماً موضع تقليد (ذكاوتي، ٥٣-٥٤) ولاشك في أن مقامات الحريري أفضل تقليد لها.

ومما يستحق الاهتمام حقاً الوضع النفسي لبديع الزمان الذي يبدو أنه لم يخرج من إيران. فقد كان كممدوحه الصاحب، يحمل روحاً عدائية ضد الفارسية والثقافة الإيرانية (الآلوسي، ١/١٦٠-١٦١؛ قا: ذكاوتي، ٢٥)، ومع كل ذلك، فإنه لم يكن يستطيع دوماً الهروب من الثقافة المحلية، لأنه كان يجيد الفارسية، بل إنه كان أحياناً يترجم الأشعار من هذه اللغة إلى العربية

(ظ: الثعالبي، ن.م، ٢٨٠/٤، تتمة، ١٠٠/١). ويمكننا التعريف بالكثير من هذه الشخصيات – على درجات أدنى طبعاً – والتساؤل بدهشة كيف كانت إيران قد تحولت إلى بيئة مناسبة لتنامي اللغة والثقافة العربية؟ يشير المقدسي (ص٣٢) إلى أن خراسان كانت مهد أكثر اللهجات العربية خلوصاً، في حين أن العربية العامية هي التي كانت شائعة في المناطق الأخرى، وكانت اللغة العربية الفصيحة مقتصرة على أهل الفضل. ومن الواضح أن لغة الخراسانيين الخالصة لم تكن ، سوى لهجة غير فصيحة، ولكن في أي وسط كانت هذه اللغة واللهجات الأخرى شائعة؟

ظهرت الصناعة والمحسنات اللفظية في إيران أولاً ثم ألقت بظلها على جميع الأدب العربي متجاوزة الأندلس (البستاني، مادة أبو الفتح البستي ، ضيف، عصر الدول...، ٦٣٣). ولعل السبب في ذلك كون اللغة الفارسية لغة معظم هؤلاء الأدباء، لأن التمكن من الدقائق العاطفية والخفية للغة الأجنبية أصعب دوماً من الإحاطة بصنائعها التي تتوفر من خلال دراستها. ولقد أدرك أهل العراق هذه الملاحظة ولذلك كانوا يمتنعون عن قبول أشعار الشرقيين مدفوعين بالغرور، كما أبدوا الرأي نفسه بشأن شعر أبي الفتح البستي وآثار الباخرزي (ياقوت، ٣٨/١٣-٣٩؛ الباخرزي، ٣٢٤/١).

ولاشك في أن الأدب العربي كان له تيار مستمر في الأدب الفارسي، وأن الأدب العربي أفاد بدوره من الثقافة الإيرانية. ومع كل ذلك، يبدو أن حائلاً ضخماً قام بين العالمين العربي والفارسي. ويعتبر عبد الواسع الجبلي مثالاً جيداً لتأييد هذا المعنى. ولم يشر عماد الدين الكاتب الأصفهاني الذي كتب ترجمته (ظ:٢٧/٢-٣١). أية إشارة إلى المعرفة بالفارسية، أو أشعاره الفارسية، ولكن هذا الشاعر نفسه لايبدو لنا في تواريخ الأدب الفارسي، سوى شاعر فارسي ماهر كان بالطبع ينظم بالعربية أيضاً (مثلاً ظ: صفا، ٦٥١/٢). ومن الجانب الآخر، يجب التذكير بأنه على الرغم من أن موضوع هذه المقالة ليس البحث حول ظهور لغة الكتابة

الفارسية، إلا أن فهم مكانة اللغة العربية في إيران، في الكثير من وجوهها، لايمكن دون التطرق إلى ظهور الأدب الفارسي وانتشاره.

ومن خلال دراسة آثار مترجمة مثل كتاب ترجمة تفسير الطبري المعروف الذي ألف للأمير منصور الساماني (ظ: ٥/١)، وحتى الترجمات والتأليفات الأخرى التي ظهرت في الطب والصيدلة والجغرافيا والتاريخ والفقه ، يمكن الاستنتاج أن الفارسية الدرية كانت في حالة تكوين ولكن بخطوات متزلزلة وبدعم من العربية في الغالب، فها هي ذي تدخل المجالات الأدبية والعلمية المختلفة. ورغم أن الكلمات العربية قليلة في هذه الآثار، إلا أن التركيبة النحوية عربية في الغالب، وكلما تقدمنا إلى الأمام تنعكس هذه الحالة، ثم تتصاعد: فمنذ القرن ٥هـ ومابعده، كانت الصياغات النحوية تقترب من الفارسية أكثر، ولكن الكلمات العربية كانت تلقي بظلها الثقيل والمزاحم أحياناً على اللغة الفارسية. وفي نهاية القرن ٤ وبداية القرن ٥هـ، بدأ صراع صعب وخفي في نفس الوقت بين اللغتين العربية والفارسية. فمن جهة ازداد انتشار الشعر والأدب العربي، وتم تأليف الكتب العلمية الكبرى بهذه اللغة، وكتبت الشخصيات الإيرانية اللامعة والخالدة آثارها الكبرى بالعربية مثل الرازي، الفارابي، ابن سينا، البيروني والخوارزمي، ومن جهة أخرى اضطر البعض مثل ابن سينا إلى أن يكتبوا اثارا بالفارسية استجابة إلى مطالب الناس، أو الحكام الإيرانيين، أو ترجمة لنفس السبب بعض من الآثار العربية (ابن سينا) دانشنامه...، ١-٢، حيى بن يقظان، ٢؛ قا: التويسركاني، ٢١٠).

ومما يلفت النظر موقف أبي الريحان في الصراع بين اللغتين. فعلى الرغم من أنه يفضل أن يهجى بالعربية على أن يمدح بالفارسية، ويعتبر الفارسية من شأن اساطير الملوك، ويهاجم الجيل والديلم الذين كانوا يطالبون بأن يتخذ الدين والحكم الصبغة الفارسية (ص ١٤-١٥)، ولكنه اضطر إلى أن يكتب التفهيم بالفارسية. وفي ظل هذه الظروف كانت الدواوين الحكومية ، وخاصة ديوان الرسالة، تميل إلى الفارسية كما بدّل أبو الفضل الإسفراييني الدواوين إلى الفارسية (محمدي، ٣١/١-١٣٣). وبالطبع فقد ذكر العتبي أنه ضعيف في العربية ولذلك

جعل الفارسية لغة الدواوين (ص٣٤٥)، ولكن أشخاصاً مثل أبي نصر مشكان وحسنك الوزير اللذين كانا أستاذين في العربية والفارسية، كانوا يفضلون أن يكتبوا الكتب الرسمية بالفارسية، أو يترجموها إلى الفارسية (البيهقي، ٢٨٩، ٣٠٤ – ٣١٦).

وفي هذه الفترة نفسها، قدم في المصادر العربية، عالم عربي برمته في إيران حتى يبدو أن لا أثر للفارسية فيه. وقد كان ابن بابك الناظم بالعربية ومادح آل بويه، آل زيار، محمود الغزنوي ووزراء هذه الدول وأمرائها، يتنقل في كل مكان وينشد الأشعار العربية وينظم القصائد في وصف الاحتفالات القومية في إيران وكان يحظى بحسن القبول في كل مكان (ظ:ن.د، ابن بابك). وحتى مهيار الزرادشتي (ت٤٢٨هـ) برز في الشعر والأدب العربي وأصبح في عداد أكبر الشعراء الناظمين بالعربية (فروخ، ٩٨/٣).

وقد ذكر الباخرزي عدداً آخر من الشعراء الناظمين بالعربية والذين يحملون أسماء إيرانية خالصة ويمكن أن يكون البعض منهم من الزرادشتيين (١٢٠/١، ٢٨٣، ٤١٥،٤٤١،٤٤٤) ويعتبر كتاب الباخرزي نفسه دمية القصر – أفضل مصادر الإطلاع على الأدب العربي في إيران في القسم الأكبر من القرن ٥هـ . وأجواء الكتاب هي نفسها التي تسود كتاب اليتيمة للثعالبي. ونرى الكاتب يتهرب من الفارسية بإصرار كبير، رغم أنه كان ينظم الشعر بالفارسية، ويبدو أنه ترك ديواناً (ظ: ن.د، الباخرزي). ولكنه لم يذكر في دمية القصر بيتاً فارسياً واحداً، كما إن كلمات الكتاب الفارسية ليست كثيرة خلافاً لرأي التوبخي (١٦٢٥/٣- ١٦٢٧)، في حين أن جميع الشعراء في هذا الكتاب تقريباً هم إيرانيو الأصل ومن ذوي اللسانين في الغالب.

ومن أجل ملء الفجوة بين السنوات المائة بين الدمية والخريدة، يمكن الرجوع إلى دواوين شعراء هذا العصر، حيث يقدمون لنا صورة عربية برمتها مثل المصادر العربية المذكورة؛ وعلى سبيل المثال فإن الطغرائي الإيراني (ت٥١٤هـ) لم ينطق أبداً بالفارسية، كما إن ابن الهبارية العربي (ت٥٠٩هـ) الذي جاء من بغداد ومدح الأمراء في الكثير من المدن، لم يشعر أبداً على

مايبدو أنه دخل بيئة غير عربية، على أن الآخرين الذين حققوا حوله، لم يعيروا اهتماماً للجو الثقافي الذي كان يعيش فيه، ولم يتتبعوا منه، سوى الأدب العربي، رغم أن مصادر بعض آثار ابن الهبارية إيرانية (ظ:ن.د، ابن الهبارية). وفي هذا القرن نفسه كانت اللغة الفارسية تتجه نحو القوة وظهرت آثار في الأدب مثل حدائق السحر بقلم رشيد الوطواط وترجمان البلاغة في علم البديع للرادوياني – الذي كان يريد أن «ينقل أجناس البلاغة من العربية إلى الفارسية» كي تعم فائدتها – وجعل عبد الملك الكندري الذي كان هو نفسه من شعراء خريدة القصر، دواوين السلاجقة فارسية (دولتشاه ،٣٥؛ محمدي، ١٣٣/١؛ التويسركاني، ٢٨٦؛ صفا، ١٧٤/١)، ولم يدرج منتجب الدين الجويني في عتبة الكتبة الذي يمثل مجموعة منشآته، أي رسالة بالعربية؛ وأخيراً اشتدت حاجة أوساط الكتّاب إلى درجة بحيث أن محمد المهيني رأى في حدد سنة ٥٠٠هـ أن من الواجب أن يؤلف كتاباً بالفارسية يحمل عنوان دستور دبيري .

يمكن تسمية الأدب العربي في إيران في القرن ٦هـ ، عصر خريدة القصر. ويتسع كثيراً النطاق الجغرافي وعدد الشعراء في هذا الكتاب، ولكن عماد الدين الكاتب يصرح بأنه سوف لا يذكر شيئاً بالفارسية (١١١/٢)، ومع كل ذلك، يظهر لنا في بعض المواضع من كتابه، الجو الإيراني بكل قوة. فهو يشير مراراً إلى الأشعار والأمثال الفارسية التي ترجمت إلى العربية مثل الروضة الزاهرة لأبي بكر الاصفهاني (١٦١/١، ١٦٤-١٦٦) وترجمات نظام البلخي والراوندي وابنه الذين ترجموا أمثالاً وأشعاراً إلى العربية (ظ: ٦١/٢، ١١٠، ١٣٢، ١٤٨، ١٥١). وتعد مجموعة لا حصر لها من شخصيات للخريدة، من الشعراء الفرس الكبار، أو المحبين للفارسية (ظ: ٦١/٢، ٦٢، ١١٠، ١٣٢، ١٤٨، ١٥١). والملاحظة الطريفة أن عماد الدين ذكر بعض الأشعار العربية «بالوزن الأعجمي»، واعتبر ذلك مغايراً لأسلوب العرب (٢٤٦/١). والأوزان التي اعتبرها أعجمية هي اثنان من بحر الهزج، وزناً من بحر المضارع، والوزن الآخر قطعة لا تستقيم مع أي بحر ومن الممكن أن تكون من الأوزان الإيرانية العامية (٢٤٦/١، ١١٢/٢، ١١٩/٣).

وأما الموضوع الآخر الذي ظهر في الشعر العربي الإيراني، فهو موضوع «الرديف» الذي لم يكن متداولاً أبداً في العربية، واعتبره الباخرزي غريباً ومخالفاً للقاعدة في العربية (٢٤٦/١-٢٤٩،

٢٦٢-٢٦٣)، رغم أنه هو نفسه نظم قطعتين بنفس الأسلوب (٢٦٣/٣). وقد كرر الشعراء في القصائد والقطع المدرجة في الخريدة، من باب التقليد نفس المعاني والصور القديمة مع قليل من التصرف. خشية أن يُبْتلوا كنظام البلخي، بل وحتى الباخرزي نفسه بـ«العجمة». فوقعوا في فخ التكلف والتقليد. ومن النادر أن نرى شاعراً اهتم بالمجتمع وحياة الناس كما فعل أبو بكر الثقفي الأصفهاني (عماد الدين، ١٦٤/١).

ومنذ القرن ٧هـ ومابعده، وخاصة بعد هجوم المغول، لم يستطع الأدب العربي استعادة مكانته السابقة في إيران، رغم أنه بقي دوماً أداة لايمكن للكتاب والشعراء أن يستغنوا عنها وكذلك اللغة الأولى للحوزات العلمية الدينية. ومايزال هناك مجال لدراسة واسعة في الأساليب التعليمية للغة العربية في المدارس والمساجد والكُتّاب خلال القرون السبعة الأخيرة . والملاحظة المهمة الأخرى التي تحتاج إلى اهتمام ودراسة، الدافع الذي دفع الأدباء والعلماء الإيرانيين إلى كتابة آثار بالفارسية، أو ترجمتها إلى العربية. فعندما كان هؤلاء الكتاب والعلماء يرون أنفسهم مضطرين إلى أن ينتقلوا من اللغة العربية الفاخرة التي كانت مدعاة إلى المباهاة والافتخار، إلى الفارسية، يبدو أن القلق كان ينتابهم مبينين أسباب ذلك. وفيما يلي نذكر أهم دوافعهم وأكثرها عمومية: انتشار اللغة الفارسية في منطقة ما؛ إرادة أمير من الأمراء؛ عدم إطلاع عموم الناس، أو وجهاء البلاد على دقائق اللغة العربية (ترجمه تفسير، ٥/١-٦؛ آذرنوش، تاريخ...، ٢٦؛ نصير الدين، ٣٦)؛ الاهتمام بالفائدة العامة لأثرما (قراضة...؛ داستان...، ٣٨؛ الكاساني، ١٧-١٨؛ «گشايش نامه»، ٢١٣)؛ تعليم اللغة العربية (الزمخشري، ٢)؛ عدم إقبال الناس على اللغة العربية (النرشخي، ٢؛ نصر الله المنشي، ٢٥).

دائرة الأدب العربي ." مد خل إيران". الموسوعه الاسلاميه الكبري. المشرف العام: السيدكاظم الموسوي البجنوردي. طهران: مركز الموسوعه الاسلاميه الكبري. ١٩٨٩- ، الجزء ١٠ ، ص ٥٨٠

ثانيا موضوعات الشعر العربي وشعراءه في ايران

لم يكن يقاس نشاط الشعر الفارسي واصحابه في شئ الي نشاط الشعر العربي في اسران في القرون الرابع والخامس الهجريين واكبر دليل علي ذلك بينما الفت المجلدات الضخام عن الشعر العربي في تلك القرون مثل مجلدات اليتيمة ودمية القصر لم يؤلف عن الشعر الفارسي كتاب يضم بين دفتيه شعراؤه . واول كتاب عني بهم هو كتاب لباب الالباب لعوفي .

ولابد ان نعرف ان لغة العلم في ايران ظلت حتي القرن العاشر هي اللغة العربية فبها كان يكتب علماؤهم وفلاسفتهم مثل ابن سينا والبيروني والفخر الرازي والطوسي وسعد التفتازاني وعضد الدين الايجي في القرن الثامن والسيد الشريف الجرجاني ، فكان الايرانيون يشبون في مهاد العربية وينهلون من منابعها الادبية .

واشتهرت عندهم طائفة من ضروب النظم العربي وانماطه اولها المثنوي او المزدوج وعرفت لديهم القصيدة والغزل والرباعيات والمسمط وغيره ..... وظل الشعر العربي يغذي الشعر الفارسي في نشأته وذلك يظهر في تاثر الكثير من شعراءهم مثل المنوجهري والعسجدي وفي التصوف وقد شاع ان يقتبسوا في شعرهم الفارسية اشعار من العربية ، ولعل ما يوضح كيف ان الشعر الفارسي كان يتبع خطوات الشعر العربي الماضي والمعاصر له خطوة خطوة يتبعه في الصياغة والسمات ويحاكيه محاكاة دقيقة وكان الشعر العربي هو الاكثر شيوعا وهو الذي يدور علي كل لسان اما في القرون الرابع والخامس والسادس فليس في ذلك شئ حتي لنلري كثيرين ممن كانوا ينظمون بالعربية والفارسية من الشعراء انما يشتهرون بشعرهم العربي مثل بديع الزمان الهمداني وابو الفتح البستي والباخزري ضاع شعره الفارسي الا ما احتفظ به محمد عوفي في كتابه اللباب وظل ديوانه العربي تتناقله الاجيال . بالاضافة الي شعراء فرس كان لهم نماذج من الشعر العربي الي جانب شعرهم بالفارسية مثل سعدي الشيرازي وحافظ وعبد الرحمن جامي .

هذا وقد راجت سوق الشعر العربي بايران في القرن الرابع الهجري رواجا عظيما وذلك بسبب اهتمام ملوك البويهيين ووزرائهم بالشعر واصحابه وفي نقدمتهم عضد الدولة وكان ينظم شعرا حسنا وله :

ليس شرب الكأس الا في المطر وغناء من جوار في السحر

وكان الشعراء يفدون عليه ويجزي لهم العطاء وكان الشعراء يتنافسون امام الحكام ومثال ذلك ان صاحب اصبهان بني قصرا فتباري الشعراء في وصفه ومنهم ابو سعيد الرستمي :

وسامية الاعلام تلحـــظ دونها سنا النجم في افاقها متضائلا

نسخت بها ايوان كسري بن هرمز فاصبح في ارض المدائن عاطلا

متي تر ها خلت السماء سرادقا عـــليها واعلام النجوم مواثلا

ولما حصل الصاحب بجرجان علي فيل ضخم كان في عسكر السامانيين امر بحضرته من الشعراء ان يصفوه في تشبيب قصيدة علي وزن قافية قول عمرو ابن معد يكرب

اعددت للحدثان سا بغة وعداء علندي

وانشد ابو الحسن الجوهري في هذه المباراة قصيدة استلها بمديح الصاحب ثم اخذ في وصف الفيل :

يــزهي بخرطوم كمثل الصـــــولجان يرد ردا

او كم راقصة تش ير به الي الندمان وجدا

وكـــــأنه بوق تح ركـــه لتنفخ فيه جدا

وهذا مما يصور من بعض الوجوه حياة الشعر العربي في اصبهان والري لعهد بويه وبالمثل كان الزياريون وفي مقدمتهم قابوس بن وشمكير يشجعون الشعراء ويجزلون لهم العطاء ويذكر الباخرزي في دميته ابا بكر الخسروي الذي كان ينظم باللسانين العربي والفارسي ، ومن يرجع الي هذه الكتب التي الفت انذاك يخيل اليه ان الشعر في ايران الي ما وراء النهر كان علي كل لسان وكان الامراء ورعاته في كل بلدة يقيمون له المواسم كالاعياد وكان الشعراء يهبون العطايا للشعراء . وكذلك كان الشعر لدي الفلاسفة و العلماء كابن سينا والبيروني ,لاسيما قصيدة ابن سينا عن النفس التي مطلها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

شعراء المديح

ـ يكثر شعر المديح في هذا العصر كثرة مفرطة اذ كان يطلبه الملوك والامراء والوزراء والولاة والقضاة ومن يقرأ اليتيمة وتتمتها والخريدة يري الشعراء جميعا يمدحون معاصريهم وكأن عمل الشاعر السياسي ان ينظم في المديح ولنقف عند ال بويه فان ما نظم في عضد الدولة يكاد يكون ديوانا مستقلا اذ لم يكد ينبغ شاعر في ايران الا قصده وقدم له مدائحه وقصده المتنبي بشيراز في سنة ٣٥٤ ومدحه بعدة قصائد بديعة كما قصده شعراء العراق وفي مقدمتهم السلامي الشاعر وفيه يوقول مواطنه ابو بكر الخوارزمي :

غريب علي الايام وجدان مثله واغرب منه بعد رؤيته الفقر

عجبت له لم يلبس الكبر حلة وفينا لان جزنا علي بابه كبر

وكانو يشيرون الي النوال في مداحهم علي نحو ما صنع الخوارزمي في البيت الاول ونظمت في مؤيد الدولة وفخر الدولة مدائح كثيرة ولابي سعيد الرستمي مدائح بديعة في اولها:

بقيت مدي الدنيا وملكك راسخ وظلـــــك ممدود وبابك عامر

يرد سناك البـــــدر والبدر زاهر ويقفو نداك البحر والبحر زاخر ولعل وزيرًا بويهيًا لم ينل من المدائح ما ناله الصاحب بن عباد، وكان من مادحيه أبو سعيد الرسمي، وله فيه مدائح كثيرة من مثل قوله:

ورث الوزارة كابرًا عن كابر موصلة الإسناد بالإسناد

يروى عن العباس عباد وزا رته وإسماعيل عن عباد

والمدائح لم تكن ثناءًا فحسب، بل كانت أيضًا تسجيلًا لأعمال الأمراء والوزراء، وهي لذلك ذات قيمتة تاريخية مهمة ، وهي قيمة تغيب عن أذهان كثيرين فيظنون أن المديح كان في العصور السابقة ملقًا ونفاقًا متناسين أنه كان أيضً تسجيلًا لأعمال الدولة، يقول أبو محمد المطراني الشاشي:

بلوناك حين يرجي الول ى عرفًا ويخشى العدو النكيرا

فلم تك إلا اختيارًا نفوعًا ولم تك إلا اضطرارًا ضرورا

وقصائد كثيرة نظمت باللغتين العربية والفارسية في مديح محمود الغزنوى الملقب بيمين الدولة وأمين الملة والإشادة بفتوحه في إيران وما وراء النهر الهند، ومن رائع ما مدح به قصيدة لبديع الزمان الهمذاني يقول فيها:

تعالي الله ما شاء وزاد الله إيماني

أأفريدون في التاج أم الإسكندر الثاني

ويتوالي سلاطين الدولة السلجوقية ووزراءهم ويتوالي المديح عند الطغرائي والارجاني وغيرهم وقد دبجت فيهم قصائد كثيرة وكانو يهنئون كثيرا لا بالاعياد وحسب بل ايضا بالمواليد وفي اليتيمة والدمية من ذلك قصائد ومقطوعات مختلفة ومن ذلك ما انشد الباخرزي لابي مطهر الاصفهاني في استاذه الامام الموفق محمد بن وهبة وكان من ائمة الشافعية في نيسابور :

يا ايها المولي الاجل ومن به اصبحت آمن من تحصن في الذري

انبئتني ورعيتني وسموت بي عصنا بابكار البيان منورا

ومن هؤلاء الشعراء ايضا علي ابن عبد العزيز الجرجاني ،والطغرائي[1] والاجاني وغيرهم

---

[1] أبواسماعيل، الحسين بن علي بن محمد عبدالصمد، الملقب بمؤيد الدين المعروف بالطغرائي. نسبته إلي من يكتب الطغراء و هي الطّرّه التي تكتب في أعلي المناشير فوق البسملة بالقلم الجلّي تتضمن اسم الملك و ألقابه، ولد عام ٤٥٣ في جي من أعمال اصفهان .كان من أفراد الدهر و آية في الكتابة و الشعر غزير الفضل لطيف الطبع فاضلاً عالماً صحيح المذهب. كان مشتغلاً بعلم الكيمياء و صنّف فيه كتباً و له في العربية و العلوم قدر راسخٌ وله باع طويل في البلاغة. ينسب إليه اشعار كثيرة في مدح أهل البيت عليهم السلام لاتوجد في ديوانه و كأنها أسقطت منه .خدم سلاطين آل سلجوق و كان منشيء السلطان محمد مدة ملكه، متولي ديوان الطغراء و صاحب ديوان الانشاء إلي أن صار وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل و لم يكن في الدولتين السلجوقية و الإمامية من يماثله في الانشاء سوي أمين الملك أبي نصر العتبي .له تصانيف منها: جامع الأسرار و تراكيب الانوار و حقائق الاستشهادات، ذات الفوائد، الرد علي ابن سينا في إبطال الكيمياء، مصابيح الحكمة، ديوان شعر و غير ذلك .و قد قتل سنة ٥١٣ هـ و قد جاوز الستين سنة .و قد اشتهر بلامية العجم التي شرحها الصفدي و قد كان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ معبراً عن آلامه و يشكو زمانه.وهذه القصيدة في حذاء القصيدة المعروفة بلامية االعرب التي أنشأها ثابت بن اوس الازدي اليمني المشهور بالشنفري (محسن الامين الحسيني، ١٩٣٥ :٦ /١٢٧-١٢٨

ب ـشعراء المراثي

نشط الرثاء طوال هذا العصر فلم يمت سلطان ولا امير الا ولا قائد او غيره الا رثاه الشعراء وخاصة اذا كان شخصا خطرا له اعماله ومن ذلك قول الرستمي :

ابعد ابن عباد يهش الي السري اخو امل او يسمتاح جواد

ابـــــي الله الا ان يموتا بموته فـما لهما حتي المعاد معاد

وكذلك رثاء ابو علي الحسن بن محمد الدامغاني في محمود الغزنوي اذ يقول :

مضي الافعوان الصل والاسد الورد وتاج ملوك الارض والفارس النجد

ولم ادر ان الشمس يسترها ثري ولا الفـــــلك الاعلي يغيبه لحد

ولسعدي ايضا :وهو مشرف الدين بن مصلح الدين عبدالله المتخلص بالسعدي ولد في مدينة شيراز حوالي سنة ٦٠٥هـ انتقل سعدي عند موت أبيه إلي رعاية حاكم فارس الأتابك سعد بن زنگي و هذا الحاكم أرسله إلي المدرسة النظامية في بغداد لمتابعة دروسه و استيفاء تحصيله و قد وقع السعدي في بغداد تحت تأثير الشيخ الصوفي شهاب الدين السهروردي و أخذ ايضاً الفضل و العلم من شمس الدين أبي الفرج بن الجوزي .إنه عاصر هجمة المغول علي العالم الاسلامي فعبر عن مشاعره تجاه سقوط بغداد و مقتل الخليفة العباسي و بعد أن غادر بغداد قصد أن يترحل بين اقطار العالم الإسلامي. و في عهد الأتابك السلغري قفل إلي شيراز مسقط رأسه .إنه شاعر من كبار الشعراء الايرانيين و رائد الشعر ا التعليمي الأخلاقي و صوفي ينظم الغزل الصوفي و تروي عنه الكرامات في باب الحكمة و الموعظة و إيراد الحكَم و الأمثال.فاق بالشعر الفارسي أقرانه و بالغ في غزلياته نهاية حدود اللطف و الجمال، فصاغ أدقّ المعاني في الالفاظ البسيطة و التعابير الفصحية و البليغة .له إنتاج ضخم من الشعر و النثر و له كتابان «بوستان» نظمه سنة ٦٥٥ و «گلستان» نظمه عام ٦٥٦هـ و له ست رسائل

).أصالة الرأي صانتني عن الخطل و حيلة الفضل زانتني لذي العطل

مجدي أخيراً و مجدي اولاً شرع و الشمس رأد الضحي كالشمس في الطفل

نثرية: المجالس الخمسة، نصيحة الملوك، رسالة في العقل و العشق، التقارير الثلاثة. وله قصائد فارسية و عربية و ملمّعات و ترجيعات و ثلاث مجموعات من الغزليات الصوفية هي الطيبات و البدائع و الخوايتم .توفي في شيراز عام ٦٩١ هـ و قد جاوز المائة من عمره (عوض بن معيوض الجميعي ، ٢٠٠٤: ٩٥-١٠٨).في مرثية المعتصم بالله و ذكر واقعة بغداد : حبست بجفني المدامع لاتجري فلما طغي الماء استطال علي السكر

نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر علي قبري
لان هلاك النفس عند أولي النهي أحب له من عيش منقبض الصدر
زجرت طبيباً جس نبضي مداويا اليك ، فما شكواي من مرض تبري
لزمت اصطباراً حيث كنت مفارقاً و هذا فراق لايعالج بالصبر
تسائلني عما يجري يوم حصرهم و ذلك مما ليس يدخل في الحصر
أديرت كوؤس الموت حتي كأنه رؤس الأساري ترجحن من السكر
لقد ثلكت ام القري و لكعبة مدامع في الميزاب تسكب في الحجر
بكت جدر المستنصرية ندبة علي العلماء الراسخين ذوي الحجر
نوائب دهر ليتني مت قبلها و لم ارعدوان السفيه علي الحبر
محابر تبكي بعدهم بسوادها و بعض قلوب الناس احلك من حبر
لحي الله من يسدي إليه بنعمة و عندهجوم الناس يألف بالغدر
مررت بصم الراسيات اجوبها كخنساء من فرط البكاء علي صخر
أيا ناصحي بالصبر دعني و زفرتي أموضع صبر و الكبود علي الجمر؟
تهدم شخصي من مداومة البكا ويندم الجرف الدوارس بالمخر
وقفت بعبادان ارقب دجلة كمثل دم قان يسيل إلي البحر
وفائض دمعي في مصيبة واسط يزيد علي مد البحيرة و الجزر

وقد كان لحادثة سقوط بغداد، و مقتل الخليفة العباسي المعتصم بالله سنة ٦٥٦ هـ علي يد هولاكو الأثر العميق المؤلم في نفوس المسلمين كافة، كانت كارثة مروعة ألهبت مشاعرهم، كما

ألهبت مشاعر الشعراء و نفوسهم، فنظموا مراثي عدة يعبرون فيها عن جزعهم إزاء ذلكالخطب

المؤلم. وقد شارك سعدي شعراء عصره في رثاء الخليفة، و عبر عن مشاعره في قصيدتين إحداهما بالعربية و الأخري بالفارسية. يصورالشاعرفي هذه القصيدة مدي حزنهوأسفهعلي ما حاق بالخلافةالإسلامية، مما جعله يتمني الموت لنفسه، صورما حلّ بالبلادمن نارالفتنةالتي تتأج وتأتي علي الأقطارالواحد تلو الآخر. هذه القصيدة من أطول قصائده علي الإطلاق، فقد بلغت اثنين و تسعين بيتاً، بينما جاءت القصيده التي نظمها سعدي بالفارسية في رثاء الخليفة في ثمانية و عشرين بيتاً. اشتمل النص علي التعبير الصادق عن مشاعر الحزن الشديد و الجزع المؤلم علي ما حلّ بديار المسلمين من كارثة مرعبة، كما تضم أن الشكوي من غدر الزمان و تقلّب الأحوال و التحذيرمن تحول الدنيا و انقلابها.و هنا نلحظ تفاعل العلاقات الأدبيةبين الثقافتين العربيةو الفارسية، ومدي أثر الثقافةالعربيةفيشعره، فجملة «طغي الماء» في مطلع القصيدة العربيةتعبير قرآني، و مثل هذا التأثر كثير في شعره،شاع و انتشر في سائر قصائده، و هذا يعكس ما استقر في الوجدان من عمق التجربة. و هذا الصدقالفني جعل هذه المشاعر التي احتوتها هذه القصيدة و غيرها من قصائده، تنفذ من الأعماق إليالأعماق ويجتاحك شعورغريب واحساس غير عادي ممتزج فيهالحزن بالشجن والمتعةبالألم ، وغير هذا من امثلة كثيرة يضيق بها هذا المقام .

هذا الي جانب هذين الموضوعين يوجد موضوع اخر له من الاهمية الفنية والادبية الكثير مثل الهجاء والفخر والشكوي والغزل وغيرها من اغراض الشعر العربي والتي صبغت بصبغة فارسية وعربية في نفس الوقت .

كلمة اخيرة

قطعت الثقافة الفارسية شوطت كبيرا على مدى التاريخ فى العطاء والاخذ ونهلت من الثقافة العربية. وتشهد كثير من المفرادات العربية شاهدة على ذاك وأن حروفها العربية التي تنطق فارسيا دليلا على أن اللغة العربية الحية تأخذ وتعطي لتقدم للعالم وهناك تمازج بين

المفرادت العربية والفارسية التي نجدها في كتابات ابن سينا والبيرونى وغيرهم من الينابيع الثقافية ويمثل عمر الخيام نموذجا لتلك الثقافة وتأثيره على الشعراء العرب جليا على مدى العصور ومن منا لايحفظ "لا أطال النوم عمرا ولاقصر من طول السهر" في رباعياته الشهيرة التي تغنت بها أم كلثوم بترجمة عن الفارسية لشاعر احمد رامى الذى تعلم الفارسية واتقانها حبا فى الخيام . وأزدهرت اللغة الفارسية و ترعرعت في أحضان الأبجدية العربية بعد الفتح الاسلامي لإيران و قدمت شعراء و متصوفين ومفكرين عظاما، خلافا لما قبل الاسلام حيث لم تقدم اللغة البهلوية التي تخلت عنها إيران فى أواخر القرن الثالث الهجري و هي لغة البلاط عند الاكاسرة - أي اسم بارز في مختلف مجالات المعروفة و خاصة الشعر والأدب؛ و كل ما وصل الينا هو اشعار فولكلورية توصف بالفهلويات.و يبدو ان اللغة البهلوية كانت لغة ركيكة و ضعيفة لم تنتج ادبا أو ثقافة رفيعة و هذا ما يعترف به العديد من المؤرخين الإيرانيين. و يمكن أن نقارن تأثير اللغة العربية على اللغة الفارسية بتأثير اللغة الرومانية على اللغة اللاتينية. و الدارس للأدب الفارسي يعرف مدى تأثر شعراء فرس عظام كالرومي و الخيام و سعدي و حافظ الشيرازيين و ناصر خسرو و العطار و الجامي والآخرين بالقرآن و الشعر الجاهلي و الأموي و العباسي. إذ يذكر المؤرخون الإيرانيون أن بعض قصائد سعدي هي انتحال و ترجمة حرفية لبعض قصائد ابو الطيب المتنبي. حتى فردوسي و رغم عنصريته و تجنبه استخدام المفردات العربية لم يتمكن من الاستغناء عن اللغة العربية حيث شكلت مفرداتها نحو ٣٠ في المائة من مفردات ملحمة الشاهنامة. ومن يقرأ لأديبا العظيم نجيب محفوظ نجد في أعماله بعض الأبيات من الشعر الفارسي مكتوبة بالفارسية بقصد خدمة ابداعه دون أي تدخل منه ويحلو للبعض أن يقارن بين اهم روائى الان فى ايران محمود دولت آبادي و تحوله في مجال تقنية العمل الروائي بتحولات نجيب محفوظ - بثلاثيته الواقعية الى انماط ادبية اخرى وتقنيات و اساليب جديدة في الرواية " ثرثرة فوق النيل " و " الحرافيش ". لكن و مع وجود كل وجوه الشبه القائمة يبقى فن نجيب محفوظ الروائي أعلى من نظيره الإيراني محمود دولت آبادي كما يقول المترجم الذي يرفض أيضا أن يقارن بين الروائي الإيراني صادق هدايت ونجيب محفوظ وعلى إيران أن تعيد اكتشافه بترجمة أعماله بدل الاكتفاء بترجمتي روايتي " اللص و

الكلاب " و " يوم قتل الزعيم " وبعض القصص القصيرة وأن تتفتح على الرواية الآن ولا تقتصر على الترجمات السابقة لطه حسين وتوفيق الحكيم . و قد كان للثورة الإيرانية وانهيار الاتحاد السوفيتي و نهاية الحرب الباردة تأثيرا ملحوظا على الأدب الفارسي، أدى إلى ابتعاده عن الواقعية رويدا رويدا ، حيث ابتعد الروائي محمود دولت آبادي عن الواقعية النقدية وتأثر بتيار الوعي والواقعية السحرية وما شابه ذلك، وقرأ العرب بعض أعماله بعد ان ترجمت رائعته الروائية المطولة " كليدر " إلى لغات عدة و منها العربية على يد المترجم المصري الراحل دسوقي شتا. وعلى حد قول الناقد عبد الرحمن العلوى لا يمكن إنكار ما للثقافة الفارسية من تراث أدبي عظيم و خليفه أدبيه تمتد لآلاف السنين، حتي أنها تعد من أغني المصادرالأدبية في العالم، ومن روائع الثقافة الفارسية التي حظيت بالترجمات المختلفة ومنهاا لعربية "المثنوي" أحدأشكال الشعر الفارسي، عرف في عهد مبكر من تاريخ الأدب الفارسي الإسلامي، ونظمت فيه أعمال خالدة. وتعني كلمة مثنوي بالعربية النظم المزدوج، الذي يتحدد به شطر البيت الواحد ويكون لكل بيت قافيته الخاصة، وبذلك تتحرر المنظومة من القافية الموحدة. ومن أشهر شعراءها جلال الدين الرومي الذي بدأ نظم المثنوي حوالي ٦٥٧ هجرية ومنها نقرأ "نحن كالناى حوينا منطقى مستتر فى الشفتين - منطق اخر يشكو للسما ما به حتى التهبنا ألما بيد أنالو وعينا- لبدا نوحذا عن ذاك رجعا للصدى- ذاك يشدو هامسا ذا هاتفا- ذا ينادى ذاك يوحى هادفا- ان سرالعقل يبدو فى الجنون - منهج سار عليه العارفون" وهو ما تأثر به شاعر المهجر الرائع جبران خليل جبران في أعماله والدليل أبياته في قصيدة "اعطانى الناى وغني" التي نرددها مع فيروز . و هناك فسحة كبيرة للشعر المترجم و سيما شعر الغزل منه كدواوين ادونيس و نزار قباني و غسان الكنفاني وعبد الوهاب البياتي و محمود درويش و ثمة قصائد و روايات لعبد الرحمان المنيف و نازك الملائكة ومحمد الفيتوري و سميح القاسم والشاعرة السورية غادة السمان التى يقبل عليا القارىء الايرانى لتشابه اعمالها فروغ فرخ زاد اول شاعرة ايرانية تمردت على همينة الرجل فى العصر الحديث ولم يمهلها القدر على العطاء كثيرا حيث توفيت فى حادث سيارة عام ١٩٦٨ . ولا ينكر الشاعر والناقد الخراساني محمد رضا شفيعي كدكني اهم شاعر على الساحة الايرانية الان تثره وتشابه شخصيته بشخصية الناقد

العربي احسان عباس الذي يكن له كدكني احتراما خاصا. و قد ترجم شفيعي كدكني الذي يتقن اللغة العربية وتربطه صداقات مع ادونيس و بلند الحيدري و البياتي - قبل وفاتهما - ترجم من البياتي الى الفارسية وكتب عن الشعر العربي الحديث كتابا و مقالات. فهو بطبعه وثقافته محب للعرب و أدبهم. وإذا كانت اللغة الفارسية التي لاتعتبر لغة عالمية مثل لغتنا الجميلة حيث يتحدث الفارسية بها أكثر سكان ايران و قسم من شعوب افغانستان و طاجيكستان فلا يعني أن نهمل ولا نهتم بالثقافة الفارسية، صحيح هناك معاهد لتعليم اللغة في ايران وبعض البلاد العربية إلا أنه مطلوب أن نعيد النظر لسد الفجوة التي لا تليق بثقافتين

المراجع العربية :

احمد الحوفي : صلات بين العرب والفرس، الطبعة الثالثة ١٩٦٢م

آذرتاش آذرنوش: التحدي بين الفارسية والعربية، نشر ني، طهران ١٣٧٧ش

آرتور كريستن سن: إيران في العهد الساساني، نشر ابن سيناف، طهران ١٣٥١ش

حسين مجيب المصري : صلات بين العرب والفرس والترك ، الدار الثقافية للنشر الطبغة الاولي ٢٠٠١م .

د. محمد الطيبي: العرب الأصول والهوية، دار الغرب ٢٠٠٢

رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة ١٩٩٥،

عبج الوهاب عزام : الصلات بين العرب والفرس وادابهما في الجاهلية والاسلام ، هنداوي ، ٢٠١٣

عيسى العاكوب: أثر النصائح الإيرانية في الأدب العربي، النشر العلمي والثقافي، طهران ١٣٧٤ش

محمد محمدي: الثقافة الإيرانية قبل الإسلام، نشر طوس، طهران ١٣٧٤ش

المراجع الاجنبية والانترنت :

Rybka: iranishe litratugeschichete lebpzig ١٩٥٩ p ٧٣

http://annales.univ-most.٢٠٢١

http://www.jalhss.com/index.php/jalhss/article/view/٣٧٩/٣٦٩

https://www.youtube.com/watch?v=DAuFLuOs٢kA

https://www.youtube.com/watch?v=shupZhAHgpY